

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

مختصر
مجلد ابو الفضل برائے

کتابخانہ المکتبۃ العظمیٰ
پریس البانی، بعلبکی و شیشکوة

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



مكتبة الفاضل إبراهيم

المجلد الثامن عشر

دار النخلة للنشر والتوزيع
بيبي البابی الجلیلی و شریکاء



منشورات مکتبه آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ایران ۱۴۰۴ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

يشتمل هذا الجزء على بقية المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله إلى أعدائه وأمرائه
بلاده ، ثم على طائفة من مختار حكمه ومواعظه ، وأجوبة مسائله ، والكلام القصير الخارج
في سائر أغراضه .

ولقد روجع على الجزء الثالث من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها
المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ١٢٦ ؛ وهي النسخة التي رمزت لها بالحرف (أ) .
وأصل هذا الجزء مكتوب بخط نسخ حديث واضح ، يبدو أنه كتب في القرن الثاني عشر ؛
ويكاد يكون خاليا من الشكل والضبط ؛ حتى فيما جاء فيه من أصل كلام الإمام . ويبدأ
من الشرح ببقية الكلام على فتح مكة ؛ إلا أن بآخره تقصا يبدأ في أثناء الكلام على
شرح قول أمير المؤمنين : « الإحجاب يمنع من الازدياد » ، إلى آخر الجزء . ويقع في ٥٦
ورقة ، مسطرتها ٢٩ سطرا ، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريبا ، ولا يوجد فيه ذكر لاسم ناسخه
ولا تاريخ نسخه .

كما روجع أيضا على الجزء الثاني من المجلد الأخير من مخطوطة دار الكتب برقم ١٨٦٨ -
أدب ، وهي التي رمزت لها بالحرف (د) ، وسبق وصفها في مقدمة الجزء السادس عشر ،
وعلى النسخة المطبوعة على الحجر في طهران سنة ١٣٧١ هـ ؛ وهي التي رمزت لها بالحرف (ب) .
وأسأل الله أن يوفق ويسين .



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الجارود

(٥٨٦ - ٦٥٦)

تحقيق
مركز البحوث الإسلامية
محمّد أبو الفضل إبراهيم



مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل^(١)

[ذكر بقية الخبر عن فتح مكة]

قال الواقدي : وهرب هبيرة بن أبي وهب وعبد الله بن الزُبَيْر جيمًا حتى انتهيا إلى نَجْرَان فلم يأمنَا الخوف حتى دخلا حصن نَجْرَان ؛ فقيل : ما شأنكما ؟ قالا : أما فرش فقد قُتِلَ ودخله محمد مكة ، ونحن والله نرى أن محمدًا سائر إلى حصنكم هذا ، فجعلت بلعازث بن كعب يُصلحون ما رث من حصنهم ، وجمعوا مشيقتهم ؛ فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزُبَيْري :

لا تدمن رجلاً أحلك نفسه^(٢) نجران في عيشٍ أجَدَّ ذمير^(٣)
بليت قناتك في الحروب فاليت جوقاء ذات مبابير ووصوم^(٣)
غضب الإله على الزُبَيْري وابنه بمذابٍ سوء في الحياة مقبر

فلما جاء ابن الزُبَيْري شعر حسان تهياً للخروج ، فقال هبيرة بن وهب : أين تريد يا بن عم ؟ قال له : أريد والله محمدًا ، قال : أريد أن تبعه ؟ قال : أي والله ، قال هبيرة : ياليت أتى كنت رافقتُ غيرك ، والله ما ظننتُ أنك تتبع محمدًا أبداً . قال ابن الزُبَيْري : هو ذاك ، فملى أي شيء أقيم مع بني الحارث بن كعب وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرهم ، وبين قومي وداري ! فأنحدر ابن الزُبَيْري حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) د : « لطفك اقوم لإتمامه بالخبر » . (٢) ديوانه ٣٦٠ .

(٣) الرصوم : العيوب ؛ جمع وصم ، ورواية المديوان : « خانة جوقاء ذات وصوم » .

أو يدخل على منزلي فأقتل ! قال : فانا أبليغ معك منزلك ، فبلغ معه منزله ، ثم جعل يُنادي على بابه : إن حوَّطِيا آمين فلا يهيج . ثم أنصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره . فقال : أو ليس قد أمتا الناس كلهم إلا من أمرت بقتله !

قال الواقدي : وهرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن حتى ركب البحر ، قال : وجاءت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في نسوة منهن هند بنت عتبة - وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتلها - والبقوم^(١) بنت المعدل الكنانية امرأة صفوان بن أمية ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام ، وهند بنت عتبة بن الحجاج أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، ورسول الله صلى الله عليه وآله بالأبطح ، فأسكنهم ، ولما دخلن عليه دخلن وعنده زوجته وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبد المطلب وسألن أن يبايعهن ، فقال : إني لا أصافح النساء - ويقال : إنه وضع على يده ثوباً فسحقن عليه ، ويقال : كن يؤتى بقدر من ماء فيدخل يده فيه ثم يرفسه إليهن ، فيدخلن أيديهن فيه - فكانت أم حكيم امرأة عكرمة : يا رسول الله ، إن عكرمة هرب منك إلى اليمن ، خف أن تقتله ، فأمنه ، فقال : هو آمن . فخرجت أم حكيم في طلبه ، ومعها غلام لها رومي ، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمثيه حتى قدرمت به على حي ، فاستغاثت بهم عليه ، فأوثقوه رباطاً ، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة ، فركب البحر ، فهاج بهم ، فجعل نوتي السفينة يقول له : أن أخلص ، قال : أي شيء أقول ؟ قال : قل لا إله إلا الله ، قال عكرمة : ما هربت إلا من هذا ، فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر ، فجعلت تُلح عليه وتقول : يا بن عم ، جئتك من عند خير الناس ، وأوصل الناس ، وأبر الناس ، لا تهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته ، فقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنك ، قال :

(١) ١ ، ب : « البقوم » . د : « النجوم » ، تحريف ، والصواب ما أثبتته ، وانظر القاموس .

أنتِ فلتِ؟ قالت: نعم أنا كلمته، فأنتك، فرجع معها، فقالت: ما لفت من غلامك
الزوي! وأخبرته حرة، فقتله عكرمة، فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأصحابه: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمياً، فلا تستؤاياه، فإن سب البيت
يؤذي الحى. ولا يسع البيت. فلما وصل عكرمة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله
وثب إليه صلى الله عليه وسلم وليس عليه رداء فرح به، ثم جلس فوق عكرمة بين يديه
ومعه زوجته منقبة، فقال: يا محمد، إن هذه أحرستى أنك أمنتى؟ فقال: صدقت،
أنت آمنت، فقال عكرمة: فإلام تدعو؟ فقال: إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى
رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة... وعده حصال الإسلام، فقال عكرمة:
ما دعوت إلا إلى حق، وإلى حسن جميل، ولقد كنت فينا من قبل أن تدعوا إلى
ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا حديثاً، وأعظمنا برّاً. ثم قال: ها بى أشهد أن لا إله إلا
الله، وأنت رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسألنى اليوم شيئاً أعطيه
أحداً إلا أعطيتك، قال: فابى أسألك أن تعمر لى كل عداوة عادتكها أو مسير
أوصفت فيه، أو مقام لقيت فيه، أو كلام قُنته فى وجهك، أو أنت عائب عنه. فقال:
اللهم اغفر له كل عداوة عاديتها، وكل مسير سار فيه إلى يريد بذلك إطفاء
نورك، واعمر له ما نال منى ومن يعرضى فى وجهى أو أنا عائب عنه. فقال عكرمة:
رصيت بذلك يا رسول الله، ثم قال: أما والله لا أدع ثقةً كنت أرفقها فى صدرى عن
سبيل الله إلا أنفقت ضيقها فى سبيل الإسلام وفى سبيل الله، ولأحتهدن فى القتال
بين يديك حتى أقتل شهيداً؛ قال: فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله امرأته بذلك
التسكاح الأول.

قال الواقدي: وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعبة، وحمل يقول لعلامه

يسار - وليس معه غيره : وَبَحْتُ أَنْظُرَ مِنْ تَرْكِي أَفَقَالَ : هَذَا عُصَيْرُ بْنُ وَهَبٍ ؛ قَالَ صَفْوَانُ : مَا أَصْبَحَ بِعُصَيْرٍ ! وَاللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا بِرَيْدٍ قَتَلْتُهُ ، قَدْ ظَاهَرَ مُحَمَّدًا عَلَى ، فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : يَا عُصَيْرُ ، مَا لَكَ ؟ مَا كَعَاكَ مَا صَعَتَ ، حَمَلْتَنِي دَيْنُكَ وَعِيَالُكَ ، ثُمَّ حَسْتَ تَرِيدُ قَتْلِي أَفَقَالَ : يَا أَبَا وَهَبٍ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ احْتُكَّ مِنْ عَدُوِّ حَيْرِ النَّاسِ ، وَأَبْرَ النَّاسِ وَأَوْصَلَ النَّاسِ ، وَقَدْ كَانَ عُصَيْرٌ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَيِّدُ قَوْمِي صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حَرَجَ هَارِبًا لِيَقْدِفَ بِهِ فِي الْبَحْرِ ؛ خَافَ إِلَّا تَوَكَّلَهُ ، فَأَمَّتْهُ فِدَاكَ أَبَا وَهَبٍ أَفَقَالَ : قَدْ أَمَّتْهُ ، نَخْرَجُ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَّتْكَ صَفْوَانُ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَأْتِنِي بِإِلَامَةٍ أَعْرِفُهَا ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَحْبَرَهُ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَسْبُهُ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ فَقَالَ : لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِإِلَامَةٍ أَعْرِفُهَا ، فَقَالَ : خُذْ مِمَّا مَنَى ، فَرَجَعَ عُصَيْرٌ إِلَيْهِ بِإِلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَهِيَ الرُّذُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ مَسْحَرًا ، رَدَّ حَبْرَهُ أَحْمَرَ - فَخَرَجَ عُصَيْرٌ فِي طَلَبِهِ ، فَدَسَّ^(١) حَتَّى جَاءَهُ بِالرُّذِ فَقَالَ : يَا أَبَا وَهَبٍ ، حَمَلْتَنِي مِنْ عَدُوِّ حَيْرِ النَّاسِ وَأَوْصَلَ النَّاسِ وَأَبْرَأَ النَّاسِ وَأَحْلَمَ النَّاسِ ، عَمِدَةُ مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُ حَيْرُكَ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ، ابْنُ أَيْيَكُ وَأَمَّتُ ، أَدْكُرُكَ اللَّهُ فِي مَسْكٍ ، فَقَالَ : أَحَابُ أَنْ أَقْتَلَ ؛ قَالَ : فَإِنَّهُ دَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا سَبَّكَ شَهْرَيْنِ فَهُوَ أَوْفَى النَّاسِ وَأَرْفَهُمْ ، وَقَدْ نَمَتْ إِلَيْكَ بَرْدَةُ الَّذِي دَخَلَ بِهِ مَسْحَرًا ، أَنْتَعِرْفَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَحْرَجَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ هُوَ ، فَرَجَعَ صَفْوَانُ حَتَّى أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَوَحَّدَهُ يَصَلِّيَ الْعَصْرَ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ : كَمْ يَصَلُّونَ ؟ قَالُوا : خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ : أَلَمْ يَصَلِّيَ بِهِمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَمَا سَمِعَ مِنْ صَلَاةِ صَفْوَانُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ عُصَيْرٌ

ابن وهب جاءني برؤدك ، ورغم أنك دعوتني إلى القدوم إليك ، فإن رضيت أمرا ، وبألا سيرتني شهرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : انزل أبا وهب ، فقال : لا والله أو تبين لي ؟ قال : بل ميرأ أدمة أشهر . فزول صفوان وخرج معه إلى حنين وهو كافر ، وأرسل إليه يستمير أذراعه - وكانت مائة درع - فقال : أطوعا أم كرها ؟ فقال عليه السلام : بل طوعا عارية مؤداة ، فأمره إليها ، ثم أعادها إليه بعد انقضاء حنين وانطأف ، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بالخجرات يسير في عاتم هوارن ينظر إليها ، فنظر صفوان إلى شيب هناك مملوء نكما وشاء ورعاء ، فدام النظر إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه ، فقال : أبا وهب : بعصك هذا الشيب أقال . نعم ، قال : هو لك وما فيه . فقال صفوان : ما طابت نفس أحدٍ بمثل هذا إلا نفس مني ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : فأما عبد الله بن سنان أبي شرح فكان قد أسلم ، وكل من يكتب (رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله « جميع » عليهم » فيكتب « عزيز حكيم » ومحو ذلك ، وبقرا على رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : كذلك الله ، وبقرا ، فافتن ؛ وقال : والله ما يدري ما يقول : إني لأكتب له ما شئت فلا يسكر ، وإني ليوحي إلي كما يوحي إلى محمد ، وخرج هاربا من المدينة إلى مسكة مرتدا ، فأهدر رسول الله دمه ، وأمر بقتله يوم الفتح ، فلما كان يومئذ جاء إلى عثمان - وكان أحد من الرصاعة - فقال : يا أحمى ، إني قد أحرنتك فاحتسني ها هنا وأذهب إلى محمد مسكته في ، فإن محمدا إن رآني صرب عني ، إن خزي أعظم الحرم ، وقد جئت تائبا ؛ فقال عثمان : ثم فذهب معي إليه ، قال : كلاً ، والله إني إن رآني صرب عني ولم يناظرني ، قد أهدر دمي وأصحابي يطلوني في كل موضع ، فقال عثمان : اطلبي معي فإنه لا يقتلك إن شاء الله - فلم يرع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عثمان

أَخَذَا يَدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ وَهَضَبَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ عُمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ ، إِنْ أُمُّهُ كَانَتْ تَحْمِلُنِي وَتَمْسِيهِ وَتُرْمِعُنِي وَتَقْطِيعُهُ وَتَلْطِيفُنِي وَتَتْرَكُهُ ، فَهَبْنِي لِي . فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ عَنْهُ ، وَحَمَلَ عُمَانُ كُلَّمَا أَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُ أَسْتَقَمَّ لَهُ بَوَّاحُهُ ، وَأَعَادَ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامَ ، وَبِمَا أَعْرَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ إِرَادَةً لِأَنْ يَقُومَ رَجُلٌ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَلَمَّا رَأَى أَلَّا يَقُومَ أَحَدٌ وَعُمَانُ قَدْ أَسْكَبَ عَلَيْهِ يَقْبِلُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَائِسُهُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي عَلَى الْإِسْلَامِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ : نَعَمْ ، فَبَائِسُهُ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ نَعْدُ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ يَقُومَ مَعَكُمْ وَاحِدٌ إِلَى هَذَا الْكَابِ فَيَقْتُلَهُ - أَوْ قَالَ : الْهَاسِقُ ! فَقَالَ عَسَادُ بْنُ شُرٍّ : وَأَنْدَى بِمَنَّاكَ الْحَقُّ ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ طَرَفَكَ مِنْ كُلِّ مَاحِجَةٍ ، رَجَاءُ أَنْ تُشِيرَ إِلَيَّ فَأَضْرِبَ عَنْقَهُ . وَيَقَالُ : إِنَّ أَبَا الشَّيْرِ هُوَ أَدْنَى قَالَ هَذَا ؛ وَيَقَالُ : بَلْ قَالَهُ هَرَبُ بْنُ الْحَطَّابِ ، فَضَالٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي لَا أَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَكُونُ لَهُ خَائِمَةُ الْأَعْيُنِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : فَجَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بِمَرٍّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ كُلَّمَا رَأَاهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! لَوْ تَرَى ابْنَ أُمِّ عَبْدِ بَهْرٍ مِنْكَ كُلَّمَا رَأَاكَ ! فَتَسْتَمِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ ؛ فَضَلَّ : أَوْ لَمْ أَبَيْتَهُ وَأَوْفَمَهُ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنَّهُ يَتَذَكَّرُ عَظَمَ جُرْمِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : إِنَّ الْإِسْلَامَ بِحَبِّ مَا قَتَلَهُ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَأَمَّا الْحَوَيْرِثُ بْنُ مُتَيْبٍ - وَهُوَ مِنْ وَلَدِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ - فَإِنَّهُ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ بِمَكَّةَ ، فَأَهْدَرَ دَمَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَنْزِلِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَقَدْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابُهُ ، جَاءَ عَلِيٌُّّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ فِي الْبَادِيَةِ ، وَأُخْبِرَ الْحَوَيْرِثُ أَنَّهُ حَادٍ يَطْلُغُهُ وَتَنْجُو عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ بَابِهِ ، فَخَرَجَ الْحَوَيْرِثُ يَرِيدُ أَنْ

يهرب من بيتٍ إلى بيتٍ آخر ، فتلقاه على عليه السلام فصرَب عنه .

قال الواقدي : وأما هتار بن الأسود ، صدك رسول الله صلى الله عليه وآله أمران يُحرقه بالنار ، ثم قال : إنما يمدب بالنار رب النار ، افطموا يدينه ورجليه إن قدرتم عليه ، ثم أقتلوه ، وكان حُرْمُهُ أن نخس زيب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجرت ، وصرَب ظهرها بالرمح وهي حُتَّى ، فأصقطت ، فلم يقدر المسلمون عليه يوم الفتح ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة طمَع هتار بن الأسود قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقبل النبي صلى الله عليه وآله إسلامه ، فخرجت سَمَى مولاة النبي صلى الله عليه وآله وقالت : لا أسمع الله بك عيباً ! أنت الذي فعلت وفعلت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهتار يعتذر إليه : إن الإسلام بما ذلك ، وأنه عن الترض له .

قال الواقدي : قال أس بن عمار رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهتار يعتذر إليه وهو "بطاطي" رأسه استحي ، مما يعتذر هتار ويقول له : قد عصوتُ منك !

قال الواقدي : وأما أس حنظل فإنه خرج حتى دخل بين أشتار السكبة ، فأخرجه أبو برة الأسدي منها ، فصرَب عنه بين الركن والمقام - ويقال : بل قتله هتار بن ياسر ، وقيل : سمع من خريث المحرومي ، وقيل : شريك بن عبد المجاني ، والأئمة أنه أبو برة . قال : وكان حُرْمُهُ أنه أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله ساعياً^(١) ، وبث منه رجلاً من خُرعة فقتله ، وساق ما أخذ من مال الصدقة ، ورجع إلى مكة ، فقالت له عريش : ما جاء بك ؟ قال : لم أجد ديناً خيراً من دينكم ، وكانت له قينان : إحداهما عريش ، والأخرى قريفة - أو أرب ، وكان ابن حنظل يقول

(١) ساعياً : أي حايياً للزكاة .

الشعرَ يَهْجُو به رسولُ الله صلى الله عليه وآله ويفنيان به ، ويدخل عليه المشركون بيته
فيشربون عنده الخمر ، ويسمعون النباءَ بهجاء رسولِ الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وأما مقيس بن صُبابه فإن أمه سهمية ، وكان يومَ الفتح عند أخواله
بنى منهم ، فاصطاح الخمرَ ذلك اليوم في ندائى له ، وحرَّحَ فحلاً يتعنى ويتمثل بأبيات
منها :

دَعَيْتُ أَصْطِاحَ يَابَكْرُ إِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَبَ عَنِ هِشَامِ
وَنَقَبَ عَنِ أَبِيكَ أَبِي يَزِيدِ أَحِبِّي الْقَيْنَاتِ وَالشُّرْبِ الْكِرَامِ
يَخْبِرُنَا ابْنُ كَثْثَةَ أَنَّ سَحَابَ وَكَيْفَ حِيلَةُ أَصْدَادِ وَهَامِ
إِذَا مَا الرَّاسُ رَالَ بِمَكِّيهِ فَهَذَا شَيْعُ الْأَيْسُ مِنَ الْعَطَامِ
أَضَلُّنِي إِذَا مَا كُنْتُ مَجِيًّا وَتُعَيِّنِي إِذَا دُمْتُ بِعَطَايِ
فَلَمِيتَ نَحِيلَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْنِ وَهُوَ مِنْ رَهْطِهِ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَكَانَتْ
أُحْتَهُ نَزْبُهُ :

لَمَعَرَى لَقَدْ أَخْرَجَى نَحِيلَةَ رَهْطُهُ وَفَتَحَ أَصْنَافَ النِّسَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَّهَ عَيْبًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسِهِ إِذَا النِّسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تَحْرَمِ (١)

وكان جُرمُ مقيسٍ من قتل أن أحياه هاشم بن صُبابه أسلمَ وشهدَ المُرَيْسِيعَ مع رسولِ
الله صلى الله عليه وآله ، فقتله رجلٌ من رَهْطِ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ - وقيل : من بني عمرو
ابن عوف وهو لا يعرفه - فطلبه من المشركين ، فقَصَصَ له رسولُ الله صلى الله عليه وآله
بالدِّية على العاقلة ، فقدمَ مقيسُ أخوه المدينة فأخذَ دِيْنَتَهُ ، وأسلمَ ، ثمَّ عدا على قَاتِلِ أُخِيهِ ،
فقتله ، وهَرَبَ مرتدًا كاهراً يَهْجُو رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالشعر ، فأهدَرَ دَمَهُ .

(١) يقال : حرمت المرأة تحريمًا ؛ إذا أسمنت و ولادتها ؛ والبيت في الأسان (حرس) .

قال الواقدي : فأما سارة مولاة بني هاشم - وكانت مغنية نواحة بمكة ، وكانت قد قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة تطلب أن يصلها ، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد - فقال لها : أما كان لك في غنائك ورياحك ما يُغنيك ! قالت : يا محمد ، إن قريشا مندُ قُتِل من قُتِل منهم يبدؤ تركوا استماع النباء ، فوصلها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوفر لها بغيراً طعاماً ، ورحلت إلى قُريش وهي على دينها ، وكانت يُلقب عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فتغنى به ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أن تُقتل ، فقتلت ، وأما قُيَينا ابن حطَل فقتل يوم الفتح إحداها ، وهي أرب ، أو قرينة ، وأما قريبي مستومن لها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأتتها وماشت حتى ماتت في أيام عثمان .

قال الواقدي : وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتل وحشي يوم المتع ، فهرب إلى الطائف ، فلم يرل بها مقبلاً حتى هدم مع وفد الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل عليه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، فقال : أوحشي ؟ قال : نعم ، قال : اجلس وحدثني كيف قتلت حرة ؟ قلت أحبره قال : قم وعيبت عني وجهك ، فكان إذا رآه تولّى عني .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي دُث ومحمّر عن الزُّهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي عمرو بن صدق بن أبي الحراء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بعد فراقه من أمر المتع وهو يريد الخروج من مكة : أما والله إنك لخير أرض الله ، وأحب بلاد الله إلي ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت .



وزاد محمد بن إسحاق في كتاب " المنازي " أن هند بنت عُتبة جاءت إلى رسول الله

صلى الله عليه وآله مع نساء قريش متكررة متنفقة لخدمتها الذي كان في الإسلام ، وما منعت بحمرة حين جدته ومقرت بطله عن كده ؛ فهي تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله بخدمتها ذلك ، قلنا دنت منه ، وقال حين بابنه على ألا يشركن بالله شيئا قلن : نعم ؛ قال : ولا يسمرن ، فقالت هند : والله أنا كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنية فما أعلم أحلال ذلك أم لا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وأنتك لهند ! قالت ، نعم ، أنا هند ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، طعفت عما سلف عما الله عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولا يرين ، فقالت هند : وهل ترى الحرمة ! فقال : لا ، ولا يقتلن أولادهن ، فقالت هند : قد لكمري ريتاهم سفارا وقتلتهم كبارا يندر ، فانت وهم أعرف . فصحك مرمر من الخطاب من قولها حتى أسفرت تواجده ، قال : ولا يأتيين بهتان [بلبريته (١)] ، قالت هند : إن إتيان التمتان لقبيح ، فقال : ولا يعمينك في مروفت ؛ فقالت : ما جلبنا هذه الجلسة ونحن نريد أن نمصيك .

قال محمد بن إسحاق : ومن حين شعر عبد الله بن الزبير الذي اعتذر به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم عليه :

| | |
|---|---|
| مَسَّ الرُّقَادَ بِلَابِلٌ وَهُمُومٌ | «الليل ممتد الرواق بهيم» ^(٢) |
| مِمَّا آتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَأَمْنِي | فيه ، فبت كأنني محوم |
| طَاحِرٌ مِنْ حَلَّتْ عَلَى أَوْسَالِهَا | عيرانة سرح اليدين سحوم» ^(٣) |

(١) من د .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ٣٩ . اللابل . الوسوس المصطفة . والهم : التي لا صياء فيه . وفي ابن هشام : « والليل معتج الرواق » .

(٣) النبراه : الناقه إلى نثه العير (حمار الوحش) في شدته وشاطفه . سرح اليدين : خفيفتهما . وسحوم : سريفة . وفي ابن هشام : « سحوم » .

إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ أَلْدِي أَسَدَيْتَ دُنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ^(١)
 أَبَانُ^(٢) تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى حُطَقَرٍ تَسْمُهُ ، وَتَأْمُرُنِي بِهِ عَزُومُ
 وَأَمَدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الْفَوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومُ
 فَالْيَوْمَ آمَنْ «لَتَنِي» مُحَمَّدٍ قَلْبِي ، وَحُطِيءٌ هَدَهُ عَزُومُ
 مَضَتْ الْمَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسَابِهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرُ يَسَا وَحُلُومُ^(٣)
 فَاعْفُ فِدْءِي لَكَ وَاللَّيَّ كَلَامُهَا زَلَّى ، فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
 وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةٌ بَوْرٌ أَمْرٌ وَحَاتَمٌ غَتُومُ
 أَعْطَاكَ بَعْدَ حَسَنَةٍ بِرَهْمَةٍ شَرَفًا وَبُرْهَانِ الْإِلَهِ عَظِيمُ
 وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَارَ دِينِكَ صَادِقٌ مَرَّةً وَشَأْنُكَ فِي الْعَمَادِ جَبِيمُ
 وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُطَهَّقِي مَتَقَلَّرٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ
 فَرَعٌ عَلَا نَبَاؤُهُ مِنْ هَاتِمِهِ فَوَجَّحَ تَحَكَّنَ فِي الثَّلَا وَأُرُومُ^(٤)

قال الواقدي : وفي يوم افتتح سكر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة الذين دخلها عليهم الطلقاء ، لنته عليهم بعد أن أضمره الله بهم ، فصاروا أرقاء له . وقد قيل له يوم الفتح : قد أمكك الله تعالى فخذ ما شئت من أثاث على عصون - يعنون النساء ؛ فقال عليه السلام : يأتي ذلك إعلمهم الصيف ، وإكرامهم اسيت ، ووجوهم مناخر الهدى .

ثم يعود إلى تفسير ما بقى من ألباط الفصل^(٥)؛ قوله : « فَإِنْ كَانَ فِيكَ تَجَمُّلٌ فَاسْتَرْفِهْ »

(١) أسديت : صنعت . (٢) في د : « أليم » .

(٣) الحُلُوم : جمع حلم وهو العقل . (٤) ابن هشام :

فَرَعٌ عَلَا نَبَاؤُهُ مِنْ هَاتِمِهِ فَرَعٌ تَحَكَّنَ فِي الذَّرَا وَأُرُومُ

قال ابن هشام : « وبس أهل العلم بالشعر يكرها » .

(٥) انظر ص ٢٥٠ من الجزء السابع عشر من هذا الكتاب

أى كن ذا رَهْمِيَّة ، ولا تُرَهِّمَنَّ نَفْسَكَ بِالْمَعْل ، فلا بدَّ من لِقَاء نَمِصَا بَمِصَا ، فأى حاجة بك إلى أن تعجل ! ثم قر ذلك فقال : إن أُرِدَّكَ فى بلادك ، أى إن عَرَوْتُكَ فى بلادك تخليق أن يكون الله بعثى للانتقام منك ، وإن رُدَّنِى - أى إن عَرَوْتُنى فى بلادى وأقبلت بمجموعك إلى .

كسَم . كما قال أخو بى ^(١) أسد؛ كَسَمْتُ أَسْمَحُ قَدِيداً أن هذا البيت من شعر بشر بن أبى حازم الأسدى ؛ والآل فقد تصدحتُ شعره فلم أحذه ، ولا وفتُ نمدُ على قائله ، وإن وقفتُ فيما يُستقل من الزمان عليه ألحقته .

وريج حاصب ، تحمل الحصباء ، وهى صِغارُ الخصى ، وبدأت بين أعوار - وهى ما سئل من الأرض وكانت مع ذلك ريج صيف - كانت أعظمَ منفعة ، وأشدَّ ضرراً على من يُلَاقِيهِ وحُلُمُود ، يمكن أن يكون عطفاً على « حاصب » ، ويمكن أن يكون عطفاً على « أعوار » ، أى بين عَوْرٍ من الأرض وحرِّهِ ، وذلك أشدَّ لأذاها ما تكسبه الحرارة من لَفَحِ السَّمُومِ وَوَهْجِهَا . والوجه الأول أليق .

وأعصمته أى حَمَلَتْهُ مَعصوما رهوس أهلك ، واكثر ما يأتى « أفعمته » أن تحمله « فاعلا » ، وهى ما هبها من القلوب ، أى أعصمت رهوس أهلك به ، كقوله : « قد قطع الحبل بالمرؤود » .

وحدَّه فُتَيْبَةُ بن ربيعة ، وحاله الوليدُ بن عُتْبة ، وأحواه حَظَلَةُ بن أبى سفيان ، قتلهم على عليه السلام يوم بدر .

والأعلف القلب : الذى لا بصيرة له ، كَنَّ قَابَهُ وَعِلَافَ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ ^(٢) .

(١) وهو قوله :

مُسْتَقِيلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ نَصْرُهُمْ بِحَاصِبِ بَيْنِ أَعْوَارٍ وَجُلُودٍ

(٢) سورة البقرة ٨٨ .

والمقارب العقل ، بالكسر : الذى ليس عقله بحديد ؛ والعامة تقول فيما هذا شأنه :
مقارب ، متع الراى .

ثم قال : الأولى أن يقال هذه الكلمة لك .

وشدت الضالة : طَلَّتْهَا ، وأشدَّتْ : عَرَّفَتْهَا ، أى طَلَّتْ ما ليس لك .

والبعة : المال الراعى ؛ والكلام طرَحَ مخرج الاستمارة .

فإن قلت : كل هذا الكلام يطابق بعينه بعضا إلا قوله : « فما أبعد قولك من فعلك »
وكيف استبعد عليه السلام ذلك ولا بُدَّ بينهما ، لأنه يطلب الخلافة قولاً وفعلًا ! « أى بُدَّ
بين قوله وفعله !

قلت : لأنَّ فعله السعى ، والمروء على الإمام الذى تنبت إمامه وصحت ، وتزريق جماعة
المسلمين ، وشق العصا ، هدا مع الأمور التى كاف يظهر عليه وتمتصى الصق ؛ من لس
الحرير ، والنسوج بالذهب ، وما كان يتعاطاه فى حياة عثمان من المكرات التى لم تنبت
توبته منها ، فهذا فعله .

وأما قوله : فرعه ^(١) أنه أمير المؤمنين ، وجميع المسلمين ، وهذا القول بعيد من ذلك
الفعل جدا .

و « ما » فى قوله : « وقرب ما أشبهت » مصدرية ، أى وقرب شبهك بأعمال وأحوال .
وقد ذكرنا من قتل من بنى أمية فى حر وبرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما تقدم ، وإليه
الإشارة بالأعمال والأحوال ، لأن أحوال معاوية من بنى عبد شمس ، كما أنَّ أعماله من
بنى عبد شمس .

قوله : « ولم تماشها الهوى » أى لم نصحبها ، يصعبها السرعة والمضى فى الرعوس الأعناق

وأما قوله : « ادْخُلْ فِيهَا دَحْلٌ فِيهِ النَّاسُ وَحَرِّمِ الْقَوْمَ » ، فهي الحجة التي يَحْتَجُّ بِهَا أصحابُنا له في أنه لم يُسَلِّمْ قَتْلَهُ عُمَانَ إِلَى معاوية ، وهي حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ ، لِأَنَّ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ ، ثُمَّ يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ أَوْلِيَاءُ الدِّمِ وَالْمَتَمِّمُونَ ، فَإِنْ حَكَمَ بِالْحَقِّ اسْتُدِّمَتْ حُكُومَتُهُ ، وَإِلَّا فَسَقَ وَبَطَلَتْ [إِمَامَتُهُ ^(١)] .

قوله : « فَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا » ، قيل : إنه يريد ^(٢) التعلُّقَ بهذه الشبهة ، وهي قَتْلَةُ عُمَانَ ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِهِ مَا كَلَّمَ معاويةَ بِكَرَرِ طَلَبِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ أَنْ يَقِرَّ عَلَى الشَّامِ وَحْدَهُ ، وَلَا يَكْلَمَهُ أَسِيعَةً ، قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ كَمُخَادَعَةِ الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ قِطَاعِهِ مِنَ اللَّبَنِ بِمَا تَصَمَّمَهُ النَّسَاءُ لَهُ مِمَّا يَكْرَهُ إِلَيْهِ الْوَدَى وَيُسَلِّيه عَنْهُ ، وَيُرْعَبُهُ فِي التَّمَوُضِ نَعِيرُهُ ، وَكِتَابُ معاويةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَتَضَمَّنْ حَدِيثَ الشَّامِ .

(١) مِنْ د .

(٢) فِي د . هـ . ي .

(٦٥)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَتَمَعَّ بِالسَّعْرِ النَّاصِرِ مِنْ عِيَالِ الْأُمُورِ ، فَتَقْدُ سَكَتَ
مَدَارِجِ أَسْلَافِكَ بِإِدْعَائِكَ الْأَطْيَلِ ، وَفَتْحَاتِكَ هُرُورَ الْمَبِيِّ وَالْأَكْدِيْبِ ؛ مِنْ
اِئْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ ، وَاسْتِرَارِكَ لِمَا قَدْ اخْتَبَرْتَ دُونَكَ ؛ هِرَارًا مِنَ الْحَقِّ ،
وَحُجُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِهِ ، يَمَّا قَدْ وَغَاهُ سَمُّكَ ، وَمِيلَى بِهِ صَدْرُكَ ؛
فَمَاذَا نَعُدُّ الْحَقَّ إِلَّا اِصْطِلَالًا ، وَآمَدَ الْبَيَانَ إِلَّا الْفَنَسُ !

فَاخْذِرِ الشَّهْمَ وَاسْتَيْمِلْهَا عَلَى لُحْمَتَيْهَا ، فَإِنَّ الْعِقْمَةَ طَالَمَا أَعْدَفَتْ خَلَاسَتَهَا ،
وَأَعْمَسَتْ الْأَنْصَارَ طُلُعَتُهَا . وَمَا أَتَانِي كَذَبٌ مِنْكَ دُونَ أَقَابِينَ مِنْ الْقَوْلِ صُمِعَتْ قَوَائِمُهَا
عَنِ السَّلَامِ ، وَأَسَاطِيرُ لَمْ يَحْكِبْهَا عَنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ ، أَمْسَحْتَ مِنْهَا كَالْحَائِضِ
فِي الدَّهَاسِ ، وَالْحَابِطِ فِي الدُّبَاسِ ، وَزَقَقْتَ إِلَى مَرْقَسَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَرَامِ ، نَارِخَةَ
الْأُفْلَامِ ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوَى ، وَيُحْدِثُ بِهَا الْعَيُّوْ ، وَخَاشَ اللَّهُ أَنْ تَبَى لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْ تَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا ، أَوْ أُجْرَى نَهْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا . فَمِنْ الْآنَ
فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِذَا فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُرْجِجَتْ
عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، وَمُصِيتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ أَيُّومَ مَقْبُولٍ ، وَالسَّلَامُ .

الشَّيْخُ :

أَنْ لَكَ وَأَنْتَ لَكَ عَمِّي ، أَي قَرُبَ وَحَلَا ، تقول : أَنْ لَكَ أَنْ تَعْمَلَ كَذَا يَشِينُ أَيُّنَا ،
وقال :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ لِي تُجَرَّ عَنِّي عَمَاتِي وَفُصِّرَ عَنِّي لَيْلِي ، بَلَى قَدْ أَتَى لِيَا
فَجَمَعَ بَيْنَ الْعَتَمَتَيْنِ ، وَ « أَتَى » مَقْلُوبَةٌ عَنْ « أَنْ » ، وَمِمَّا يَجْرِي بِجَرَى الْمَثَلِ قَوْلُهُمْ لَنْ
يُرُونَهُ شَيْئًا شَدِيدًا يُبْصِرُهُ وَلَا يَشْكُ فِيهِ : قَدْ رَأَتْهُ لَهَا بَاصِرًا ، قَالُوا : أَي نَظَرًا بِتَحْدِيقٍ
شَدِيدٍ ، وَنَحْرَحَهُ نَحْرَحَ رَحْلٍ لَا بِي وَتَارِصَ ، أَي دَوَّلَيْنِ وَتَمَرَّ ، مَمْسَى « بَاصِر »
ذُو بَصَرٍ ؛ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَاوِيَةَ : قَدْ حَسَّ لَكَ أَنْ تَنْتَمِعَ عَا تَعْلَمُهُ مِنْ مَعَايَةِ الْأُمُورِ
وَالْأَحْوَالِ وَتَتَحَقَّقَهُ بِقِيَا تَقْنُوكَ ، كَمَا تَتَحَقَّقُ دُو الْفَلَحِ الْبَاصِرُ مَا يُبْصِرُهُ بِحَاسَةِ بَصَرِهِ ،
وَأَرَادَ بَيَانِ الْأُمُورِ هَاهُنَا مَعَايِنَتَهَا ، وَهِيَ مَا يَعْرِفُهُ حَرُورَةٌ مِنْ أَسْتَحْقَاقٍ عَلَى عِلَّةِ السَّلَامِ
لِلْخَلَاةِ دُونَهُ ، وَرَأَيْتُهُ مِنْ كُلِّ شُئَةٍ يَسْتَحْبِبُهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : « فَقَدْ سَلَكْتَ » ، أَي أَتَمْتَ طَرِيقَ أَبِي سُفْيَانَ أَيْتَهُ وَعُتْبَةَ حَدَّثَكَ
وَأَمْثَلَهُمَا مِنْ أَهْلِكَ ذَوِي السُّكَّرِ وَالشَّقَاقِ

وَالْأَبَاطِيلُ : جَمْعُ بَاطِلٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، كُنْهُمْ حَمَمُوا إِبْطِيلًا .

وَالْأَقْتِحَامُ : إِقْنَاءُ النَّفْسِ فِي الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ دَوِيَّةٍ .

وَالْمَيْنُ الْكَذِبُ . وَالْأُرُورُ مَا نَصَمَ الْمَصْدَرُ وَمَا فَتَحَ الْأُصْمُ .

وَاتَّحَلَّتْ الْفَاسِيدةُ ، أَي ادَّعَيْتْهَا كَذِبًا .

قال : « مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ » ، أَي أَتَتْ دُونَ الْخَلَاةِ ، وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا وَالْأَثَرِازِ :

الْأَسْتِلَابُ .

قال : « لا قد أُخترت دونك » ، يعنى انسمى بإمرة المؤمنين .
ثم قال : « فرارا من الحق » ، أى فعلت ذلك كله هربا من التمسك بالحق والدين ،
وحبا للكفر والشقاق والتخب .

قال : « وحُجُودا لما هو الرّم » ، يعنى فرض طاعة على رعيه السلام ، لأنه قد وعّاها
ممنه ؛ لا ريب فى ذلك ، إنما بالنسبة فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كما نذكره
الشيعية - فقد كان معاوية حاصرا يوم العدير لأنه حج معهم حجة الوداع ، وقد كان أيضا
حاصرا يوم ثوك حين قال له بمحصر من الناس كافة : « أنت منى بمنزلة هارون من
موسى » ، وقد مُنع غير ذلك - وإنما بالشيعية كما نذكره بحسب ما قد اتصل به خبرها ،
وتواتر عبده وقوعها ، فصار وقوعها عنده معلوما بالضرورة كعليه شأن فى الدنيا بلدا أسما
مصر ، وإن كان ما رآها .

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عنه اسلام أنه يريد المسمى الأول ! ونحن نعرفه
على وجه لا يلزم منه ما تفوهه الشيعية ، فصور : نعرض أن السى صلى الله عليه وآله ما نص
عليه بالخلافة بعده ، أليس يعلم معاوية وعيريه من المتحاجة أنه لو قال له فى ألف مقام : « أما
حرب من حاربت وسيم لمن سالمت » ، وبحمد ذلك من قوله : « اللهم عاد من عاداه » ،
ووالى من والاه » ، وقوله : « حربك حربى وسيلتك سيلى » ، وقوله : « أنت مع الحق
والحق معك » ، وقوله : « هدايتى وأمامة » ، وقوله : « هدا أحيى » ، وقوله : « يحب الله
ورسوله » ، ويحبه الله ورسوله » ، وقوله : « اللهم انسى بأحب خلقك إليك » ، وقوله : « إنه
ولى كل مؤمن ومؤمنة ^(١) » ، وقوله : فى كلام قاله : « حاصيف انمل » ، وقوله :
« لا يحبّه إلا مؤمن ، ولا يُعصيه إلا منافق » ، وقوله : « إن الجنة لتشتاق إلى أرومة » ، وحمله
أولهم ؛ وقوله لعمار : « تفنك العثة الناعية » ، وقوله : « ستفانر الناكثين والفاستين

والمَارِقِينَ بِعَدِيٍّ » ، إلى غير ذلك مما يطولُ تعدُّدهُ جِداً ، ويحتاج إلى كتابٍ مُرَدٍّ يُوضَعُ له ،
أما كان يسمى لماويةً أن يعكروا هداويتهُ ، ويحشوا اللهَ ويتقيهُ ! فلعلهُ عليه السلام
إلى هذا أشار بقوله : « وَحُجُوداً لِمَا هُوَ الزَّمْ لَكَ مِنْ لِحْمِكَ وَدَمِكَ مِمَّا قَدْ وَعَاهَ سَمْعُكَ ،
وَمُلَى بِهِ صَدْرُكَ » .

قوله : « فَمَادَا تَمَدَّدَ الْحَقُّ إِلَّا الصَّلَاةُ ! » ^(١) كلمةٌ من الكلام الإلهي المقدس .
قال : « وبعد البيان إِلَّا اللّٰس » ، يقال : لَنَسْتُ عَلَيْهِ الأَمْرَ نَسّاً ، أى حَلَطْتُهُ ،
والمصارع يَلْبِسُ بالكسر .

قال : « أَحَدَرَ الشَّهَةِ وَأَشْنَاهَا » على الشَّهَةِ بالصم ، يقال في الأمر لُئْسَةُ أى أَشْنَاهُ
ولبس بواضح ؛ ويحوز أن يكون « أَشْنَاهُ » مصدراً مُصَافاً إلى معاوية ، أى أَحَدَرَ الشَّهَةِ
وَأَحَدَرَ أَشْنَاهُكَ بِتَابِهَا عَلَى اللّٰسَةِ ، أى أَذْرَاعَكَ بِهَا وَتَقَمَّصَتْ بِهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الإِبْهَامِ
وَالْأَشْتِيَاءِ ، ويحوز أن يكون مصدراً مُصَافاً إلى ضَمِيرِ الشَّهَةِ فقط ، أى أَحَدَرَ الشَّهَةِ
وَأَحْتَوَاهَا عَلَى اللّٰسَةِ الَّتِي فِيهَا .

وتقول : أَعَدَمْتُ الرَأْيَ قِيَاعَهَا ، أى أُرْسَنْتَهُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَأَعَدَفْتُ اللَّيْلَ ، أى أُرَخَيْ
سُدُولَهُ ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ التَّعْطِيَّةُ .

والْحَلَايِيسُ : جَمْعُ حُبَابٍ ، وَهُوَ الثَّوْبُ .

قال : « وَأَعَشَّتِ الْأَنْصَارَ طُنْمَتُهَا » : أى أَكْسَبَتْهَا الْعَشَى وَهُوَ ظُلْمَةُ الْعَيْنِ . وَرَوَى
« وَأَعَشَّتْ » بِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ « طُنْمَتُهَا » بِالْفَصْلِ ، أى حَمَلَتْ الْفِتْنَةُ طُلْعَهَا عِشَاءً لِلْأَبْصَارِ .
وَالْأَفَانِينُ : الْأَسَالِيبُ الْمُخْتَلِفَةُ .

قوله : « ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّمِّ » ، أى عَنِ الْإِسْلَامِ ، أى لَا تَصْدُرُ يَتْلُكَ الْأَفَانِينُ

المحتلطة عن مسلم ، وكان كَتَبَ إِلَيْهِ يَطْبُ مَهْ أَلْ يَفْرَدَه بِالشَّامِ ، وَأَنْ يُولِّيَه الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْأَيُّكَفَهُ الْحُضُورَ عِنْدَهُ . وَفَرَأَ أَبُو عَمْرٍو : ﴿ اذْهَبُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾ ^(١) ؛ وَقَالَ : لَيْسَ الْمَعْنَى بِهَذَا الصَّلَاحِ ، بَلِ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ لَا غَيْرَ ، وَمَعْنَى « صَعِمَتْ قُرَاهَا » ، أَيْ لَيْسَ لَتِلْكَ الطَّلَبَاتِ وَالذَّعَاوَى وَالشُّبُهَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا كِتَابُكَ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُتَمَسِّكُ بِهِ مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُ كَلَامٌ لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ ؛ إِمَّا كَافِرٌ مُسَافِقٌ أَوْ فَاسِقٌ ، وَالْكَافِرُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ ، وَالْفَاسِقُ أَيْضًا لَيْسَ بِمُسْلِمٍ - عَنِ فُؤَادِ صَاحِبِنَا - وَلَا كَافِرٌ .

ثُمَّ قَالَ : « وَأَسَاطِيرُ لَمْ يَخْتَكُمَهَا مَدَّكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ » ، الْأَسَاطِيرُ : الْأَبَاحِيلُ ، وَاحِدُهَا أُسْطُورَةٌ بِالضَّمِّ وَاسْطَارَةٌ بِالْكَسْرِ وَالْأَلْفِ . وَخَوَّكُ الْكَلَامِ : سَنَعْتُهُ وَنَطَقْتُهُ . وَالْحِلْمُ : الْقَبُولُ ، يَقُولُ لَهُ . مَا صَدَرَ هَذَا الْكَلَامُ وَاهْتَجَرَ أَعَاسِدُ عَنْ عَالَمٍ وَلَا عَاقِلٍ .

وَمِنْ رَوَاهَا « الدِّهَاس » بِالْكَسْرِ فَهُوَ جَمْعُ دَهَسٍ ، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالْفَتْحِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، يَقُولُ ؛ هَذَا دَهَسٌ وَدِهَاسٌ بِالْفَتْحِ ، مِثْلُ لَيْتَ وَلَيْتَ لِلْكَافِرِ التَّهْلُ الْبَدِي لَا يَنْبَغُ أَنْ يَكُونَ رَمَلًا ، وَلَيْسَ هُوَ بِتَرَابٍ وَلَا طِينٍ :

وَالدِّهَاسُ بِالْكَسْرِ : التَّرَبُّ الْمُطْلِمُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَفِي حَدِيثِ الْمَسِيحِ : « إِنَّهُ سَنَطُ الشَّعْرِ ، كَثِيرُ خِيَلَانِ الْوَحْه ، كَأَنَّهُ حَرَّاحٌ مِنْ دِيهَاسٍ » ، يَعْنِي وَبَصَرَتَهُ وَكَثْرَةَ مَاءِ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ حَرَّاحٌ مِنْ كَيْنٍ ، لِأَنَّهُ قَالِي وَسِعِهِ : كُنْ رَأْسَهُ بِمَطَرُ مَاءٍ ، وَكُلُّهُ لِحَاحٌ سِيحُ أَسْمِهِ الدِّهَاسُ لَطْمَتُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ دَمَسَ الطَّلَامُ يَدْمَسُ أَيْ اشْتَدَّ ، وَلَيْلٌ دَامِسٌ وَدَامُوسٌ ، أَيْ مُطْلِمٌ : وَهَاءُ فُلَانٍ بِأُمُورٍ دَمَسَ ، أَيْ مُطْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ ، يَقُولُ لَهُ : أَمْتُ فِي كِتَابِكَ هَذَا كَالْخَانِضِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الرَّخْوَةِ ، وَتَمُومُ وَتَفْعُ وَلَا تَتَخَلَّصُ ، وَكَالْخَانِطِ فِي اللَّيْلِ الْمُطْلِمِ يَعْتُرُ وَيَنْهَضُ وَلَا يَهْتَدِي الطَّرِيقَ .

(١) سُورَةُ الْقُرَةِ ٢٠٨ وَاصْبِرْ تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ٣ : ٢٣ .

والمَرْقَبَةُ : الوضعُ العالى . والأعلام : جمع عَلَم ، وهو ما يُهْتَدَى به فى الطرقات من المنار ، يقول له : مِمَّتْ هَمَّتْك إلى دَعْوَى الحِلَامة ، وهى منك كالمرْقَبَةِ التى لا تُرام شَمْدٌ على من يَطْلُبُها ، وليس فيها أعلامٌ تُهْدَى لى سبوك طريقها ، أى الطرقُ إليها غامضة ، كالجبلِ الأملِسِ أَدَى لیس فيه دَرَج ومَرَاقٍ يُسَلَكُ منها إلى دِرْوَتِهِ .

والأَبُوقُ على « قَمُول » بالفتح كَأَكُولٍ وشَرُوبٍ : طائر ، وهو الرَّحْمَةُ . وفى المثل : « أَعَزُّ من نَبِيسِ الأَبُوقِ » ؛ لأنها تُحرِّره ولا يَكَادُ أَحَدٌ يَطْعَمُ به ، وذلك لأنَّ أَوَكَّارَهَا فى دُروسِ الحِمالِ والأَمَاكِنِ الصَّعْبَةِ البَعِيدَةِ .

والمَيَّوُ : كوكب معروف فوق رُحْلِ فى العُلُوِّ ، وهذه أمثالٌ مَرَبَّهَا فى نَمْدٍ معاوية عن الخلافة .

ثم قال : « حَاشَ اللَّهُ أنْ أَدُلِّيكَ شَيْئاً منْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ نَمْدِي » ، أى تَمَادُ اللَّهُ ، والأَصْلُ إمَاتِ الألفِ فى « حَاشَا » ، ويَعْنَى تَبِيعَ بها المصحف .
والوَرْدُ والصَّدَرُ : الدَّخُولُ والخُرُوجُ ، وأَصْلُهُ فى الإِبلِ والماءِ . وَيَهْدِيكَ عِبَادَ اللَّهِ ، أى يَنْهَسُ . وَأَرْنَجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ : أُعْجِفت .

وهذا الكتابُ هو حِوَابُ كتابِ وَصَلٍ من معاوية إليه عليه السلام بعد قَتْلِ عِلَى عليه السلام الخوارجَ ، وفيه تدويعٌ بما كَلِمَ بقوله من قَتْلٍ : إنَّ رسولَ اللَّهِ وَعَدَنى بِقِتَالِ طَائِفَةٍ أُخْرَى عِوَرِ أَصْحَابِ الْحَمْلِ وَصِغِيٍّ ، وَبَنِي سَمَاءِ الدَّرِيقِينَ ، فَلَمَّا وَاقَعَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّهْرَوَانِ وَقَتَلَهُمْ كُلَّهُمْ يَوْمَ وَاحِدٍ وَهَمَّ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارْسَ أَحَبَّ أنْ يَدْكُرَ معاوية بما كان يقول من قَتْلٍ ، وَيَعِدُ به أَصْحَابَهُ وَخَوَاصَّهُ ، فقال له : قَدْ آَنَ لَكَ أنْ تَنْتَفِعَ بِمَا طَائِفَتٌ وَشَاهَدَتْ مُعَايَةَ وَمُشَاهَدَةً ، من صدقَ القولِ أَدَى كُنْتُ أَقُولُهُ لِلنَّاسِ وَيَلْمَعُ فَتَسْتَهْزِئُ بِهِ .

(٦٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى عبدالله بن العباس ، وقد تقدم ذكره

بمخلاف هذه الرواية :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّ السَّدَّ لَيَفْرَحُ بِأَشْيٍ أَدْرَى لَمْ يَكُنْ لَيَمُوتُهُ ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ
الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَيُصِيبُهُ ، فَلَا يَكُنْ أَقْصَرُ مَا يَنْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ يُلْوَعُ لَدُّهُ ،
أَوْ شِمَاءُ غَيْطٍ ؛ وَلَكِنْ إِنْطَاءٌ بِأَطْلَرٍ ، وَإِحْتِمَاءٌ بِحَقِيرٍ .
وَلَيْسَ سُرُودُكَ عَمَّا قَدَّمْتَ ، وَأَسْعَفُكَ عَلَى مَا حَلَفْتَ ، وَهَذَاكَ فِيمَا نَعْدُ الْمَوْتَ .

الشرح :

هذا الفصل قد تقدم شرح نظيره ، وليس في ألفاظه ولا معانيه ما يقتدر إلى تفسير ،
ولكننا سددنا من كلام الحكماء ولصالحين كل ما يناسبه .

[نبذ من كلام الحكماء]

في كلام بعضهم : ما قدَّر لك أنك ، وما لم يُقدَّر لك نَعْدَاكَ ، فعلام تفرح بما لم
يكن بدًّا من وصوله إليك ، وعلام تحزن بما لم يكن ليقيم عليك ؟

ومن كلامهم : الدنيا تقل إقبالًا طاب ، وتدير إدارًا هارب ، وتصل وصالًا منهالك ،
وتفارق فراقًا للخص الفارك ، تحيرها يسير ، وعيها قصير ، وإقبالها خدعة ، وإدبارها

فَجُتَّة ، وَلَدَاتُهَا غَانِيَةٌ ، وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةٌ ، فَاعْتَنِمِ عِفْلَةَ الزَّمَانِ ، وَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ،
وَخُذْ مِنْ تَقْسِيكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَرَوْدْ مِنْ يَوْمِكَ لِمَدِّكَ قَبْلَ بَقَاةِ الدُّدَّةِ ، وَزَوَالِ الْقُدْرَةِ ،
فَلِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ مَا يَنْفَعُهُ عَلَى عِمَارَةِ أُخْرَاهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَنْ سَكَّدَ الدُّنْيَا أُنْهَاهَا لَا تَبْقَى عَلَى حَالَةٍ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ امْتِحَالَةٍ ،
تُصْلِحُ جَانِبًا بِإِفْسَادِ جَانِبٍ ، وَتُسَرِّ صَاحِبًا بِمَسَاءَةِ صَاحِبٍ ؛ فَالَّتِي كُونُ فِيهَا حَظَرٌ ،
وَالثِّقَةُ إِلَيْهَا عَرَرٌ ، وَالِاتِّجَاهُ إِلَيْهَا مُحَالٌ ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَيْهَا ضَلَالٌ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : لَا تَنْهَجَنَّ لِمَسْكَ بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ لَدَاتِهَا الْخَتَامِيَّةِ ، وَابْتَهَجْ لَهَا
بِمَا تَمَالُهُ مِنْ لَدَاتِهَا الْعَقْلِيَّةِ . وَمَنْ اقُولْ بِالْحَقِّ ، وَالْعَمَلْ بِالْحَقِّ ، فَإِنَّ اللَّذَاتِ الْحَسَنِيَّةَ
خَيَالٌ يَنْفَدُ ، وَالْمَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْأَبَدِ .

(٦٧)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمَّ لِلنَّاسِ الْحَقَّ ، وَدَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَاحْلِسْ لَهُمُ الْبَصَرَيْنِ ،
فَأَنْتَ الْمُسْتَفْتَى ، وَعَلَّمَ الْجَاهِلَ ، وَدَاكِرُ^(١) الْعَالَمِ ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَمِيرٌ
إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ .

وَلَا تَخْجُنْ دَا حَاجَةً عَنِ لِقَائِكَ بِهِ ، فَلَيْسَ بِهَا بِنُ دِيدَتٍ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا
لَمْ نَحْمَدُ حَيْثَا بَعْدُ عَلَى قَصَائِدِهَا

وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ قَصْرُهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ دَوَى الْمَيْلِ
وَالْمَجَاعَةِ ، مُصِيبًا بِهِ مَوَاصِعَ الْمَعَارِفِ وَالْحَلَاتِ ، وَمَا فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْصِلْهُ إِلَيْنَا
لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَكَ .

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَارِكِنِ أَجْرًا ، فَإِنَّ اللَّهَ سُنْحَانُهُ يَقُولُ :
(سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)^(٢) قَالَمَّا كَفُ : الْمَقِيمُ بِهِ ، وَالْبَادِي : الَّذِي يَخْجُجُ إِلَيْهِ
مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَقَا اللَّهُ وَإِنَّا كُمْ لِمَحَابَّةٍ وَالسَّلَامُ .

• • •

الْبُرْخ :

قد تقدم ذكر قُتَمَ وسه . أمره أن يقيمَ لنفسِ حَقِّهم ، وأن يدكرهم بأيام الله ، وهي أيام الإسماع ، وأيام الانتقام ، لتحمِلَ الرعدة والرهبة .

واجلس لهم العَصْرَيْن : الغداة والعشي .

ثم قسم له ثمرة حلوسه لهم ثلاثة أقسام : إما أن يمتي مُستفتيا من العامة في بعض الأحكام ، وإما أن يعلم متعلما يطلب اليقظة ، وإما أن يُداكر^(١) علما ويُباحثه ويُعاوره ، ولم يدكر السباسة والأمور ، استدلابة لأن عرسه متعلق بالجميع ، وهم أسيافه ، يقيمون ليالي يسيرة ويقيدون ؛ وإنما يدكر السباسة وما يتعلق بها فيما يرجع إلى أهل مكة ، ومن يدخل محب ولايته دائما ، ثم يهرب عن وسطه سُقراء وألحقاب يئس وينهم ، بل يسعى أن يكون سميعة لسانه ، وحاجبه وجهه ، ورؤي « ولا يكن إلا لسانك سميرا لك إلى الناس » يحمل « لسانك » اسم كان مثل قوله : « فما كَارَ حَوَاتٍ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا »^(٢) ، والرواية الأولى هي المشهورة ، وهو أن يكون « سميرا » اسم كان ، و « لك » حرمها ، ولا يصح ما قاله الروادعي : « بن حرمها » إلى « إلى » ، لأن « إلى » هاهنا متعلقة بنفس « سفير » ، فلا يجوز أن تكون الحرة عن « سفير » ، تقول : سمرتُ إلى بني فلان في الصلح ، وإذا تعلق حرف الحرة بالكلمة صار كالشيء الواحد .

ثم قال : فإمّا إن ذيدت أي طردت ودُفعت .

كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتبُ المأمون إذا سئل الحاجة يشتم السائل ، ويسطو عليه ويُخجله ، ويُسكته ساعة ثم يأمر به بها ؛ فيقوم وقد صارت إليه ، وهو يذمه ويلعنه قال علي بن حنبل العكوك :

(١) و د د بذكر . (٢) سورة النمل ٥٦ .

لَمَنْ اللَّهُ أَبَا عَمَّادٍ لَنَا يَسْأَلُ
يُوسِعُ السَّائِلَ شَيْئاً ثُمَّ يُعْطِيهِ السَّؤَالَ

وكان الناسُ يَقْعُونَ لأبي عَمَّادٍ وقتَ رُكُوبِهِ ، فيتقدَّم الواحدُ منهم إليه بقصته ليناوله
إِيَّاهَا ، فيركِّله بِرِجْلِهِ الْوَلَى كَلْبٌ ، وَيَضْرِبُهُ بِسَوْطِهِ ، وَيَطِيرُ عَصْباً ، ثُمَّ لَا يَنْزِلُ عَنْ فَرْسِهِ
حَتَّى يَقْعَى حَاجَتَهُ ، وَيَأْمُرُ لَهُ بِصَلَاتِهِ ، فيصرفُ الرِّحْلُ بِهَا وهو دَائِمٌ لَهُ سَاطِطٌ عَلَيْهِ ؛
فَقَالَ فِيهِ دِقْبِيلُ :

أَوَّلَى الْأُمُورِ بِضَيْمَةٍ وَفَسَادٍ مُلْكُكَ يَذْبُرُهُ أَبُو عَمَّادٍ^(١)
مَشْمُودٌ بِدَوَاتِهِ خُلَاءِ^(٢) مُضْرَجٌ وَمَحْصَةٌ بِعَمَّادٍ
وَكُنْتَهُ مِنْ دَيْرٍ هَزَقْلٍ مُعْتٍ حَرْبٌ يَمْحُرُ سَلَالِلَ الْأَفْيَادِ^(٣)
فَأَشَدُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّادَهُ أَشَدَّ مَعَهُ فِي يَدِ الْحَدَّادِ

وَقَالَ فِيهِ لَعْنُ الشُّعْرَاءِ :

قَالَ لِلْخَلِيفَةِ يَا بْنَ عَمٍّ مُحَمَّدٍ قَبْدٌ وَدِرْكَاتٌ إِنَّهُ رَكَّالٌ
فَلَسَوْطُهُ بَيْنَ الرَّءُوسِ مَسَالِكُ وَلِرِجْلِهِ بَيْنَ الصَّدُورِ عَالٌ

وَالْمَقَامُ : الْحَاجَاتُ ؛ يَقَالُ : سَدَّ اللَّهُ مَدْفَرَهُ ، أَيْ أَعْنَى اللَّهُ قَرَرَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَأْمُرَ
أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْحَبِيجِ أَجْرَةَ مَسْكَنٍ ، وَاحْتَنَعَ عَلَى ذَلِكَ بِالْآيَةِ ،
وَأَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا فِي امْتِنَاعِ بَيْعِ دُورِ مَكَّةَ وَإِجْلَانِهَا ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ

(١) ديوانه ٧١ ، وروايته : « أَمْرٌ يَذْبُرُهُ أَبُو عَمَّادٍ » وبمعنى هَالِكٌ :

جِرْقٌ عَلَى خُلْسَائِهِ فَسَكَّائِهِمْ حَصَرُوا لِلْحَمَقِ وَيَوْمَ حِلَادٍ

(٢) الديوان : « يَسْلُو عَلَى كِتَابِهِ بِدَوَاتِهِ » .

(٣) الديوان : « حَرْدٌ » وَدَيْرٌ هَزَقْلٌ : بِمَجْمَعِ الْهَاجِنِ كُلِّ .

السجدة الحرام هو مكة كلها ، والشافعي يرى خلاف ذلك ، ويقول : إنه الكعبة ، ولا يجمع من يتبع دور مكة ولا إحرامها ، ويحتج بموله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ ^(١) ، وأصحاب أن حيمة يقرون : إنها إضافة اختصاص لا إضافة تملك ، كما تقول : حل الذابة ، وقرا « سواء » بالنصب على أن يكون أحد معنوي « حملنا » أي جعلناه مستويًا فيه الماكف والباد ، ومن قرا بالرفع حمل اللمعة هي ^(٢) الممول الثاني .

(١) الحج ٤ . (٢) ي د ه على .

(٦٨)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته :

أَمَّا بَعْدُ ، فَبِمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَرٌ^(١) الْحَقِيقَةُ ، لَيْسَ مَسْئَلُهَا ، فَارْتُلُ تَحْتَهَا ، فَأَعْرِضْ
كَمَّا يُنَجِّحُكَ فِيهَا ، لِقِدَّةِ مَا يَصْنَعُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا ، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ
مِنْ جَوَائِزِهَا ، وَنَصْرِفْ حَالَيَهَا ، وَكُنْ نَسَماً تَكُونُ بِهَا أَخَذَرُ مَا تَكُونُ مِنْهَا ،
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُنَّا أَطْمَآنُ بِهَا إِلَى سُرُورِ أَشْجَمَتِهِ إِلَى تَحْدُورِ ، أَوْ إِلَى إِسْنَانِ
رَأَيْتُهُ عَنْهُ إِلَى إِحْشَاشٍ ؛ وَالسَّلَامُ .

الْبَزَجُ :

[سلمان الفارسي وخبر إسلامه]

سَلْمَانُ ، رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ مِنْ دَآمَهْرُ مَرْ ، وَقِيلَ . بَلْ مِنْ أَصْبَهَانَ ، مِنْ مَرْيَمَ يَمَالُ لَهَا
حَقٌّ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ مَوَالِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ وَكُنِيَّتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ،
وَكَانَ إِذَا قِيلَ : ابْنُ مَنْ أَتَى ؟ يَقُولُ : أَنَا سَلْمَانُ ، ابْنُ الْإِسْلَامِ ، أَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ .
وَمِمَّا رُوِيَ أَنَّهُ قَدْ تَدَاوَلَهُ أَرْبَابٌ كَثِيرَةٌ ، نَصْعَةً عَشَرَ رَتَا ؛ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرٍ
حَتَّى أَقْفَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢) .

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِ "الِاسْتِيعَابِ" أَنَّ سَلْمَانَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ

(١) وَ د « كَتْل » .

(٢) الْإِسْتِيعَابُ ٦٣٤ وَمَا بَعْدَهَا (طَمَعُ هَمَّةٍ مَصْر) ، وَبَعْدَهَا عَاكُ : « وَمِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ » .

صلى الله عليه وآله بصدقة ، فقال : هذه صدقة عليك وعلى أصحابك ، فلم يقبلها ، وقال : إنه لا تجل لنا الصدقة ، فرقمها ، ثم حامس العدي عنيها وقال : هدية هذه ، فقال لأصحابه : كلوا . وأشتراه من أربابه ، وهم قوم يهود يدراهم ، وعلى أن يفرس لهم من التخيل كذا وكذا ، ويممل فيها حتى تدرك ، فمرس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك النخل كله بيده . لا لحلة واحدة عرسها عمر بن الخطاب ، فأطعم المتحل كله إلا تلك الحلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا من عرسها » ؟ قيل : عمر ؛ فقدمها وعرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فأطعمت (١) .

قال أبو عمر : وكان سلمان يصف (٢) الخوص وهو أمير على المدائن وبنييه وبنا كل منه : ويقول : لا أحب أن آكل إلا من كمن يدي ، وكان قد تعلم صف الخوص من البرينة .

وأول مشاهده الخندق ، وهو النبي أشير بحمره ، فقال أبو سفيان وأصحابه لما رأوه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها .

قال أبو عمر : وقد روي أن سلمان شهد تذر وأحدا ، وهو عبد يومئذ ؛ والأكثر أن أول مشاهديه الخندق ، ولم يقته بعد ذلك مشهد .

قال : وكان سلمان خيرا ، فاضلا ، خيرا ، عاديا ، زاهدا ، متقشفا .

قال : وذكر هشام بن حسان عن الحسن بنصري ، قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان إذا حرج عطاؤه يصدق به ، ويأكل من كمن يده ، وكانت له عشاء يهرش بعضها ويلبس بعضها .

(١) بعدما في الاستقامات : « من عابها » .

(٢) يصف الخوص ، أي يسعه ، ووي اللسان . « ووي حدثني در ، قالت له امرأة : ما في بيتك سعة

ولا هفة ؟ السفة : ما يصف من الخوص كالزبيب وعموه » .

قال : وقد ذكر أبو زهَب وابنُ نافع أنَّ سلمان لم يكن له بيت ، إنما كان يستظلُّ بالحدُّر والشَّجَر ، وأنَّ رجلاً قال له : ألا أُبينُ لك شيئاً تُسكنُ فيه ؟ قال : لا حاجة لي في ذلك ، فما زال به الرجلُ حتى قال له : أبا أعرفُ ، لئيبَ تدى يوافقتُ ، قال : معيَّنه لي ، قال : أُبينُ لك شيئاً إذا أتتَ فيه أصابَ رأسك سَقَمُهُ ، وإنَّ أنتَ مدَدتَ فيه رَحْطَيْهِ أصابَهُمَا [الحِدار ^(١)] ؟ قال : نعم ، فسَى له .

قال أبو عمر : وقد رُوِيَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله من وحوه أنه قال : « لو كان الدِّينُ في الثَّرى لَدَلَّه سَلْمَان » ، وفي روايةٍ أخرى « لَمَالَهُ رَحْلٌ مِنْ فَارِس » .

قال . وقد رَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ سَلْمَانُ يَحْلِسُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِعَرْدٍ بِهِ «لَيْلٍ حَتَّى كَادَ يَمْلِكُنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

قال : وقد رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « أُمَرَى رَجُلٍ بِحُجَّةٍ أَرْضَةٍ ، وَأَجَبَنِي أَنَّهُ يَحْتَمِلُهُمْ عَلَى ، وَأَبُو ذَرٍّ ، وَالْقِدَادُ ، وَسَلْمَانُ » .

قال : وَرَوَى قَتَادَةُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : « سَلْمَانُ صَاحِبُ الْكِتَابَيْنِ » يَعْنِي الْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ .

وقد رَوَى الْأَمْشِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صُرَّةَ ، عَنْ أَبِي النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ سَلْمَانَ فَقَالَ : عَلِيمُ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ ، وَابْعَلَمُ الْآخِرِ ، ذَلِكَ بِمَجْرُلٍ لَا يُنْزَفُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ .

قال : وفي روايةٍ رَدَّادٍ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ كُلُّهُنَّ الْحَكِيمُ .

قال : وقال فيه كَتَبَ الْأَحْصَارُ : سَلْمَانُ حُشِيَ عَيْنَا وَحِكْمَةُ .

قال: وفي الحديث المروي أن أبا سفيان مرّ على ستماء وصهيب وبلال في صرير من المسلمين فقالوا: ما أحدث السيوف من غنق عدو الله ما حدها - وأبو سفيان يسمع قولهم فقال لهم أبو بكر: أنقولون هذا لشيخ قريش وسيدها! وأنى اسى صلى الله عليه وآله وأحمره فقال: يا أبا بكر، لذلك أعصتكم! لئن كنت أعصتكم لقد أعصت الله، فأتاهم أبو بكر، فقال أبو بكر: يا بحوثاه، لعنّى أعصتكم! فقلوا: لا يا أبا بكر، بغير الله لك .
قال: وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين أنى الدرداء لما آخى بين المسلمين .

قال: وللعلم فصائل خمسة، وأحد حس ، وثوى في آجر خلافة عثمان ستة حس وثلاثين ؛ وقيل . ثوى في أول سنة ست وثلاثين . وفرد يوم ثوى في خلافة عمر ، والأول أكثر .



وأما حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين^(١) وزوده عنه ، قال . كنت أس دهمار^(٢) مرية حتى من أصهار ، وبلغ من حبة أنى أن حنسى في البيت كما تحبس الحارية ، فأخذهت في الغوسية حتى صرت قطن^(٣) بيت النار ، فأرسلنى أنى يوماً إلى صبيحة له ، فمررت بكاسفة البصرى ، فدخلت عليهم ، فأعجبتنى صلاتهم ، فقلت : دين هؤلاء خير من دينى ، فسالهم . أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فمررت من والدى حتى قديمت شام ، فدخلت على الأسقف^(٤) فحملت أخدمه وأتعلم منه ، حتى حصرته الوفاة ، فقلت : إى من توصى بى ؟ فقال : قد هلك الناس وتركوأ دينهم إلا رجلاً بالموصل ملحق به ، فلما قضى نحبه لحقت بذلك الرجل

(١) وقد ذكر خبر إسلامه أيضا ابن هشام ؛ وأورده في سيره ١ - ٢٣٣ - ٢ : ٢ .

(٢) الدهمان : شيخ القرية في بلاد فارس

(٣) قطن النار : خادمها

(٤) الأسقف : من وظائف النصارى ، وهو فوق القيس ودون القبر .

فلم يَدَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى حَصَرْتُهُ الْوَفَاةَ ، فَقَتُّ : إِلَى مَنْ تُوصِي نِي ؟ فَقَالَ : مَا أَعْلَمُ رَحَلًا
يَقِي عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ إِلَّا رَحَلًا نَصِيبِي ، فَجَعَلْتُ لِمَا صَاحَبَ نَصِيبِي . قَالُوا : وَتِلْكَ
الْمُسَوِّمَةُ الْيَوْمَ نَاقِيَةٌ ، وَهِيَ أَسَى نَعْتِدُ بِهَا سَلْمَانَ قَدْلَ الْإِسْلَامِ . قَالَ : ثُمَّ احْتَصِرَ صَاحِبُ
نَصِيبِي ، فَجَعَلَنِي إِلَى رَحَلٍ نَعْمُودِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَأَتَيْتُهُ وَأَقْبَتُ عَمْدَهُ ، وَاسْتَسْتُ
تُقَرَّاتٍ وَعُصَمَاءَ ، هَذَا رَجُلٌ بِهِ الْمَوْتُ قَتُّهُ . مَنْ يُوصِي نِي ؟ فَقَالَ : قَدْ تَرَكْتُ النَّاسَ
دِينَهُمْ ، وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَقَدْ أَطْلَقْتُ رِمَالِي سَيِّمُوتُ بَدِينِ إِبْرَاهِيمَ ،
يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مَهَاجِرًا إِلَى أَرْضِ بَيْنِ حَرْبَيْنِ ، هَاهُنَا يَحْلِلُ ، هُنَا يَمُوتُ ؟ قَالَ
مَا كُلُّ الْهَدِيَّةِ ، وَلَا مَا كُلُّ الصَّدَقَةِ ، بَلْ كَيْفِيَّةُ حَاتِمُ السَّوَدِ .

قَالَ . وَمَنْ نِي رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغُوا نِي وَادِي الْقُرَى طَلَبُونِي
وَدَعُونِي مِنْ يَهُودِيٍّ ، فَكُنْتُ أَعْمَلُ لَهُ فِي دَرَجَتِهِ وَبَحْلِهِ ، فَتَسَاءَلْنَا عَنْهُ إِذْ قَدِمَ ابْنُ عَمِّ
لَهُ ، فَاشَاعَنِي بِهِ ، وَجَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَلَّيْتُهُ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَتْهَا عَرَفَتُهَا ، وَامْتَنَ اللَّهُ
عَمْدًا عَمَّهُ . وَلَا أَعْلَمُ شَيْءًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَتَسَاءَلْنَا فِي رَأْسِ بَحْلِهِ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمِّ لِسَيِّدِي ،
فَقَالَ : قَاتِلْ اللَّهَ نِي فَيْلَةً ، قَدْ احْتَمَمُوا عَلَى رَحْلِي بِمَاءٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ ، يَرْمُونَ
أَنَّهُ نِي . قَالَ : فَأَخَذَنِي الْفَرُّ وَالْإِنْمَاصُ ، وَرَبْتُ عَنِ ^(١) الْمَحَلَّةِ ، وَجَعَلْتُ أَسْتَقْصِي فِي
السُّؤَالِ ، ثُمَّ كَلَّمَنِي سَيِّدِي بِكَلِمَةٍ ، بَلْ قَالَ : قَوْلٌ عَلَى سَائِلِكَ ، وَدَعْ مَا لَا يَنْبَغُ لَكَ . فَذَا
أَمْسَيْتُ أَحْدَثْتُ شَيْئًا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْخَمْرِ ، وَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فَقُلْتُ لَهُ : بِمَعْنَى أَلَيْكَ رَحْلٌ صَاحِبٌ ، وَأَنْ لَكَ أَصْحَابًا عَرَبًا دَوَى حَاحَةٍ . وَهَذَا شَيْءٌ
عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ عَمْرِكُمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ، وَأَمْسِكْ
فَلَمْ يَأْكُلْ ؟ فَقُلْتُ فِي هَيْئَةٍ هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، وَبَصُرْتُ ، فَمَا كَانَ مِنْ بَعْدِ أَحْدَثُ
مَا كَانَ بَقِيَ عِنْدِي وَأَسْتَهْ . فَتَلَّ لَهُ : نِي أَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ ،

فقال : كلوا وأكل معهم ، فقلتُ به لمو ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ؛ فقال : مالك ؟ فتصنعت عليه القصة ؛ فأنجحه ، ثم قال : ناسنم ، كاتبٌ صاحبك ، فكانت عليه ثلثمائة محلة وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأَنْصار : « أعيِنوا أحاكم ، فأعانوني بالمثل حتى جمعت ثلثمائة ودية ، فوصعها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ، فصحت كلها ، وأماه مالٌ من بعض أنصارى ، فأعطاني منه ، وقال : أدّ كُتاتَكَ ، فأدّيت وعَتَقْت .

وكان سلمان من شيعة عليّ عليه السلام وحاشته ، وترغم الإمامية أنه أحدُ الأربعة الذين خلّقوا رءوسهم وأنوفهم متقلّدي سيورهم في حجر يطول ؛ وليس هذا موضع ذكره ، وأما ما لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة ، وإنما يخالفونهم في أمرٍ أُريد من ذلك ؛ وما يذكره المحدثون من قوله للسلف يوم السقيفة : كرديد ومكرديد محمولٌ عند أصحابنا على أن المراد صغفٌ شيئاً وما صغفتم ، أي استحلقتهم حنيفةً ونعم ما فعلتم ، إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت ، فهو كان الخليفة منهم كان أول ، والإمامية تقول : معناه . « أسلتم وما أسلتم » ، واللفظة المذكورة في الفارسية لا تُعطى هذا المعنى ، وإنما تدلّ على الفعل والفعل لا غير ، ويدلّ على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمري على المدائن ، فهو كان ما نسبته الإمامية إليه حقاً لم يعمل له .

فأما ألفاظ الفصل ومعاريفه فطاهرة ، وهي بِناسِبٍ مصمومة قول بعض الحكماء : نَمَرٌ عن الشيء إذا سُبِغَتْ ، بقلة صحبته لك إذا أُعْصِيَتْ .

وكان يقال : الهالك على الديب رحل : رحلٌ نَافسٌ في عِرْها ، ورحلٌ أَيْفٌ مِن ذُلّها .

ومرّ بعض الزهاد باب دار وأهلهما يكون ميتاً لهم ؟ فقال : وانحما لقوم مسافرين !
يكون مسافراً قد بلغ منزله !

وكان يقال : يا بني آدم ، لا تأسف على مفقود لا يرده عليك القوت ، ولا تفرح بموجود
لا يتركه عليك الموت .

لحق عالم من العلماء راحها فقال : أيتها الراهب ، كيف ترى الدنيا ؟ قال : تُخلى
الأبدان ، وتحدد الآمال ، وتبعد الأمية ، وتقرّب الميّة ؛ قال : فما حال أهدى ؟ قال :
من ظفر بها نص ، ومن فاته أسف ؛ قال : فكيف العتي عنها ؟ قال : يقطع الرجاء منها ؛
قال : فأى الأصحاب أبرّ وأوفى ؟ قال : الصالح ؛ قال : فأيهم أصرّ وأسكى ؟ قال :
الصبر والهوى ؛ قال : فكيف امحرج ؟ قال : في سلوك النهج ، قال : وماذا أسلكه ؟
قال : بأن يجمع لئس الشهوات النامية ، وتعمل للدّار الآقية .

(٦٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى الخارث الحمداني :

وَمَسَّكَ بِمَحَلِّ الْقُرْآنِ وَانْتَصَحَهُ ، وَأَحْلَى حَلَالَهُ ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، وَصَدَّقَ
عَاسَلَفَ مِنَ الْحَقِّ ، وَاعْتَدَرَ عَاسَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا ، فَإِنَّ تَمَاضِيَهَا يُشْبِهُ
نَمَصًا ، وَآخِرَهَا لَا حَقَّ بِأَوَّلِهَا ، وَكُنْهَا حَازِلٌ مُدْرِقٌ .

وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا لَمَدَ الْمَوْتِ ،
وَلَا يَتَمَنَّاهُ الْمَوْتُ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيْقٍ .

وَاحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ سَاحِجُهُ لِقِيهِ ، وَيَسْكُرُهُ لِمَائَةِ الْمُسِيْمِينَ ، وَاحْذَرُ
كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السَّرِّ ، وَيُسْتَعْنَى مِنْهُ فِي الْعَمَلِيَّةِ ، وَاحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ
إِذَا سُئِلَ عَنْهُ سَاحِجُهُ أَنْكَرَهُ وَاعْتَدَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْصَكَ غَرَضًا لِإِنْسَانٍ أَوْ قَوْمٍ ،
وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ ، فَكُنْ بِدَلِكِ كَدِيمًا ، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ
كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ . فَكُنْ بِدَلِكِ حَمِيْلًا .

وَإِكْطِمْ أَمِيضًا ، وَاحْطِمْ عِنْدَ الْعَصْرِ ، وَتَحَاوَرْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ ، وَاصْفَحْ مَعَ الدُّوَلَةِ
تَكُنْ لَكَ أَعَاقِبَةٌ ، وَاسْتَصْلِحْ كَرًّا يَنْصَحُ أَمَمًا اللَّهُ عَنَيْكَ ، وَلَا تُصَيِّمَنَّ رِئْمَةً
مِنْ يَوْمِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَلْيَبْرَ قَدَتِكَ أَثَرًا مَا تُعَمِّمُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْلِهِ وَمَالِهِ ، وَإِنَّكَ مَا تَقْدِمُ
مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ دُخْرُهُ ، وَمَا تُوَخَّرُهُ يَكُنْ لِعَيْرِكَ حَرْبُهُ .

وَاحْذَرِ صَحَابَةَ مَنْ يَبِيلُ دَأْبَهُ ، وَيُنْكِرُ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ
بِصَاحِبِهِ .

وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمْعُ الْمُتَمِينِ ، وَاحْذَرِ مَسَارِلَ الْعَقَلَةِ وَالْجَفَاءِ ،
وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاقْصِرْ رُبُوبَكَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ .

وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا تَحْصِرُ شَيْطَانٍ ، وَمَعَارِضُ الْإِنْسِ . وَأَكْثَرُ
أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَصَلْتَ عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بُرُوبِ الشُّكْرِ .

وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ مُحَمَّةٍ حَتَّى تَشْهَدَ صَلَاةَ إِلَّا وَامِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ فِي أَمْرٍ
تُعَدُّ بِهِ . وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي تَحْمِلِ أُمُورِكَ ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَاصِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا .
وَحَارِجٌ عَنْكَ فِي إِيمَادَةِ زَادِ مَنْ رَسَا وَلَا تَقَرَّهَا ، وَاحْذَرِ عَفْوَهَا وَتَشَاطُهَا ، إِلَّا مَا كَانَ
مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مِنْ قَضَائِهَا ، وَتَمَاهُهَا عِنْدَ نَحْوِهَا .

وَإِيَّاكَ أَنْ يَبْرُلَ بِكَ أَعْوَتْ وَأَمَتْ آيَقٌ مِنْ دَمِكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا . وَإِيَّاكَ
وَمُصَاحَبَةَ الْمُسَافِي ، فَإِنَّ الشَّرَّ يَأْتِي بِأَشْرِّ مَلْعُونٍ .

وَوَقِّرِ اللَّهَ ، وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَاحْذَرِ الْعَصَبَ ، فَإِنَّهُ حُدٌّ مِنْ حُودِ الْإِلْسِ ،
وَالسَّلَامُ .

الْبَيْزُج :

[الحارث الأعور ونسبه]

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وهو الحارث بن عبد الله
ابن كعب بن أمد بن نخلة بن حرث بن مَبْع بن صُحْب بن معاوية الهمداني ، كان أحد

الْقُتُبَاءُ ، لَهُ قَوْلٌ فِي الْقُتُبَاءِ ، وَكَانَ صَاحِبُ عَمِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِلَيْهِ تَنَسَّبَ الشَّيْخَةُ الْخَطَّابُ
الَّذِي خَاطَبَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا حَطِرَ هَمْدَانٍ مِنْ بَعْتِ بَرٍّ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مَنَافِقٍ بَلَا
وَهِيَ آيَاتٌ مَشْهُورَةٌ قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي تَقْدِيمِ .

[نَذْرٌ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ]

وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْفَصْلُ عَلَى وَمَا يَأْتِيهِ الْمَوْقِعُ :

مِنْهَا قَوْلُهُ : « وَتَمَسَّكَ بِحِمْلِ الْحَرَمِ » ، جَاءَ فِي الْحَرَمِ أَمْرٌ مَوْجَعٌ لَا ذَكَرَ الْمُتَقَدِّمِينَ فَقَالَ :
أَحَدُهُمَا كَسَبَ اللَّهُ ، حِلٌّ مَمْدُودٌ مِنْ أَسْمَاءَ ابْنِ لَازِمْ طَرَفٍ بِيَدِ اللَّهِ وَحَرَبٌ شَدِيدٌ يَكُمُ .
وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « اصْبَحْتَ » ، أَيْ غَدَاً بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِكَ بِهِ وَهَذَا مَعَهُ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَأَحِلَّ حِلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَمَهُ » ، أَيْ أَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَامِ
يَا صَاحِبَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَصَدَّقَ يَاسَعُ مِنْ حَقِّ » أَيْ صَدَّقَ يَاسَعُ تَصَدَّقَ الْقُرْآنُ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ
وَمُثْلَاتُهُ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لَا عَصَوًا وَكَذَّبُوا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَاعْتَبَرْنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا » ، وَفِي الْمَثَلِ : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَنْظُرَ
الدُّنْيَا بَعْدَكَ « أَنْظِرْهَا بَعْدَ عَمْرِكَ » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا بَحْنٌ إِلَّا مَتْلَبٌ عَمْرٍ أَسَا أَقْسَا قَلِيلًا نَسَدُهُمْ ثُمَّ رَحَلُ^(١)

وَيَنْبَغِي قَوْلُهُ : « وَآخِرُهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا » وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُعَارِقٌ « قَوْلُهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) قَدْ دُ « وَتَرَحَّلُوا » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا .

في غير هذا الفصل الماضي : « للمقيم عِرة ، وليت للحَيِّ عِطة ، وليس لآمن عودة ، ولا المرء من عِدٍ على ثقة ، الأول للأوسط رائد ، والأوسط للأخير قائد ، وكلٌّ بكلِّ لاحق ، والسكُّ لكلِّ مُعارق » .

ومنها قوله : « وَعَظَّمْ اسمَ الله أن تذكره إلا على حق » ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْمِلُوا اللهَ عَرْصَةً لَا يَمْسُكُهَا ﴾ ^(١) ، وقد نهى عن اخف الله في الكذب والصدق ، أما في أحدهما فحجرت وأما في الآخر فكروه ، ولذلك لا يجوز ذكر اسمه تعالى في لغو القول والهراء والعت. ومنها قوله : « وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت » ، جاء في الخبر المرفوع : « أكثرُوا ذكر هادم ^(٢) اللغات » ، وما بعد الموت : المقات والثواب في القبر وفي الآخرة .

ومنها قوله : « ولا تمنن الموت إلا بشره وثيق » ، هذه كلمة شريفة عظيمة القدر ، أي لا تمنن الموت إلا وات واثق من أعمالك الصالحة أنه تؤدبك إلى الجنة ، وسُقِّدك من النار ، وهذا هو معنى قوله تعالى لليهود : ﴿ بئس زعمتم أنكم أوتياها الله من دُون الناس صَبَرُوا الموتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَتَمَنَّوْهُ أَسْأَلُ بِمَا فَدَمْتُ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) .

ومنها قوله : « واحد كل عمل يرصده صاحبه معه ، ويكرهه لعامة المسلمين ، واحد كل عمل يُعمل في السر ، ويُستحيا منه في العلانية ، واحد كل عمل إذا سُئل عنه صاحبه أنكره واعتد به » ، وهذه الوصية الثلاث متقاربة في المعنى ، ويشملها معنى قول الشاعر :

لا ته عن خلق وثائق مثله عار عليك إذا فعلت عظيم ^(٤)

(١) سورة الفرقة . (٢) هادم اللغات ، من الهدم وهو النطع .

(٣) سورة الجمعة ٦ ، ٧ . (٤) لأبي الأسود الدؤلي من صيدته لليبي ، أوردها صاحب

امراتة ٣ - ٦١٨ .

وقال الله تعالى حاكياً عن سيرة من أسبأه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴾ (١) .

ومن كلام الحنيد الصوفي : يَتَكُنْ نَحْمَتُكَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِكَ كَمَمَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الزَّجَاجِ الصَّافِي . وفي مثل وهو منسوب إلى علي بن أبي حمزة السلمي : بِكَ وَمَا يُقْتَدَرُ مِنْهُ .

ومنها قوله : « وَلَا تَحْمِلْ عَرْشَكَ غَرَضًا لِنَيْالِ الْقَوْمِ » ، قال الشاعر :
لَا تَسْتَرِ أَبَدًا مَا لَا تَقُومُ بِهِ وَلَا تَهَيِّجْ مِنْ عِرِّيهِ الْأَسَدَا (٢)
إِنَّ الزَّيَّادَ إِنْ حَرَّكَهَا سَمَاءً مِنْ كُودِهِ أَوْحَشَتْ مِنْ لَسَعِهَا الْحَسَدَا
وقال :

مَعَالَهُ الشَّوْءُ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْهَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى دَمِهِ دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْطَّلِ

ومنها قوله : « وَلَا تُحَدِّثِ الْبَاسَ بَيْنَ النَّاسِ » ، فكيف يدرك كدما ، قد هي أن يحدث الإنسان بكل ما رأى من أحوال فساد عما يسمع ، لأن الحديث السري للمحب تسارع المعنى إلى تكديبه ، وإلى أن تقوم لدلالة على صيدفه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط .

ويقال : إن بعض الملوك قال في حاضرة عَصْدُ الدَّوْلَةِ سَعْدَادُ : عَدْنَا فِي الْكُوفَةِ بَيْنَ وَرَيْنِ كُلِّ نَيْفَةٍ مَثْقَلَانِ . فاستطرف الملك ذلك ، وكاد يكذبه الحاضرون ، فلما قام ذكر ذلك لأبيه ، فأرسل حاملاً كان معه في الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مائة حمامة ، في رحلي كل واحدة بقتان من ذلك نسق ، فجاء النسق في سُكْرَةِ الْغَدِ وَجُلَّ إِلَى عَصْدِ الدَّوْلَةِ ، فأستحسنه وصدقته حينئذ ، ثم قال له : لعمري لقد صدقت ،

ولكن لا تحدث فيما بعدُ كلَّ ما رأيتَ من الفرائب ، فليس كلَّ وقتٍ يتهيأ لك إرسال الحمام .

وكان يقال : الناس يَكْتُمُونَ أحسنَ ما يَسْمَعُونَ ، وَيَحْفَظُونَ أحسنَ ما يَكْتُمُونَ ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون ؛ والأصدق نوع تحت حسن الأُحسن .

ومنها قوله : « ولا تردَّ على الناس كلَّ ما حدثوك ، فكأنَّ ذلك خيلاً » ، من الحمل المبادرة بإسكار ما يسمعه ، وقال ابنُ حنبلٍ آخر : « الإشارات » ، : إيتاك أن يكون تكذيبك وتبرؤك من العامة ، هو أن تُشري مبكرًا لكلِّ شيء ، فذلك عثر وطش ، وليس الخرق في تكذيبك ما لم يَتَبَيَّنْ لك بعد حليته دون الخرق في صدقك عما لم تَقُمْ بين يديك بقبه ، بل عيبك الاعتصام بحمل انتزاعك وإن أَرَعَجْتَ أسنكار ما يُوعيه تمنحك بما لم يبرهن على استحالة لك ، « الصواب أن سرَّح أمتان ذلك إلى نعمة الإمكان ، ما لم يَدُك عنها قائمُ البرهان .

ومنها قوله : « وأكظم المَظْط » قد مدَّح الله تعالى ذلك فقال : ﴿ وَالْكَافِرِينَ أَكْظَمَ ﴾ ^(١) ، وروى أن عبدًا موسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صحيفة فيها طعام حار ، فعجل فصتها على أسه ووجهه ، فنَضِبَ ، فذله ﴿ وَالْكَافِرِينَ أَكْظَمَ ﴾ ؛ قال : قد كطمت ، قال : ﴿ وَالْمَافِرِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال : قد عموت ، ذل ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) ، قال : أنت حرٌّ لوجه الله ، وقد تحكمتك صيغتي الغلاية .

ومنها قوله : « وأحلم عند المَصَب » هذه مُدَايِة الأولى ، وقد تقدَّم ما قول كثير في الحلم وفصله ؛ وكذلك القول في قوله عليه السلام : « وتجاوز عند القدرة » ، وكان يقال : القدرة تذهب الحَظِيطة .

ومنها قوله : « وأصلح مع الدولة تكن لك العاقبة » ؛ هذه كانت شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشيمة على عليه السلام ؛ أمّا شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله فظفر بمشركي مكة وعما عنهم ، كما سبق القول فيه في عام الفتح ؛ وأمّا على عليه السلام فظفر بأصحاب الجبل وقد شقوا عصا الإسلام عليه ، وطعنوا فيه وفي خلافته ، فعما عنهم ، مع علمه بأنهم يُمسدون عليه أمره فيما بعد ، ويصيرون إلى معاوية ، إمّا بأنفسهم أو بأرائهم ومكتوباتهم ، وهذا أعظم من الصّبح عن أهل مكة ، لأنّ أهل مكة لم يبق لهم لما فُتحت مكة يتحيرون إليها ، ويُفقدون الدين عندها .

ومنها قوله : « وأستصح كلّ نعمة أنعمها الله عليك » معى استصلحها استدّمها ، لأنّه إذا استدّامها فقد أصلحها ، فإنّ نداءها صلاح لها ، واستدّامها بالشكر .
ومنها قوله : « ولا تصيبنّ نعمة من نعم الله صدك » ، أى وإنّ أناساً منها ، وأخس إليهم ، وأحمل بعصها لنفسك وبعضها للصدقة والإيثار ، فإنّك إن لم تفعل ذلك تكن قد أصغمتها .

ومنها قوله : « وليرّ عليك أثر النعمة » قد أمر بأن يظهر الإنسان على نفسه آثار نعمة الله عليه ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ^(١) . وقال الرشيد لحفص بن النعمان إلى منزل الأصمعيّ ، فصيا إليه حفية ومعها خادمٌ معه ألف دينار ليذّقع ذلك إليه ، فدخّل داره فوجد أكساء حرّاء ، وبارية ^(٢) مملأ ، وحصيرا مقطوعا ، وخناء قديمة ، وأباريق من حرق ، ودواة من رُجاج ، ودفائر عليها الراب وحيطانا مملوءة من شج الصاكب ، فوَحَم الرشيدُ ، وسأله مسائل غثّة لم تكن من عَرْضه ، وإثما قطع بها حجّله ، وقال الرشيد لحفص : ألا ترى إلى نفس هذا المهن ، قد برّزناه بأكثر

من حسين ألف دينار وهذه حاله ، لم تظهر عليه آثارُ نعمتنا ! والله لا دفعتُ إليه شيئاً ، وخرج ولم يُعطه .

ومنها قوله : « وأعم أب أفصل المؤمنين أفصلهم مقدمة من نفسه وأهله وماله » ، أى أفصلهم إنفاقاً في البر والخير من ماله ، وهي مقدمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ ﴾ ^(١) ، فأما النفس والأهل ، فإن تقدمهما في الجهاد ، وقد تكون المقدمة في النفس ثم يشع شعاعاً حسنة أو يحضر عند السلطان بكلام طيب ، وثناء حسن ، وأن يصلح من التعاريف ، ونحو ذلك . والتقدمة في الأهل أن يمحى بؤده ورواحته ويكفهما المشاق في طاعة الله ، وأن يؤدب ويده إن أدب ، وأن يهيم عليه الحد ، ونحو ذلك .

ومنها قوله : « وما تقدم من خير سبق لك رجاءه لما تؤخره يكن لغيرك حرمه » ، وقد سبق مثل هذا ، وأن ما يركه الإنسان بعده فقد حرم نفسه ، وكذلك كان يكذب لغيره ، وذلك من الشقاوة وقلة التوفيق .

ومنها قوله : « وأحذر صحابة من يغير رأيه » الصحابة بفتح الصاد ، مقصدت صحبت والصحابة بالفتح أيضاً جمع صاحب ، والمراد هاهنا الأول ، وقال رأيه : قسده وهذا الذي قد تكرر ، وقال طرفة :

عن المرء لا تسأل وسل عن قريبه فإنَّ القرينَ المقارنَ يقتدى
ومنها قوله : « واسكن الأمصار العظيم » ، قد قيل : لا تسكن إلا في مصر فيه سوق قائمة ، ونهر جارٍ ، وطبيبٌ حاذق ، وسلطانٌ عادل ، فأما تسارل المعلة والجماء ، فيمثل قرى السواد الصغار ، فإن أهلها لا نورَ فهم ، ولا سوءَ عليهم ، وإنما هم كالذئاب

والأنعام ، كهمهم الحرث والصلاح ، ولا يفتنون شيئاً أصلاً ، ويجاورتهم نعيم القلب ،
وتظلم الحس ، وإذا لم يحسد الإنسان من يديه على طاعة الله وعلى تعلم العلم
فصرفهما .

ومنها قوله : « وأفصر رأيك على ما يفتني » ، كذا يقال : من دخل فيها لا نفيه
فانه ما يفتنيه .

ومنها مهيئته عن القعود في الأسواق ؛ قد جاء في المثل : الشوق محلّ الفسوق .
وجاء في الخبر المرفوع : « الأسواق مواضع إفساد وحديث » ، وذلك لأنها قدما محلوا على
الأيمان الكاذبة ، والسيئع الفاسدة ، وهي أيم تجميع النساء المومسات ، وفتح الرجال ،
وفيها اجتماع أرباب الأهواء والبدع ، فلا يجاوز أن يتعادل الناس منهم في المداهب والتحلل
فيصير إلى الهتن .

ومنها قوله : « وأظن إلى من فضلت عليه » ؛ كان يقال : أظن إلى من دونك ، ولا تظن
إلى من فوقك . وقد بين عليه السلام السر فيه فقال : إن ذلك من أبواب الشكر ،
وصدق عليه السلام ، لأنك إذا رأيت جاهلاً وأنت عالم ، أو غلاماً وأنت أعم منه ، أو فقيراً
وأنت أغنى [منه] ^(١) ؛ أو متبلي بسخم وأنت مفاق عنه ، كل ذلك داعياً لك
إلى الشكر .

ومنها نهيه عن السفر يوم الجمعة ، ينبغي أن يكون هذا النهي عن السفر يوم الجمعة
قبل الصلاة ، وأما بعد الصلاة ، فلا بأس به ، واستثنى فقال : لا فاصلاً في سبيل الله ،
أي شاخصاً إلى الجهاد .

قال : « أو في أمرٍ تُمدّ به » ، أي لضرورة دعتك إلى ذلك .

(١) تكله من ا .

وقد ورد نهي كثير عن السر يوم الجمعة قبل أداء الفرض ، على أن من الناس من كره ذلك بعد الصلاة أيضا ، وهو قول شاذ .

ومنها قوله : « وأطلع الله في حمل أمورك » ، أى في حملتها ، وفيها كلها ، وليس يعنى في حملتها دون نفاذها . قال : « فإن طاعة الله فصلة على عمرها » ، وصدق عليه السلام ، لأنها توجب السعادة الدائمة ، والخلاص من الشقاء الدائم ، ولا أفضل مما يؤدي إلى ذلك .

ومنها قوله : « وحارغ نفسك في سده » ؛ أمره أن يتنصت سمه في النوافل ، وأن يجادعها ولا يفترها فتعل ونسحر ونرك^(١) ، بل يأخذ عمرها ، ويتوحن أوقات النشاط ، وأنشراح الصدر للعبادة .

قال : فأما المرائص فحكمها بعد هذا الحكم ، عليك أن تقوم بها ، كرهتها أمس أو لم تكرهها . ثم أمره أن يقيم بالصريضة في وقتها ، ولا يؤخرها عنه فتصير قصدا .

ومنها قوله : « وإذك أن ينزل بك لسون وأنت آبق من رنك في طلب الدنيا » ؛ هذه وصية شريفة جدا ، حمل طلب الدنيا المعرض عن الله عند موته كالمجد الآبق يقدمه على مولاه أسيرا مكتوفا ناكسا لرأسه ، فما طذك به حينئذ !

ومنها قوله : « وإياك ومصاحبة الصفاق ، فإن الشر بالشر ملحق » ؛ يقول : إن الطماع يترع بمصها إلى بعض ، فلا تصحب منافي ببه يترع بك ما منك من طمع الشر إلى مساعدتهم على المسوى والمعصية ، وما هو إلا كائنات تقوى بالنار ، فإذا لم تجاورها وتمازجها نار كانت إلى الانطفاء والحمود أقرب .

وروي « ملحق » بكسر الحاء ، وقد جاء ذلك في الحر التوي « فإن عذابك
بالكفار ملحق » بالكسر .

ومنها قوله : « واجب أحياءه » ، قد جاء في الحر : « لا يكمل إيمان امرئ حتى
يحب من أحب الله ، ويغض من أغض الله » .

ومنها قوله : « واحد النص » ، قد تقدم لنا كلام طويل في النص . وقال إسان
للنبي صلى الله عليه وآله : أومئني ؟ قال : « لا تمص » ، فقال : ردني ؟ فقال :
« لا تمص » ، قال : ردني ؟ قال : « لا أحد لك صريدا » ، وإنما جعله عليه السلام
حندا عطيا من جنود إبليس ، لأنه أصل لظلم والقتل وإفساد كل أمر صالح ،
وهو إحدى القوتين المشومتين اللتين لم يخلق أحدهما على الإحسان ، وهما سمع الشر :
النص واشهوة .

(٧٠)

الأصل :

ومن كتب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو حامله
على المدينة ، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية :

أَمَا نَعُدُّ ، فَقَدْ نَعْنِي أَنَّ رَحَلًا يَمُوتُ فَمَنْكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفُ
عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدِيدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدِيدِهِمْ ، فَكَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْبًا ، وَلَكِنْ مِنْهُمْ
شَافِيَةٌ أَرَاهُمْ مِنَ الْهَدَى وَالْحَقِّ لَا وَاسِعًا عَلَيْهِمْ إِلَى الْعَمَى وَالْعَهْلِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ دُنْيَا
مُتَسَلِّلُونَ عَلَيْهِ ، وَمُتَطَلِّعُونَ إِلَيْهَا ، فَدَعَرُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ ، وَنَجَّوْهُ وَوَعَوْهُ ، وَغَدِمُوا
أَنَّ أَسَاسَ عِدَّتِهِ فِي الْحَقِّ أَسْوَدٌ ، فَهَرَّوْا إِلَى الْأَثَرَةِ ، فَمَعْدَا لَهُمْ وَسُخْفًا ! إِنَّهُمْ وَاللَّهِ
لَمْ يَبْرُؤُوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَنْحَقُوا بِمَدْلٍ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا
صَعْنَهُ ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الْبَرْج :

قد تقدم نسب سهل بن حنيف وأبيه عثمان فيما مضى .
ويتسَلَّلُونَ : يخرجون إلى معاوية هارئين في خفية واستتار .
قال : « فلا تأسف » أي لا تحزن . ونمى : الصلال .

قال : « ولك منهم شافيا » ، أي يكفيك في الانتقام منهم وشعاع النفس من عقوباتهم
أَنَّهُمْ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ .

قال : ارض لن عاب عنك غيبته ، فذاك دث عتابه فيه .

والإيضاح : الإسراع . وصح البعير أى أسرع ، وأوضعه صاحبه ، قال :

رأى برقاً فأوضح فوق كثر فلا بك ما أسأل ولا أعمأ

ومُطعمون : مُسرعون^(١) أيضاً ، والآخرة : الاستشارة ، يقول : قد هربوا أنى لا أقسم
إلا بالسوية ، وأنى لا أمر قوماً على قوم ، ولا أعطي على الأخاب والأناب كما فعل
عيرى ، فترك كوني وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر .

قال . « فمعدا لهم وسخفا » ، دعاء عليهم بالسوء والهلاك .

وروى أنهم لم « ينفروا » ناسون ، من نمر ؟ ثم ذكر أنه راح من الله أن يدل له
صعب هذا الأمر ، ويسهل له خروجه ؛ والعزّان ، ما غلط من الأرض ، وميده السهل .

(١) ن أ : « مطعمين . مسرعين » .

(٧١)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الحارود العدني وقد كان استعمله على بعض النواحي ، صان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَمْرِكَ عَرَّيَ مِنْكَ ، وَصَلَتْ أُنْثَى تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَنَسْلُكَ سَبِيلَهُ ، فَإِذَا أَنْتَ بِمَا رُفِيَ إِيَّاهُ عَنْكَ لَا تَدْعُ لَهُوَالِكَ انْفِيَادًا ، وَلَا تُسْقِي لِأَحْرَبِكَ عَمَادًا ، نَعْمُ دُنْيَاكَ بِحَرَابِ أَحْرَبِكَ ، وَتَصِلُ قَشِيرَتُكَ بِقَطِيعَةِ دِيبِكَ ؛ وَلَوْ كَانَ مَا نَدَى بِكَ حَمًا لَحَمَلُ أَهْلِكَ وَشِمْعُ نَهْلِكَ حَرًّا مِنْكَ . وَمَنْ كَانَ يَسْمِعُكَ فَلَنْ يَأْهَلَ أَنْ تَسُدَّ بِهِ نَعْرَهُ ، أَوْ يَمُدَّ بِهِ أَمْرَهُ ، أَوْ يَمْلِكُ لَهُ قُدْرَهُ ، أَوْ تُشْرِكَ فِي أَمَانِهِ ، أَوْ يُؤَمِّنَ عَلَى حَيَاتِهِ ، فَاقْبَلْ إِلَى حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الرضى رضى الله عنه :

الْمُنْذِرُ [بن الحارود] ^(١) هَذَا هُوَ نَدَى قَلَّ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
إِنَّهُ لَطَّارٌ فِي عِطْفِهِ مُحْتَالٌ فِي بُرْدَتِهِ ، نَدَى فِي شِرَاكَيْهِ .

الْبَنُخ :

[ذكر المنذر وأبيه الجارود]

هو المنذر بن الجارود . واسم الجارود نضر بن حنيس بن الملق ؛ وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن نعلبة بن خديجة بن عوف بن عامر بن عمرو بن وديعة بن لكيز ابن أقي بن عبد القيس بن أقي بن دُعَيْن بن خزيمة بن أسد بن زبيعة بن رار بن معد ابن عدنان ، ينتمون بيت الشرف في عبد القيس ، وكانوا سُمِّي الجارود لَنَتِ قَالَهُمْ الشُّعْرَاءُ فِيهِ فِي آخِرِهِ :

• كَجَرْدِ الْجَارُودِ نَكْرَ بْنَ وَائِلٍ • ^(١)

ووعده الجارود على النبي صلى الله عليه وآله في سنة سبع ، وقيل : في سنة عشر ودكر أبو عمرو بن عمرو آخر في كتاب الاستيعاب ^(٢) ، أنه كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه ، وكان قد قدم مع المنذر بن معاوية في جماعة من عبد القيس ، وقال : شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَمَسَاحَتٌ نَسَاتُ قَوَادِي بِالْإِسْلَامِ وَالْمَهْضِ فَأَبْلَغُ رَسُولَ اللَّهِ مَنَى رَسُولَهُ مَاتِي حَنِيفًا حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ : وَنَدَّ أَحْتَلَفَ فِي سَمَةِ أَحْتَلَا كَثَرًا ، فقيل : نضر بن الملق بن حنيس ؛ وقيل : نضر بن حنيس بن الملق ؛ وقيل : نضر بن عمرو بن الملق ، وكنيته أبو عتاب ، ويكنى أيضًا أبا المنذر

وسكن الجارود البصرة ، وقُتِلَ مَارِضَ دَرَسَ ؛ وقيل : بل قُتِلَ بِهَاوَنَدَّ مَعَ السَّعْدِ بْنِ مُقَرَّنَ . وقيل : إنَّ عَمَانَ بْنَ الْعَاصِ نَحَثَ لِحُورْدٍ وَنَحَثَ بِحَوْ سَاحِلَ دَرَسَ ، فَقُتِلَ

(١) صدره :

• وَدُسَّاهُمْ الْحَيْدَرُ مِنْ كُلِّ حَابٍ •

(١) الاستيعاب (نسخة مصر) ٢٦٢ - ٢٦٤ .

بِمَوْضِع يُعْرَفُ بَعْقَةَ الْحَارُودِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُعْرَفُ بَعْقَةَ الطَّيْرِ ؛ فَلَمَّا قُتِلَ الْحَارُودُ فِيهِ
عَرَفَهُ النَّاسُ بَعْقَةَ الْحَارُودِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَادِيثٌ وَرَوَى عَنْهُ ، وَآلَتُهُ دَرِيْمَكَةُ بِنْتُ
رُوَيْمِ الشَّيْبَانِيَّةِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَرِ فِي كِتَابِ « التَّحَاذُّبِ » ، . إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ أَكْرَمَ الْحَارُودَ وَعَدَّ أَنْبِيَاءَ حِينَ رَفَعْنَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِ : « قَوْمُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ ،
وَأَشْبَهَ النَّاسَ بِكُمْ » ؛ قَالَ : لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ بَحْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْأَنْصَارَ وَالْخُرَازِجَ أَصْحَابُ بَحْلٍ ،
وَمَسْكُهُمُ التَّخْرِيضُ وَالْبِمَامَةُ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَوْلَا أَنِّي صَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَقَوْلُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قُرَيْشٍ لَمَا عَدَلْتُ بِالْحِلَافَةِ عَلَى الْحَارُودِ
إِلَّا شَرَّ بَنِي الْمَعْلَى ، وَلَا يُجَالِئُنِي فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَلَعِنْدَ الْقَيْسِ مَتَّ حَصَنٌ هَامٌ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ ؛ مِنْهَا : أَسْوَدُ الْعَرَبِ
نَبِيئًا ، وَأَشْرَفُهُمْ رَهْطًا الْحَارُودُ هُوَ وَوَلَدُهُ .

وَمِنْهَا أَشْجَعُ الْعَرَبِ حَكِيمُ بْنُ حَبَّابَةَ ، قَطَعَتْ رَحْلَهُ يَوْمَ الْحُلِ ، فَحَدَّهَا بِيَدَيْهِ وَخَفَ
عَلَى قَاتِلِهِ فَصَرَّاهُ بِهَا حَتَّى قَتَلَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا نَفْسُ لَا تَرَارِي إِنْ قَطَعْتُ كُرَارِي

• إِنَّ مَنِي دِرَارِي •

فَلَا يُعْرَفُ فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ صَمِعَ صَنِيعَهُ .

وَمِنْهَا أَعْمَدُ الْعَرَبِ هَرَمُ بْنُ حَبِيَّانٍ صَاحِبُ أَوَيْشِ الْفَرَائِي .

وَمِنْهَا أَحْوَدُ الْعَرَبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَوَادٍ بْنُ هَمْدَمٍ ، عَمْرُو السُّدِّيُّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَفَتَحَهَا
وَأَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُ دَاهِيًا وَقَافِلًا ، فَهَامَهُ أَنْ رَحَلَ مِنَ الْجَيْشِ مَرِيضٌ ، فَاشْتَهَى حَبِيبًا ،

فَأَمَرَ بِاتِّخَادِ الطَّبِيصِ لِأَرْبَعَةِ آلَافٍ إِنْسَانٍ ، فَطَعَّمَهُمْ حَتَّى فَصَلَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَلَّا يُوقِدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَاراً لَطَعَامٍ فِي عَسْكَرِهِ مَعَ نَارِهِ .

وَمِنْهَا أَهْطَبَ الْعَرَبَ مَصْقَلَةً بِنِ رَقَبَةٍ ، بِهِ يُصَرَّبُ الْمَثَلُ فَيَقَالُ : أَهْطَبُ مِنْ مَصْقَلَةٍ .
وَمِنْهَا أَهْدَى الْعَرَبَ فِي الْخَاطِلِيَّةِ وَالْأَسَدُومِ مَنَاراً وَأَثَرَا فِي الْأَرْضِ فِي عَدُوهِ ، وَهُوَ دُعَيْيْمِصٌ ^(١) الرَّمْلُ كَانَ يُعْرَفُ بِالسَّحُومِ هَدَايَةً ، وَكَانَ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا ، يَدْفَنُ بَيْضَ النِّعَامِ فِي الرَّمْلِ مَحْمُولاً مَاءً ثُمَّ يَمُودُ إِلَيْهِ فَيَسْتَخْرِجُهُ .

فَلَمَّا الْمَدِيرُ بْنُ الْحَارُودِ فَكَانَ شَرِيفاً ، وَاسْمُهُ الْحَكَمُ بْنُ الْمَدِيرِ يَتْلُوهُ فِي الشَّرَفِ ،
وَالْمَدِيرُ غَيْرُ مَعْدُودٍ فِي الصَّحَابَةِ ، وَلَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَا وَلَدَ لَهُ فِي
أَيَّامِهِ ، وَكَانَ تَأْتِيهِ مَحَبَّةً بِنَفْسِهِ ، وَفِي الْجَيْشِ أَيْدِيَهُ يَقُولُ الرَّاحِرُ :

« حَكَمُ بْنُ الْمَدِيرِ بْنِ الْحَارُودِ أَمْتُ الْحَوَادِ ابْنِ الْحَوَادِ الْمَعْمُودِ »

* رَأَى أَحَدُ الْأَخْبَاءِ عَلَيْكَ مَعْدُودٌ *

وَكَانَ يَقَالُ : أَطْوَعُ النَّاسِ فِي قَوْمِهِ الْحَارُودُ بْنُ يَشَرَ بْنِ الْمَدِيرِ ، لَمَّا أَهْبَصَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَرْنَدَتْ الْعَرَبُ ، حَبَّتْ قَوْمَهُ فَقَالَ : آتِيهَا إِنْسَانٌ ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ
مَاتَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِدُبُكُمُ ، وَمَنْ ذَهَبَ لَهُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ دِينَارٌ
أَوْ دِرْهَمٌ أَوْ نَقْرَةٌ أَوْ شَاءَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَمَا حَالَهُ مِنْ عَبْدِ الْفَيْسِ أَحَدٍ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنْ صَلَّحَ أَيْدِيكَ عَزَّيْنِ مَعَكَ » ، قَدْ دَكَرْنَا حَالَ الْحَارُودِ وَصَحَّتْهُ
وَصَلَّاحُهُ ، وَكَثِيرَا مَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَمَاءِ فَيُطَنُّ أَلِ الْأَمَاءِ عَلَى مَنَاحِمِهِمْ ، فَلَا
يَكُونُ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ بَيْتٍ وَيُخْرِجُ الْيَتِيمَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
قَوْلُهُ : « فَمَا رَفَى » مَالِ التَّشْدِيدِ ، أَيْ فَيَرْفَعُ إِلَيْهِ ؛ وَأَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَوْضِعٍ عَالٍ

(١) ب : دُعَيْمِص ، وَاظْهَرَ الْعَامُوسُ

فريق إليه شيء ، وكان العلوة هاها هو علوة المرتبة بين الإمام والأمير ، ونحوه قولهم : تعال باعتبار علوة رتبة الأمر على الأمور . واللام في « لهواك » متعلقة بمحدوف دل عليه « انقيادا » ، ولا يتعلق بنفس « انقياد » لأن المتعلق من حروف الجر بالمصدر لا يحور أن يتقدم على المصدر .

والعتاد : العدة .

قوله : « وتصل عشيرتك » ، كان فيما رُقي إليه عهده بقطع المال ويُعيصه على زحفه وقومه ويُخرج بعضه في لدائه ومآربه .

قوله « لحمل أهيك » ، الترتب نصير ، الحزن المثل في الهوان قال :

لقد عظم المعرُ نصيرُ نبيٍّ وتم يستمن بالمعظم المعر^(١)

نصيرُ الصبي نكلٌ وحور ويحبسه على الحنف الحرز

ونصيره الولدة المهرأوى فلا يصيرُ لذيذ ولا مسكر

فأما شنع الثقل فصرن مثل سها في الاستهانة مشهور ، لانتدائها ووطئها الأقدام في التراب .

ثم ذكر أنه من كل سمعته فليس ناهي لكدا ولا كدًا ، إلى أن قال : « أو يشرك

في أمانة » ؟ وقد حمل الله تعالى البلاد والوعاء أمانة في دمة الإمام ، فإذا استعمل المال على البلاد والوعاء فقد شركهم في تلك الأمانة .

قال : « أو يؤمن على حياية » ، أي على استحياء الحراج وحمه ، وهذه الرواية التي

سمعاها ، ومن الناس من يزويها « على حياية » وهكذا رواها الراوندي ، ولم يرد الرواية الصحيحة التي ذكرناها نحن ؛ وقال يكون « على » متعلقة بمحدوف ، أو « يؤمن » نفسها ، وهو بعيدٌ ومشككٌ .

(١) للعاس بن مهدياس السبي ، ديوان الحماسة ٤١٩ - بشرح المروقي .

ثم أمره أن يُقبل إليه ، وهذه كناية عن العزل .

فأما الكلمات التي ذكرها الرضى عنه عليه السلام في أمر المدير فهي دالة على أنه نسبته إلى الله والعجب ، فقال : « نطّار في عِصِيّه » ، أي حابيه ، يطر تارة هكذا وبارّه هكذا ، ينظر لنفسه ، ويستحسن هيئته ولسته ، وينظر هل عبده نقص في ذلك أو عيب فيستدرّكه بإزالته ، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدعى لنفسه الحسن والملاحه .

قال : « مُحْتَالٌ في بُرْدِيّه » : يمشي الخيلاء عجباً قال محمد بن واسع لابن له وقد رآه يَحْتَال في برديه : أدن ، فدما فقال : من أين جاءتك هذه الخيلاء وبلك ! أمّا أمك فأمة ابتمتها عاتني درهم ، وأمّا أبوك فلا أكثر الله في الناس أمثاله

قوله : « تَعَالَى شِرَاكِيه » ، الشراك : سَيْر انتهى يكون في العمل على ظهر القدم .
والثقل بالسكون : مصدر نَقَلَ أي تَصَنَّى ، وانتَمَلَ محرّكا البُصَاقُ نفسه ، وإِنَّمَا يفعل المعجِب والتائه في شِرَاكِيّه ليهب عنهما الشار والوسح ، تَنَقَّلَ فهِمَا ويمسحهما ليمودا كالخديدين .

(٧٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ نَسْتَ رَبَّ يَوْمٍ أَحَلَّكَ ، وَلَا مَرُورٍ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَاعْتَمَ بِأَنَّ
الدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ذَوَلٍ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ
أَنْتَ عَلَى صَعْبَةٍ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ نَمُ تَذْفَعُهُ بِقُوَّتِكَ .

الشرح :

قد تقدم شرح مثل هذا الكلام ، وهذا معنى مطرووق ، قد قال الناس فيه ما كثروا ،
قال الشاعر :

قد بَرَّقَ العَاحِرُ الصَّعِيفُ وَمَا شَدَّ نَكُورٍ رَحْلاً وَلَا قَتَمًا^(١)
ويحرم المرء ذو الحلالة والرائى ومن لا يرال معتبرا
ومن جيد ما قيل في هذا المعنى قول أبى يعقوب الحريرى^(٢) :

هل الدهرُ إلَّا صَرَفُهُ وَنَوَائِصُهُ وَسَرَّاءُ عَيْشٍ رَائِلٌ وَمَصَائِبُهُ
يقولُ الفَتَى ثَمَرْتُ مَالِي وَإِنَّمَا لَوَارِثُهُ مَا ثَمَرَ الْمَالُ كَالسِّبَةِ

(١) من أبيات سها صاحب الأمان (١٥ - ٢١ - ساسى) دى ابن عبد الله الأسدى مرواية مخالفة .

(٢) ب « الحريرى » تحرير .

| | |
|---|---|
| يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ | وَيَتْرَكَ نَهْيًا لِمَنْ لَا يُحَاسِبُهُ |
| فَكُلُّهُ وَأَطِيعُهُ وَخَالِسُهُ وَارْتَا | شَجِيحًا وَدَهْرًا تَمْتَرِيكَ نَوَائِبُهُ |
| أَرَى الْمَالَ وَالْإِنْسَانَ لِلدَّهْرِ نُهْبَةً | فَلَا الْبُخْلُ مُبْقِيَهُ وَلَا الْجُودُ خَارِبُهُ |
| لِكُلِّ امْرِئٍ رِزْقٌ وَلِلرِّزْقِ حَالٌ | وَلَيْسَ بِقُوتِ الْمَرْءِ مَا خُطَّ كَاتِبُهُ |
| يُحِبُّ الْفَقْرَ مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ | وَيُعْطَى الْفَقْرُ مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ |
| يُسَاقُ إِلَى مَا يَرْقُصُهُ وَهُوَ وَادِعٌ | وَيُحْرَمُ هَذَا الرِّزْقَ وَهُوَ يَمَارِسُهُ |
| وَأَنْتَ لَا تَدْرِي : أَرْزُقُكَ فِي الْفَقْرِ | تَطَالِسُهُ أَمْ فِي الْفَقْرِ لَا تَطَالِسُهُ ! |
| تَسَى دُوبَ الْأَقْرَبِينَ فَإِنَّهُ | لِكُلِّ حَيٍّ رَاكٍ هُوَ رَاكِبُهُ |
| لَهُ هَمُومَاتٌ فِي الرِّغَاءِ يَشْغُوبُهَا | بَلْهَمَةُ يَوْمٍ لَا تَوَارَى كَوَارِكِبُهُ |
| تَرَاهُ غُدُوًّا مَا أَمِنْتَ وَتَنْقُصُ | يَكْبَهُ يَوْمَ الْوَعَى مَنْ يَحَارِبُهُ |
| لِكُلِّ امْرِئٍ إِخْوَانٌ بؤْسٌ وَفَلِئِمَةٌ | وَأَعْظَمُهُمْ فِي النَّاسِ أَقْرَبُهُ |

(٧٣)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

أَمَّا تَعُدُّ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي حَوَائِكَ ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ ، لَمَوْهَنْ رَأْيِي ،
وَعُطِّلِي ؛ فِرَاسَتِي ، وَإِنَّكَ إِذَا تَحَارَلْتُنِي الْأُمُورَ ، وَتَرَاخَيْتُنِي الشُّطُورَ ، كَالْمُسْتَنْقِلِ النَّاسِمِ
تُكَدِّدُهُ أَخْلَامُهُ ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْفَتِيمِ يَنْهَعُهُ بِمَقَامِهِ ؛ لَا يَذَرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمَّ عَلَيْهِ ،
وَلَسْتُ بِهِ ، عِزًّا أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ .

وَأَقْبِمُ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَوْ لَا تَقَمُّ الْإِسْتِيقَاءُ ، لَوَصَلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ قَوَارِعُ قَرَعِ الْمَطْمِ ،
وَتَهَسُّ اللَّحْمِ .

وَأَقْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَنَطَّكَ مِنْ أَنْ تَرَاخَعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَادَنَّ لِمَقَالِ
نَصِيحِكَ ، وَالسَّلَامُ لِأَخِيهِ .

الْبَزْخُ :

روى « بوارع » جمع بادرة ، أى حادثة بالغة ، وروى « تهيس اللحم » و « تلّيس »
بتقديم اللام ، و « تهيس » يكسر اللام ؛ تدببه حتى يصير كبدن به الهلاس ، وهو السل ؛
وأما تلّيس فهو بمعنى تلّصص ، أمريت الحاء هاء ؛ وهو عن لجست كذا بلساني بالكسر ،
ألحسه ، أى تأتى على اللحم حتى تلحسه لحسا ، لأن الشيء إذا يلحس إذا ذهب وبقي أثره ،
وأما « يتهس » وهى الرواية المشهورة ، فمعناه يمترق .

وتأذن بفتح الدال ، أى تسمع .

قوله عليه السلام « إني لموهن رأبي » بالتشديد ، أى ربي لائمه نفسي ، ومستصعب رأبي
في أن حملتك طيرا ، أكتب ونحيني ، ونكتب وأجيبك ؛ وإياك كل يبغي أن يكون
حواب مثلك السكوت لهوايك .

فإن قلت : ثا معنى قوله : « على التردد ؟ » .

قلت : ليس معنى التوقف ، بل معناه التردد والتكرار ؛ أى أما لائمه نفسي على أن
أكرر تارة بعد تارة أحوتك عما نكته .



ثم قال : وإني في مناظرتي ومعاويتي بالأمر التي محاولتها ، وابكت التي سكبتها
كاللائم يرى أحلاما كاذبة ، أو كمن قام مقام بين يدي سلطان ، أو بين قوم عقلاء ليعتد عن
أمر ، أو ليخطب بأمر في نفسه ، قد سهطه مقدمه ذلك ، أى أثقله فهو لا يدري . هل يطلو
بكلام هو له ، أم عليه ! فيتجبر وينتد ، ويدركه اليأس والخصر .

قال : وإن كنت لست بذلك الزحر فثبت شبه به ؛ أما تشبيهه باللائم ثم دى الأحلام ،
فإن معاوية نورأى في السام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه خليفة يحاطب
بإمرة المؤمنين ، ويحارب عليا على الخلافة ، ويقوم في المسلمين مقام رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله لما طلب لذلك المام بأويلا ولا تعبيرا ، ولعدة من وساوس الخيال وأسمعات
الأحلام ؛ وكيف وأنت له أن يحطر همداء يله ، وهو أمد الخلق منه ! وهذا كما يحطر
للذمات ^(١) أن يكون ملكا ، ولا سطر إلى سبه في المناق ^(٢) ، بل انظر إلى أن

(١) الذمات . مسجرح النصب ، وهو الزبر .

(٢) حاشية ب . « قوله ولا سطر إلى المناق » قال في القاموس : « المناق ، « الكسر » : الرجل
العلامة والنص ، ومنه « فرحان في نقاب » يعبر بحق من ؛ فعلى هذا يريد بالمناق المناقاة بالنفس .

الإمامة هي نية مختصرة ، وأن التطبيق المحدود من المؤلفة هو بهم المكذب قلبه وإن أفرّ
 لسانه ، المانع الرحلة عند المسلمين ، الماعد في أحرّيات الصفة ؛ إذا دخل إلى مجلس فيه
 أهل السوابق من المهاجرين ، كيف يحظر يرب أحد أمها تصير فيه ويملكها ويسمى الناس
 وسمها ، ويكون للمؤمنين أميرا ، ويصير هو الحاكم في رقاب أولئك المعطاء من أهل الدين
 والفصل ! وهذا أعجب من العجب ، أن يجهد النبي صلى الله عليه وآله قوماً بسيمة ولسانه
 ثلاثاً وعشرين سنة ، ويلصمهم ويعدمهم عنه ، وينزل انقرا بدمهم ولصمهم ، و لراءة منهم ،
 فلما تمهدت له الدولة ، وعلب الدين على الدّيب ، وصارت شريعة دنية محكمة ، مات وشيد
 دينه الصالحون من أصحابه ، وأوسموا رقعة منته ، وعظم قدرها في القوس ، فنسبها منهم
 أولئك الأعداء الذين جاهدتم النبي صلى الله عليه وآله فسكوها وحكموا فيها ، وقتلوا الصالحاء
 والأرار وأهزب سقيم الدن يطهرون طاعته ، وآلت تلك الحركة الأولى وذلك الاحتهاد
 اسابق إلى أن كان ثمره لهم ؛ عليه كل يمث هيرى معاوية الطليق واسه ، ومرّوا واسه
 حلما في مقامه ، يحكمون على المسلمين ، فوصح أن معاوية بما يراحمه ويكاتبه ؛
 كصاحب الأحلام .

وأما تشبيهه إياه بالقائم مقاماً مد بهطه ، فلا الخجج واشته والمادير التي يذكرها معاوية
 في كتبه أو هن من دسح المنكبت ، فهو حاله يكتب كاتما ذلك المعام يحبط حبط المشواء ،
 ويكتب ما يعلم هو والعقلاء من الناس أنه سعه وهضل .

فإن قلت : فما معنى قوله عليه السلام : « لولا بعض الاستنقاء » ؟ وهل كانت الحال
 تقتضي أن يستنقى ؟ وما تلك القوارع التي أشد إليها ؟

== يعني أن معاوية وإن كان في النسب له بعض المشابهة معه عند السلام من حيث القرشي والقرابة ولكه .
 إذا نظرت إلى أن الإمامة هي نية مختصرة لا يصح لها إلا من حسمت فيه فصائل من النوة ومناقب أمارتها
 وسوابق تلوها ، وأما الطلقاء وأبناء الطلقاء فليس هم أن يتعرضوا لأن يكونوا من أدنى موالى أربابها .

قلت : قد قيل : إن النبي صلى الله عليه وآله فوّض إليه أمرَ نسائه بمسئد موته ، وجعل إليه أن يقطع عصمة أبنائهن شاء إذا رأى ذلك ، وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك ، فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة أم حبيبة ، ويبيع سكاكها الرّاحل عقوبة لها ولماوية أخيها ، فإنها كانت تُعصر عالياً كما يُغصمه أخوها ، ولو فعل ذلك لانتَهَسَ لحمه ، وهذا قول الإمامية ، وقد رَوَوْا عن رِجالهم أنه عليه السلام تهدّد عائشة بصربٍ من ذلك ، وأما نحن فلا نصدّق هذا الخبر ، وسنتر كلامه على معنى آخر ، وهو أنه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله يلمن معاوية بعد إسلامه ، ويقول : إنه منافق كافر ، وإنه من أهل البدر ، والأخبار في ذلك مشهورة ؛ فهو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم وشهاداتهم بذلك ، ويسمعهم قولهم ملاطعة ومشافهة لفعل ، ولكه رأى المدول عن ذلك ، مصدقةً لأمر يطمه هو عليه السلام ، ولو فعل ذلك لانتَهَسَ لحمه ، وإنما أبقى عليه .

وقلت لأبي ريد المصري : لم أبقَ عليه ؟ فقل . والله ما أبقى عليه مراعاة له ، ولا رفقاً به ، ولكه حاب أن يعمل كعمله ، فيقول لعمر بن العاص وحبيب بن مسلمة ويُسَير بن أبي أوطاة وأبي الأعور وأمثالهم : ارووا أنتم عن النبي صلى الله عليه وآله أن علياً عليه السلام منافق من أهل النار ، ثم يُحمل ذلك إلى أهل العراق ؛ فهذا انسب أبقى عليه .

(٧٤)

الأصل :

ومن حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن - وتقل من خط هشام
ابن الكلبي :

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَصْرُهَا وَنَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ،
أَنْتُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيُحْيُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ ،
لَا يَشْتَرُونَ بِهِ نَجْمًا قَلِيلًا ، وَلَا يَرْصُونَ بِهِ بَدَلًا ، وَأَنْتُمْ يَدُّ وَاحِدَةٍ هَلَى مَنْ حَالَفَ
ذَلِكَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنْتُمْ أَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، دَعَوُهُمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ
لِعَمَلِهِ عَابٍ ، وَلَا لِعَصَبٍ عَاصِبٍ ، وَلَا لِاسْتِدْلَالٍ قَوْمٍ قَوْمًا ، وَلَا لِمَسْئَةِ قَوْمٍ قَوْمًا ،
عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَعَارِئُهُمْ ، وَسَفِيهِهِمْ وَعَالِيهِمْ ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ .
ثُمَّ إِنَّ صَلَاحَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، إِنْ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا .
وَكُتِبَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

الشرح :

الحلف : العهد ، أى ومن كتاب حلف ، لحذف المضاف . واليمن : كل من ولده
قحطان ؛ نحو حنجر ، وعك ، وحدام ، وكندة ، والأرد ، وغيرهم .
وربيعة ، هو ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان ؛ وهم بكر وتغلب ، وعبد القيس .
وهشام ، هو هشام بن عماد بن اسائب السكلى ، لسابة ابن سابة ؛ عالم بأيام العرب
وأخبارها ، وأبوه أعلم منه ، وهو يروى عن أبيه .

والحاضر : ساكنو الحضر : والبادي : ساكنو البادية ؛ واللفظ لفظ المفرد
والعنى الجمع .

قوله : « إنهم على كتاب الله » حرف الجر يتعلّق بمحدوف ، أى محتممون .

قوله : « لا يشترون بـِ ثَمَنًا قَبِيلًا » ، أى لا يتموّنون عنه بالثمن ، فسَمَى التموّض
اشتراء ؛ والأصل هو أن يشتري شيء بالثمن لا لثمن بالشيء ، لكنه من باب اتّساع العرب ،
وهو من ألفاظ القرآن العزيز (١) .

وإنهم يذّ واحدة ، أى لا حلف بينهم .

قوله : « لمعتبة فأن » ، أى لا يؤثّر في هذا العهد والحلف ، ولا ينعضه أن يعتب أحد
منهم على بعضهم ؛ لأنه استجداء لم يُعديه ، أو طلب منه أمراً فلم يتم به ، ولا لأنّ أحداً
منهم عصب من أمر صدر من صاحبه ، ولا لأنّ عزيزاً منهم استدلّ دليلًا منهم ، ولا لأن
إسناناً منهم سبّ أو عا بمصمهم ، فإن أمثال هذه الأمور يتعدّ ارتعاعها بين الناس ؛ ولو
كانت تنقض الحلف لما كان حلف أصلاً .

واعلم أنه قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : « كلّ حلف كان في الجاهلية
فلا يريد الإسلام إلّا شدة » ؛ ولا حلف في الإسلام ، لكن فعل أمير المؤمنين عليه السلام
أولى بالاتباع من حر الواحد ؛ وقد تحالفت العرب في الإسلام مهاداً ، ومن أراد الوقوف
على ذلك فليطلبه من كتب التواريخ .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَبِيلًا ﴾ .

(٧٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أول ما يوبع له بالخلافة - ذكره الواقدي في كتاب الجمل :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :
أَمَّا نَعْدُ ؛ فَقَدْ عَمِمْتَ إِعْدَارِي فِيكُمْ ، وَإِعْرَاصِي عَنْكُمْ ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ
وَلَا دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَذْبَرَ مَا أَذْبَرَ ، وَأَقْلَّ
مَا أَقْلَّ ، فَابْيَعْ مِنْ هَذَا ، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي رَقْدٍ مِنْ أَسْعَابِكَ وَالسَّلَامُ .

الشرح :

كتبه إلى معاوية ومحاطته لني أمية حميدا . قال : « وقد عمت إعدادي فيكم » ،
أي كوني ذا عذر لو لمثلكم أو دمتكم - يعني في أيام عثمان .

ثم قال : « وإعراصي عنكم » أي مع كوني ذا عذر لو فعلت ذلك فلم أفعله ، بل أعرضت
عن إساءتكم إلي وضربت عنكم صمعا . حتى كن ما لا بد منه - يعني قتل عثمان
وما جرى من الرخصة بالمدينة .

ثم قاطعه الكلام مقاطعة وقال له : والحديث طويل ، والكلام كثير ، وقد أذبر
ذلك الزمان ، وأقبل زمان آخر ، فابيع وقديم ؛ فلم يبايع ولا قدم ، وكيف يبايع

وعينه طامحة إلى الملك والرياسة منذ أمره عمر على الشام ، وكل عالي الهمة ، تواقاً إلى معالي الأمور ، وكيف يطيع علياً والمحرضون له على حرّنه عدد الحصا ! ولو لم يكن إلا الوليد بن عقبة لكفى ، وكيف يسمع قوله :

فوالله ما هتدُ بأَمْك إن مضى أسهارُ ولم يثأر بعُتاتُ نائرُ
أَيَقْتَلُ عِندُ القومِ سَيِّدَ أهِيهِ ولم تَقْتُلُوهُ ، ليت أَمْك عاقِرُ
ومن عجبٍ أنْ تَبْتَ بالشامِ وادعاً قَرِيراً وقد دارت عليه الدوائرُ ا

ويطيع علياً ، ويبايع له ، ويُقدِّم عليه ، ويسمّ نفسه إليه ، وهو مارل بالشام في وسط مَخطَّان ودونه منهم حرّنة لا ترام ؛ وهم أطوع به من نعمه ، والأمر قد أمكنه الشروع فيه ؛ وتأنق له مع هذا التحريضُ أحنُ الناس وأصعقهم نسا وأنقصهم همّة لحركة وشجدة من عزمه ؛ فكيف معاوية ، وقد أبغض الوليدُ بشيمه من لا يندم ا

(٧٦)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على المصرة :

سَمِعَ النَّاسَ يَوْحِيكَ وَيُحْيِيكَ وَخُكِّمَكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَصَبَّ فَإِنَّهُ طَبِيرَةٌ
مِنَ الشَّيْطَانِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا قَرَأْتَكَ مِنَ اللَّهِ يُبْعِدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا دَعَاكَ مِنَ اللَّهِ يُفَرِّقُكَ
مِنَ النَّارِ .

الشرح :

روى : « وحملك » . وتقرّب من الله ، هو التّربّ من ثوابه ، ولا شبهة أن ما قرّب
من الثواب باعد من العقاب ، وبالعكس لتنافيهما .

فأما وصيته له أن يسمع أساس روحه ومحسه وحكمه ، فقد تقدّم شرح مثله ، وكذلك
القول في المصّب :

وطبيرة من الشيطان . تمنح طاء وسكون اياء ، أى حصة وطيش
قال الكميّ :

وَحِلْمُكَ عِرَّةٌ إِذَا مَا حَمَمْتَ وَطَرْتُكَ الصَّاتُ وَالْحَمَلُ^(١)

(٧٧)

الأبصار

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج

على الخوارج :

لَا تُحَارِصُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَذُّ دُوِّ وَخُورٍ ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ ... وَتَسْكُنُ
حَارِصَهُمْ نَاسِئَةً ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا .

البنز

هذا الكلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه ، وذلك أن القرآن كثير الاشتناء ،
فيه مواضع يُظن في الظاهر أنها متنافسة متنافية ، نحو قوله : ﴿ لَا تَذَرِكُهُ الْآبُصَارُ ﴾ ^(١)
وقوله : ﴿ إِلَى رُءُوسِهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ^(٢) ، ونحو قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ
خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ قُورُنًا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ،
فاسْتَحْتَبُوا الْعَمَى عَلَى الْإِهْدَى ﴾ ^(٤) ، ونحو ذلك ، وهو كثير جدًا ؛ وأما السنة فليست
كذلك ، وذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وتستوضح منه
الأحكام في الوقائع ، وما عساه بشئ عليهم من كلامهم ؛ يراجعونه فيه ؛ ولم يكونوا
يراجعونه في القرآن إلا فيما قل ؛ بل كانوا يأخذونه منه تلقفًا ، وأكثرهم لا يفهم معناه ،

(١) سورة الأنعام ١٠٣ . (٢) سورة القيامة ٢٣ .

(٣) سورة يس ٩ . (٤) سورة ص ١٧ .

لا لأنه غير مفهوم ؛ بل لأنهم ما كانوا يتعاملون فهمه ؛ إما إحلالاً له أو لرسول الله أن
سألوه عنه ، أو يحروه بحرى الأسماء الشريفة التي إنما يراد منها ركنها لا الإحاطة عساها ؛
فلذلك كثر الاختلاف في القرآن . وأيضاً من ناسحه ومنسوخه أكثر من ناسح السنة
ومنسوخها ؛ وقد كان في الصحابة من يسأل الرسول عن كلمة في القرآن يفسرها له تفسيراً
موحراً ، فلا يحصل له كل النعم ، لما أزلت آية الكلاله^(١) ، وقال في آخرها : ﴿ يَسْئَلُ اللَّهُ
لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا ﴾^(٢) ، سأل عمر عن الكلاله ما هو ؟ فقال له : يكفيك آية الصيف ، لم يرد
على ذلك ، فلم يراحه عمر وانصرف عنه ، فلم يفهم مراده ، وبقي عمر على ذلك إلى أن مات ،
وكان يقول بمد ذلك : اللهم مهما بيت ، من عمر م يتبين ، يشير إلى قوله : ﴿ يَسْئَلُ اللَّهُ
لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا ﴾ وكانوا في السنة ومحطبة الرسول على خلاف هذه القاعدة ، فلذلك
أوساه على عليه السلام أن يحاجهم بالسنة لا بالقرآن .

فإن قلت : فهل حاجتهم بوصيته ؟

قلت : لا ، بل حاجتهم بالقرآن ، مثل قوله : ﴿ قَاتِلُوا حَكَّا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَّا مِنْ
أَهْلِيهَا ﴾^(٣) ومثل قوله في صيد الحرم : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ دَوَاعِدُ مِنْكُمْ ﴾^(٤) ؛ ولذلك
لم يرحسوا والتجتمت الحرب ، وإنما رجع باحتجاجة تفر منهم .

فإن قلت : ما هي السنة التي أمرهم أن يحاجهم بها ؟

قلت : كان لأمر المؤمنين عليه السلام في ذلك عرص صحيح ، وإليه أشار ، وحوله
كان يطوف ونحوم ، وذلك أنه أراد أن يقول لهم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
« على مع الحق والحق مع على بدور معه حيثما دار » ، وقوله : « اللهم والي من والاه
وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من حذله » ، ونحو ذلك من الأخبار التي

(١) يريد قوله تعالى في آخر آية من سورة النساء : « يسألك عن الكلاله » الخ .

(٢) سورة النساء ١٢ . (٣) سورة النساء ٣٥ .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

كانت الصحابة قد سمعنها من قلن في صلوات الله عليه ، وقد بقي ممن سمعها جماعة
تقوم الحجة وثبت بنقلهم ، ولو احتج بها على الخواص في أنه لا يحمل مخالفته والمدول عنه
بمحال لحصل من ذلك عرض أمير المؤمنين في حاجتهم ، وأعراض أخرى أرفع وأعلى منهم ؛
فلم يقع الأمر بموجب ما أراد ، ونقصي عليهم بالحرب ؛ حتى أكلتهم عن آخرهم ، وكان
أمر الله مفعولا .

(٧٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام أحاب به ثا موسى الأشعري عن كتاب كتبه
إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة - وذكر هذا الكتاب سعيد
ابن يحيى الأموي في كتاب المغازي :

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَعَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَطْمِهِمْ ، فَسَأَلُوا مَعَ الدُّنْيَا ،
وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَثَرًا مُعْجَبًا ، احْتَمَمَ بِهِ أَقْوَامٌ
أَعَضَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَأَنَا أَدَارِي مِنْهُمْ قَرْنًا خَافَ أَنْ يَعُودَ عِلْقًا نَعُودُ ، وَإِنِّي رَأَيْتُ
- فَأَعْلَمَ - أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى سَمَاعَةِ أُمِّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاتَّقَبَهَا مِنِّي ،
أَتَمَّبِي بِدَلِكِ حُسْنِ الثَّوَابِ ، وَكَرَمِ الْمَالِ
وَسَأَى بِاللَّيِّ وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَبِهَا تَعَبْتُ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ،
فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حَرَمٍ نَفَعَ مَا أُوتِيَ مِنْ ثَمَلٍ وَتَحْرِتِهِ ، وَإِنِّي لَأَعْتَدُ أَنْ يَمُولَ قَائِلٌ
بِطَائِلٍ ، وَأَنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَسْتَحَبَّهُ اللَّهُ ، فَدَعَّ عَنْكَ مَا لَا تَعْرِفُ ، فَإِنَّ قِرَارَ النَّاسِ
طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِمَا قَابِلَ الشُّوءِ ، وَالسَّلَامُ .

الشرح :

روى : « وناطقوا مع الهوى » ، أى مائنين مع الهوى .
وروى : « وأنا أدارى » بالراء ، من امدارة ، وهى الملاينة والمساهلة .

وروى: « تقع ما أولى » باللام ؛ يقول : أوليته معروفًا .

وروى: « إن قال قائل يياطل ويصد أمرا [قد أسلحه الله ^(١)] » .

واعلم أن هذا الكتاب كتاب من شك في أبي موسى واستوحش منه ؛ ومن قد نقل عنه إلى أبي موسى كلاماً إما صدق وإما كذب . [وقد نقل عن أبي موسى إليه كلاماً إما صدقاً أياً وإما كذباً ^(٢)] ، قال عليه السلام : إن الناس قد تفرق كثير منهم عن حطهم من الآخرة ، فالوابع الدنيا . وإن رلت من هذا الأمر من لا معجبا ، بكسر الجيم ، أى يعجب من رآه ، أى يجعله متعجباً منه .

وهذا الكلام شكوى من أصحابه ونصاره من أهل العراق ؛ فإبهم كان اختلافهم عليه واضطرابهم شديداً جداً . وأبطلوا الثرون ههنا عار واستمارة ، والمضى أنى حصلت في هذا الأمر الذى حصلت فيه على حال معجبة من فائتها ؛ لأنى حصلت بين قوم كل واحد منهم مستند رأى يحالف فيه رأى صاحبه ؛ فلا تسلم لهم كلمة ولا يستوثق لهم أمر ؛ وإن حكمت عليهم برأى أراه أنا حالفوه وعصوه ، ومن لا يطاع فلا رأى له ، وأنا معهم كالطبيب الذى يداوى قرحة ، أى حراحة قد قاربت الاندمال ولم تدرمل بعد ؛ فهو يحاف أن يعود علقاً ، أى دماً .

ثم قال له : ليس أحد - فاعلم - أحرص على أئمة الأمة وضم نشر المسلمين .

وأدخل قوله : « علم » بين اسم ليس وحديثها فصاحة ، وبحوز رفع « أحرص » بحمله صفة لاسم « ليس » ؛ ويكون الخبر محذوف - أى ليس فى الوجود رجل .

وتقول : قد وأيت وأياً ، أى وعدت وعداً ، قال له : أما أنا فسوف أوفى بما وعدت وما استقر بيني وبينك ؛ وإن كنت أمت قد تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه .

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون قوله : « وإن تمنت » من جملة قوله فيما بعد « فإن الشق » كما تقول : إن خالفتني فإن الشق من بحرف الحق .

قلت : نعم ؛ والأول أحسن ؛ لأنه أدرج في مدح أمير المؤمنين عليه السلام كأنه يقول : « أنا أفى وإن كنت لا نفي ، والإيجاب يحسنه السب الواقع في مقابلته :
* والفضة تطهر حسنه الصدق *

ثم قال : « وإنى لأعتد » أى آتف ، من عتد بالكسر أى أئف ، وقسروا قوله : ﴿ فَأَمَّا أُولُ الْأَعْدِينَ ﴾ ^(١) بذلك ، يقول : إني لآتف من أن يقول غيبي قولاً باطلاً ، فكيف لا آتف أما من ذلك لعسى ! ثم محتف زوايات في اللمظة بعدها كما ذكرنا
ثم قال : « مدع عنك ما لا تعرف » أى لا تبين أمرك إلا على اليقين والعلم القطعي ، ولا تصغر إلى أقوال الوشاة ونقطة الحديث ، فإن الكذب يحالط أقوالهم كثيراً ، فلا تصدق ما عساه يملك عني شرار الناس ؛ فإنهم يبرأع إلى أقوال السوء ؛ ولقد أحسن القائل فيهم :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَدَّعَوْا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا
ونحو قول الآخر :
إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا وَإِنْ ذُكِرَتْ بِحَيْرٍ عَدَّوْهُ ^(٢)

(١) سورة الزمر ٨١ . (٢) لقبي بن أم صاحب ، مختارات ابن النجاشي ١ : ٧

(٧٩)

الأصل :

ومن كتاب كتبه عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُمْ مَسَمُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ ،
وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

الشرح :

أى منعوا الناس الحق واشترى الناس الحق منهم بالرشا والأموال ، أى لم يضمنوا
الأمر مواسمها ، ولا ولّوا الولايات مستحقّيها ، وكانت أمورهم الدينية والدنيوية تجري
على وفق الهوى والفرص الفاسد ، واشترى الناس منهم الميراث والحقوق كما تُشترى السلع
بالمال .

ثم قال : « وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ اقْتَدَوْهُ » ، أى حملهم على الباطل فجاء الخلف من بعد
السلف ، فاقْتَدَوْا بآبائهم وأسلافهم وارتكاب ذلك الباطل ظنّاً أنه حق لما قد ألفوه ونشئوا
وربّوا عليه .

وروى « فاشترَوْهُ » بالسبب المهمة أى احتاروه ، يقال استريتُ خيار المال ، أى اخترته
ويكون الضمير عائداً إلى « الطَّلَمَة » لا إلى « اباس » ، أى منعوا الناس حقهم من المال
واختاروه لأنفسهم واستأثروا به .







باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه
ويدخل في ذلك المختار من أحوية مسائله والكلام القصير
الخارج من سائر أعراسه

الشرح :

اعلم أن هذا الباب من كتابنا كالزّوج من اللؤلؤ ، والسواد من المين ؛ وهو الدرّة
المكشوفة التي سائر الكتاب صدها ، ورعا ومع فيه مكرار لبعض ما تقدّم بسير حدّا ؛
وسبب ذلك طول الكتاب وبعد أطرافه عن اللّعن ، وإذا كل الرضى رحمه الله قدسها
فكرّر في مواضع كثيرة في " بهج البلاغة " على اختصاره كما نحن في تكرار بسير
في كتابنا الطويل أعذر .

(١)

الأصل :

كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَأَنَّ اللَّسُونَ ؛ لَا ظَهْرٌ قَبْرُ كَبْ ، وَلَا صَرَعٌ فَيُحْلَبُ .

الشرح :

ابن اللّون : ولد النّاقة الذّكر إذا استكمل السّنة الثّانية ودخل في الثّالثة ، ولا يقال للأُنثى : اسم اللّون ؛ وذلك لأنّ أمّها في الأغلب ترضع عدّها ، فتكون دات بَن ، واللّون من الإبل والشاة : دات الّابق ، نمريرة كات أو بكينة^(١) ، فإذا أرادوا الغزيرة قالوا : أبة ، ويقال : ابن لّون وابن سّون ، مكّرا أو معرّفا ، قال الشاعر :

وابن اللّون إذا مالر في غرير لم يستطع صولة البرن القاعيس^(٢)

وابن اللّون لا يكون قد كمر وفوى طهره على ث برك ، وليس بأُنثى دات صرع فيُحلب وهو مطروح لا يُنتفع به .

وأيام الفتنه هي أيام الحصومة والحرب بين رئيسين صالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير ، وفتنة مروان والصّحّاك ، وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك ، فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كاللّجل وصيفين ونحوهما بل يحب الحماد مع صاحب الحق ومن السّيف واسعى عن السكر وبذل النّفس في إعزاز الدين وإظهار الحق .

(١) الكبيّة : قبيلة الّلب . (٢) غرير ، ديوامه ٣٢٣ . القرن : الحبل . والقاعيس : الشّداد .

قال عليه السلام : أحمل نفسك أيام سنة ، وكفى صعباً مغموراً بين الناس لا تصلح لهم نفسك ولا بمالك ولا تنصر هؤلاء وهؤلاء .

وقوله : « فِرْكَبَ » « فَيُحِبَّ » ، منصوب لأنهما جواب الـ « وى » الكلام مخدوف تقديره : « له » ؛ وهو يستحق الرفع ، لأنه حر الابتداء ، مثل قولك : لا إله إلا الله ، تقديره « لنا » ، أو « فى الوحد » .



(٢)

الأصل :

أُرْرِى نَفْسِهِ مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعِ ، وَرَمَى بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ ،
وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَنِهَا لَبَّهُ

التبريح :

هذه ثلاثة فصول :

الفصل الأول فى الطمع : قوله عليه سلام « أُرْرِى نَفْسِهِ » ، أى قَصَرِهَا .
مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعِ ، أى جعله شعاره أى لارمه .

وفى الحديث المرفوع : « إِنْ الصَّاعُ الزَّالَ الَّذِى لَا تَنْبِتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمَعِ » .
وفى الحديث أنه قال للأَنْصَارِ : « إِنَّكُمْ تَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَّعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ »
أى عند طمع الرزق .

وكان يقال : أكثر مصارع الأناب تحت ظلال الطمع .

وقال بعضهم : العبيد ثلاثة : عند رِقٍّ ، وعند شهوة ، وعند طمع .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الغنى ، فقال : « الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ،
وَمَنْ مَشَى مَسْكًا إِلَى طَمَعِ الدُّنْيَا فَلَيْمَشَ رَوِيدًا » .

وقال أبو الأسود :

النَّسْ عَدُوَّكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَاةٍ طَوَّيْ لَنِي إِدْبِيَةَ اللَّذَّهِرِ لِنَاسٍ
وَلَا تَعَرَّ نَكَ أَحَقَّادُ مَرْمَلَةٍ قَدْ يُرْكَبُ الدَّيْرُ الدَّامِي بِأَحْلَاسٍ
وَاسْتَعْنِ عَنِ كُلِّ دِي قُرْبِي وَدِي دَحِيمٍ بِنِ الْعَيْيِ الَّذِي اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ
قال عمر . ما الخمر صِرْفًا بِأَدَهَتْ لِنَقُولِ لِرَحَالٍ مِنَ الطَّمَعِ .

وفي الحديث المرفوع : « الطمع الفقر الحاصر » .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ مَحْبِلَةً فَطِغَتْ فِيهَا وَفِي الطَّمَعِ الْمَدْلَةُ لِلرَّقَابِ

الفصل الثاني في الشكوى : قال عليه السلام : « من كشف للناس سره » أي شكى

إليهم يؤسه وفقره ، « فقد رضى بالنيل » ،

كل يقال : لا شكوت إلى أحد ، فإنه إن كان عدوًا سره ، وإن كان صديقًا ساءه

وليت سره العدو ولا مساءة الصديق بمحمودة .

مع الأحف رحلاً يقول : لم أسمع المليئة من وجم صرسي ؛ فحمل يكثر ، فقال : يا هذا

لَمْ تَكْثُرْ ؟ هو الله لقد دهمت عيني مد ثلاثين سنة فما شكوت ذلك إلى أحد ، ولا أعلمت

بها أحدا .

الفصل الثالث في حفظ اللسان : قد تقدم لنا قول شافٍ في ذلك ، وكان يقال : حمط

اللسان راحة الإنسان ، وكان يقال : رت كلمة سمكت دعا ، وأورثت بدما .

وفي الأمثال العامية ، قال اللسان للرأس . كيف أنت ؟ قال : بحير لو تركتني .

وفي وصية المهلب لولده ، يا بني نادوا تحثوا ، فإن بني الأعيان يختلفون فكيف بني

العلات ، إن البر يسأ في الأجل ، ويريد في العدد ، وإن القطيعة تورث القلة ، ويعقب

انفار بعد الذلّة . اتقوا رلة اللسان فإن الرجل تزلّ رحله فينتعش . ويزلّ لسانه فيهلك ،
وعليكم في الحرب بالمكيدة ، فإنها أبع من أنجدة ، وإن القتال إذا وقع وقع القصاص ،
فإن ظفر الرجل ذو الكيد والحزم سعد ، وإن طُمر به لم يقولوا : فرط .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

يموتُ الفتي من عشرةٍ بلسانه وليس يموتُ المرء من عشرة الرجل



(٢)

الأصل :

أَسْخُلُ مَارَءَ ، وَالْجُنُ مَسْقَمَةٌ ، وَنَقَرُ بَحْرَسُ الْقَطِينِ عَنْ حَاحَتِهِ ، وَالْمَقِلُ
غَرِيبٌ فِي بَلَدَتِهِ .

الشرح .

هذه ثلاثة فصول :

الفصل الأول في البخل . وقد تقدم لنا كلام مقتنع في ذلك .

ومن كلام بعض الحكماء في ذلك : مَا أَقْلَ مَنْ يَحْمَدُ الْطَالِ ، وَتَسْتَعْلِي الْعِشَارُ ،
وَيَرْضَى عَنْهُ السَّائِلُ ، وَمَا زَالَتْ أَمَّ السَّكْرَمِ رُورًا وَأُمُّ اللُّؤْمِ دُلُولًا . وَأَكْثَرُ الْوَاحِدِينَ
مَنْ لَا يَجُودُ ، وَأَكْثَرُ الْأَحْوَادِ مَنْ لَا يَجِدُ .

وما أحسن قول القائل : كفى حراً أن الجواد معتز عبده ، ولا معروف عند محيل .

وكان يقال : البخل مهابة ، والجود مهابة .

ومن أحسن ما نقل من حُود عبد الله الثُمون أن عمر بن مسعدة كانه مات في سنة
سبع عشرة ومائتين ، وحلف تركه خليله ، فمات أخاه أبا إسحاق المعتصم وجماعة معه من
الكتاب ليحضروا ملفها ، فجاء المعتصم إليه وهو في مجلس الخلافة ، ومعه الكتاب ، فقال :
ما رأيتم ؟ فقال المعتصم معظماً له رآه : وحده عني ، وصامتا ، وصبيعا ، فبما ذلك أجمع
ثمانية آلاف ألف دينار - ومدّ صوته - فقال الثُمون : إنا لله ! والله ما كنت أرساها

لتابع من أتباعه ليوفر هذا على مخالفيه ! تفجّل المعتصم حتى ظهر خججه للحاضرين .

الفصل الثاني في الجبن ، وقد تقدم قولنا في فضل الشجاعة .

وقال هشام بن عبد الملك لسلمة أخيه : يا أبا سعيد ، هل دخلك دُمر في حرب قطّ شهدتّها ؟ قال : ما سلت في ذلك عن ذعر يَنْبَه على حيلة ، ولا غشِيَنِي دعر سَلَبَنِي رَأْيِي ، فقال له هشام : هذه والله البَسالة ، قال أبو دُلّامة ، وكان جَبَانًا :

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحِ أَنْ يَدْتَمِي إِلَى الْقِتَالِ فَتَشْقَى بِي بَنُو أَسَدٍ
إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَلَمْ ارْثْ رَعْبَةً فِي الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ

قال المنصور لأبي دُلّامة في حرب إبراهيم : تقدّم وبك ! قال : يا أمير المؤمنين ! شهدت مع مروان بن محمد أرملة عساكر كلّها انهزمت وكبرت ؛ وإنّي أعينك بالله أن يكون عسكرك الخامس .

الفصل الثالث في الفقر . وقد تقدم القول فيه أيضا .

ومثل قوله : « الفقر يخرس الفطن عن حاجته » قول الشاعر :

سَأْمِيلُ نَصٍّ الْمَيْسِ حَتَّى يَكْفَى فِئْتَى لِلْمَالِ يَوْمًا أَوْ غَنَى الْخَدَثَانِ
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحَرِّ بِالْإِفْلَاقِ وَسَمُّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُبْلَغَ حُكْمُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ النَّفْسَ عَنْ أَهْلِ بَوْدِكَ الْغَنَى بِعِيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

ومثل قوله عليه السلام : « والمقلّ عريب في بلده » قول حلف الأحرار :

لَا تَعْطَى أَنَّ الْغَرِيبَ هُوَ التَّائِي إِنِّي وَلَكِنَّمَا الْغَرِيبُ الْمَقْلُ

وكان يقال : مالك نورك ، فإن أردت أن تنكشف ضرّقه وأتلفه .

قيل للإسكندر : لم حطت الفلاسفة المالَ مع حكمتها ومعرفتها بالدنيا ؟ قال : لئلا
تُحوجهم الدنيا إلى أن يقوموا مقاماً لا يستحقونه .

وقال بعض الزهاد : ابدأ بعيمتك فاحررها ثم تعبد .

وقال الحسن عليه السلام : مَنْ رَمَى أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ الْمَالَ فَهُوَ عَدِي كَارِبٌ ، فَإِنْ عَلِمْتَ
صَدَقَهُ فَهُوَ عَدِي أَحَقُّ .



(٤)

الأضل :

العَجَزُ آفَةٌ ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ، وَرُفْعُ ثَرَاوَةٍ ، وَالْوَرَعُ حُكْمٌ ، وَيَعْمَ الْقَرِينُ
الرُّسَا .

الْبَيْزُ :

فهذه فصول حجة :

الفصل الأول : قوله عليه السلام « العَجَزُ آفَةٌ » ، وهذا حق لأن الآفة هي النقص
أو ما أوجب النقص ، والعجز كذلك .
وكان يقال : العجز المفرط ترك التأهب للمعاد .
وقالوا : العجز عجزان ، أحدهما عجز التفصيل وقد أمكن الأمر ، والثاني الحذف في طلبه
وقد فات .

وقالوا : العجز نائم ، والحزم يقطن .

الفصل الثاني في الصبر والشجاعة : قد تقدم قولنا في الصبر .

وكان يقال : الصبر صبراً ، لا يتجرّعه إلا حرّاً .

وكان يقال : إن للأرمان الممودة والممودة أعماراً وأحالا كأعمار الناس وآجالهم ؟

فاصبروا لزمانٍ سوء حتى يضي عمره ، ويأتى أحله .

وكان يقال : إذا تضيّفتك نارله فافيرها الصبر عليها ، وأكرم مشواها لديك بالتوكل

والاحتساب لترحل عنك ، وقد أبقتُ عليك أكثر مما سكتُ منك ، ولا تنسها عند رخائك ، فإنَّ تدسُّركَ لها أوقات الرِّحاء بعد السوء عن فعلك ، وينبئ القساوة عن قلبك ويوزعك سجد الله وتقواه .



الفصل الثالث : قوله : « والزهد ثروة » ، وهذا حق ، لأنَّ الثروة ما استغنى به الإنسان عن الناس ، ولا عاء عنهم كالزهد في دنياهم ؛ فالزهد على الحقيقة هو الفسَى الأكبر .

وروى أن عليا عليه السلام قال لعمر بن الخطاب أول ما ولى الخلافة : إنَّ سرَّك أن تلحق بصاحبيك فقصر الأمل ؛ وكلُّ دور أشجع ، وارقع القميص ، واحصب الثمل ، واستغن عن الناس بفقرك تلحق بهما .

وقد ملك على سقراط وهو في الشرففة قد أسند ظهره إلى حُبَّ كان مأوى إليه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : حاجتي أن تنقضي عني ، فقد منعني ظلك المرفق بالشمس ، فسأله عن الحب ، قال : آوى إليه ، قال : فإن اكسر الحب لم يتكسر المكان وكان يقال : الزهد في الدنيا هو الزهد في المحمدة والرياسة ، لا في المطعم والشرب ، وعند المرافين : الزهد ترك كل شيء يشغلك عن الله .

وكان يقال : العالم إذا لم يكن راهدا لكان عقوبة لأهل زمانه ، لأنهم يقولون : لولا أن علمه لم يصوب عبده الزهد لرهده ، فهم يقتدون برهده في الزهد .



الفصل الرابع : قوله : « والورع حُتَّة » ؛ كان يقال : لاعصمة كعصمة الورع والعبادة ؛ أما الورع فيمصحك من المعاصي ، وأما العادة فتعصمك من حصمك ؛ فإنَّ عدوك لو رآك قائما تصلي وقد دخل ليقتلك لصدَّ عنك وهابك .

وقال رجل من بني هلال لبيه : يا نسيّ أظهروا النُّسكَ فإنّ الناس إن رأوا من أحدٍ منكم بحلاً ، قالوا : مقتصد لا يحبّ الإصراف ، وإن رأوا رعيّاً ، قالوا : متوقّ يكره الكلام ، وإن رأوا حنّاً قالوا : متحرّج يكره لإقدام على الشهات .



الفصل الخامس : قوله : « ولم القرين الرضا » ، قد سبق ما قول مقبّع في الرضا .
وقال أبو عمرو بن العلاء : دفعت إلى أرض محدبة بها سرٌّ من الأعراب ، فقلت لبعضهم : ما أرضكم هذه ؟ قال : كما ترى ، لا ررع ولا ضرع ، قلت : فكيف يعيشون ؟ قالوا : بحرش^(١) الصّاب ، ونصيد الدّواب ، قلت : فكيف صرّكم على ذلك ؟ قالوا : يا هذا ، سلّ حلق الخلق : هل سويت ؟ فقل : بل رصيت .

وكان يقال : مَنْ سَخِطَ المصاء طاحَ وَمِنْ خَضَى بِهِ اسْتَرَاخ .

وكان يقال : عليك بالرضا ، ولو قُبِيتَ على بحر المصاء .

وفي الخبر المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى : « من لم يرص مصافى فليتنحز رباً موائى » .

(١) في اللسان : « حرش الصب يحرشه حرشاً ، واحترشه وتحرش وتحرمه ، أي لقا حجره فلمقم بمصاه عنه وأبلغ صرفها في حجره فإذا سمع الصوت حبه دابة يريد أن تدخل عليه فجاء برجل على رجليه وعمره مقاتلاً وبصر يده فاهزم الرجل فأخذ يده فصبت عليه — أي شد القسي — فلم يقدر أن يعيه — أي يهتبه — » .

(٥)

الأصل :

العلمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ ، والآدابُ حُلٌّ مُحَدَّدَةٌ ، والفِكرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ .

الشرح :

إنما قال : « العلم وِرَاثَةٌ » لأنَّ كلَّ عالمٍ من البشر إنما يكتسب علمه من أستاذٍ يَهْدِيهِ وموقفٍ يعلمه ؛ فكأنه وِثَرُ العلمِ منه كما يرث الابنُ المالَ عن أبيه ، وقد سبق مما كلام شافٍ في العلم والأدب .

وكان يقال . عطية العالم شبيهة عواهب الله عزَّ وجلَّ ، لأنها لا تعتمد عند الخلود بها وتبقى بكمالها عند مفيدتها .

وكان يقال : الفضائل العلمية تشبه السحل ، نطى الثمرة ، بعيد الفساد .

وكان يقال : ينفى للعالم ألا يترفع على الخاهل ، وأن يتطامنَّ له اعتماد ما رفعه الله عليه ، وينقله من الشكِّ إلى اليقين ، ومن الخسرة إلى التبيين ، لأن مكائفته قسوة والصبر عليه وإرشاده سياسة .

ومثاله قول بعض الحكماء : الخير من الماء من يرى الخاهل عملة الطفل الذي هو بالرحمة أحقُّ منه بالعطلة ، ويمدده نفسه بما فرط منه ولا يمدد نفسه في التآخر عن هدايته .

وكان يقال : العلم في الأرض بمنزلة الشمس في العلك ، لولا الشمس لأظلم الجوّ ، ولولا العلم لأظلم أهل الأرض .

وكان يقال : لا حيلة أجمل من حيلة الأدب ، لأنّ حيل الثياب تبلى ، وحيل الآداب تبقى ، وحيل الثياب قد يعتصمها العاصب ، ويسرقها السارق ، وحيل الآداب باقية مع جوهر النفس .

وكان يقال . الفكرة الصحيحة بمطولات روحاني .

وفال أوس بن حجر يرثي :

إنّ الذي تجمّع الشّاحة والسّجدة والحرم والشّعن^(١) حمما

الأميّ الذي نظر منك الظنّ كأنّ قد رأى وقد ممّا

ومن كلام الحكماء . النار لا ينقصها ما أُخذ منها ، ولكن يحمدها ألا يجد خطيئا ،

وكذلك العلم لا يُفنيه الاقتصار ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه .

فيل لبعضهم : أيّ العلوم أفضل ؟ قال . ما العامّة فيه أرهد .

وقال أفلاطون : من جهل الشيء ولم يسأل عنه جمع على نفسه نصيحتين .

وكان يقال : ثلاثة لا تحرمه مهن : أدب يزيب ، ومحابة الرّيبة ، وكف الأدب .

وكان يقال : عليكم بالأدب ، فإنه صاحب في السر ، ومؤس في الوحدة ، وجمال في

الهجول ، وسبب إلى طلب الحاجة .

وكن عبد الملك أديبا فاصلا ، ولا يحاس إلا أديبا .

وردى الهيثم بن عسديّ عن يسعري كدام ، قال : حدثني سعيد بن خالد الجندليّ ،

قال : لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مُصعب دعا الناس يعرضهم على فرأتهم ،
فخضروا بتي يديه ، فقال : من انقوم ؟ قسا . خديلة ، فقال : خديلة عَدُوَان ؟ قلنا : نعم ،
فأشده :

عَدِيرَ الْحَيِّ مَنِ عَدُوا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(١)
نَمَى بِمُضْمُومٍ بِمَصَا فَلَمْ يَرَعُوا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَسْمٌ يَقْضِي : فَلَا يُقْضَى مَا يَقْضِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ النَّاسَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَرَضِ

ثم أقبل على رجل مئاً وسيم حسيم فدعاه أماما ، فقال : أيكم يقول هذا الشعر ؟
قال : لا أدري ، فقلت أنا من حلته : بقوله دو الإصبع ، فتركي وأقبل على ذلك الرجل
الحسيم ، فقال : ما كان اسم دي الإصبع ؟ قال : لا أدري ، فقلت أنا من حلته : اسمه
حُرثان ، فتركي وأقبل عليه ، فقال له : وم سَمِي دَا الإصبع ؟ قال : لا أدري ، فقلت أنا
من حلته : نهشته حية و إصبعة ، فأقبل عليه وتركي ، فقال : رين أيكم كان ؟ فقال :
لا أدري ، فقلت أنا من حلته : من دي نوح تدين يقول الشاعر فيهم :

فَأَمَّا بَنُو نَاحٍ فَلَا تَذْكُرْتَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْنِ عَيْنَاكَ مَنْ كَانَ هَالِكَا

فأقبل على الحسيم ، فقال : كم عطاؤك ؟ قال : ستمائة درهم ، فأقبل على ، وقال :
وكم عطاؤك أنت ؟ قلت : أربعمائة ، فقال : يا أبا الزَّعْبَرَةِ ، حط من عطاء هذا ثلثمائة ،
وزدّها في عطاء هذا ، فرحت وعطاني ستمائة وعصاؤه أربعمائة^(٢) :

وأشدّ منشدً بحصرة الواثق هارون بن العتصم :

(١) يقال للرجل الصعب المبع : حية الأرض .

(٢) الخبر في الأمانى ٣ : ٩١ ، ٩٢ .

أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَحْلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً طُمٌ^(١)

فقال شخص: رحل هو حر «إِنْ»، وو فقه على ذلك وقم وخالفه آخرون، فقال الواصل:
من بقى من علماء استحيين؟ قالوا: أبو عثمان الدرقى بالبصرة، فأمر بإشخاصه إلى
سُرْمَنْ رَأَى بعد إزاحته، قال أبو عثمان: فاشخصت، فلما أدخلت عليه قال: ممن الرجل؟
قلت: من مارن، قال: من مارن تميم، أم من مارن ربيعة، أم مارن قيس. أم مارن
اليماني؟ قلت: من مارن ربيعة، قال: ناسك؟ بباء؟ - يريد: «ما اسمك» لأن لغة مارن
ربيعة هكذا، يدلون الميم بباء والماء ميمًا - فقلت: مكرأى «مكر» ، فصحك وقال: احلس
واطمئن، فحلت فألقى عن أبيته فأشدته مصوفاً، فقال: فأين حر إن؟ فقلت:
«طلم» قال: كيف هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن أبيت إن لم يحمل «طلم»
حر «إِنْ» يكون مقطوع المعنى معدوم المائدة / قلنا كررت القول عليه فهم، وقال:
فيح الله من لا أدب له، ثم قال: ألك ولد؟ قلت: بنية، قال: ما قالت لك حين ودعتها؟
قلت: ما قالت بنت الأعشى:

تقولُ أبيتِ حينَ حَذِّ الرِّجْلِ أَرَأَا سِوَاهُ وَمِنْ قَدْ يَتَسَمَّ^(٢)
أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا فَأَبَانَا بِحَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ
أَمَانَا إِذَا أَصْرَتْكَ السَّلَا دُ نَحْفَى وَتَقَطَّعَ مَاءَ الرَّحِمِ

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت: أشدتها بيت حرير:

رَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْحَلِيمَةِ نَالِحِاحٍ^(٣)

فقال: ثي نالِحاح إن شاء الله تعالى، ثم أمرني بأنف دينار وكسوة، ورددني إلى البصرة^(٤).

(١) نسخة ابن حنبلان والحريري ودرة المراس ٤٣ إلى العرشي، ونسخة الصدادي في الخزانة ٣١٧:١ إلى الغارث من خالد المروسي.

(٢) ديوانه ٣٣ . (٣) ديوانه ٣٦ .

(٤) الخبر في طبقات الريدي ٩٣، ٩٤ .

(٦)

الم الأصل

وَصَدْرُ الْعَاقِلِ مُدْذَوِّقُ سِرِّهِ ، وَالنَّشَاشَةُ حَيَاةُ الْمَوَدَّةِ ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ .
وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْمُبَارَاةِ عَنْ هَذَا الْمَقْصِدِ أَيْضًا : الْمَعَالِمَةُ حَبَّةُ الْعُيُوبِ .

التيسر

571

هذه فصول ثلاثة :

الفصل الأول : قوله : « صدر اساقط مسندوق سره » قد ذكرنا فيما تقدم طرقا
صالحا في كتاب السر .

وكان يقال : لا تُكَيِّحْ حَاطِبَ سِرِّكَ .

قال معاوية لسبحار المدي : ابع لي حديثه ، قال . معي يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ،
أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأحبه كتموما ، فإن الرجل إذا اتخذ حليسا أتى إليه
عُصْرَهُ وَنُحْرَهُ .

وقال بعض الأعراب : لا تضع سرّك عند من لا سرّ له عندك .

وقالوا : إذا كان سرّ الملك عند اثنين دحلت على الملك الشبهة ، وأتسمت على الرّحّلين
الاعاذير ، فإن عاقبهما عند شياعه ، عاقب اثنين بدب واحد ، وإن اتهمهما اتهم بريئا

بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا بد له ، وعن الآخر ولا حجة عليه .

الفصل الثاني : قوله : « انشاشة جبلة الودّة » ، قد قفنا في البشر والشاشة فيما سبق قولاً مقنعاً .

وكان يقال : البشر دالّ على السجاء من ممدوحك ، وعلى الودّة من صديقك دلالة النور على التّعزّ (١) .

وكان يقال : ثلاث بُمين لك الودّة في صدر أخيك . تلقاه شرك ، وتدوّه بالسلام ، وتوسّع له في المجلس .

وقال الشاعر :

لا تدحمتك صخرة من سائلٍ فلتجبر دهرك أن ترى مشؤلاً
لا تمهين بالردّ وحة مؤسّرٍ قد رام عسيرك أن يرى مأمولاً
تلقى الكريم فتسندل بشره وترى الموس على اللثيم دليلاً
واعلم بأنك عن قليل صائرٌ حراً فكن حراً يروق جيلاً

وقال البحرى :

لو أن كفتك لم تجد المؤمل لكف عاحل بشرك التهلل (٢)
ولو أن معدك لم يكن متقادماً أمدك آخر سودٍ عن أول
أدركت ما فات الكهول من الحجا من عُموان شمالك المستقل
فإذا أمرت فما يقال لك أتيدُ وإذا حكمت فما يقال لك : اعدل

الفصل الثالث : قوله : « الاحتمال غير اليوب » ، أى إذا احتملت صاحبك وحلت

(١) في ٥ : « دلالة النور على القمر » : (٢) ديوانه ٤ : ٢١٨ .

عنه منّر هذا الخلق الحسن منك عيوبك ، كما يستر الفقر الميت ، وهذا مثل قولهم في الجود :
كلّ عيبٍ فالكرمُ ينقطيه .

فأما الخُبْرُ فمصدر حياته أحمؤه ، والمعنى في الروايتين واحد ، وقد ذكرنا في فصل
الاحتمال والمسألة فيما تقدم أشياء سالحة .

ومن كلامه عليه السلام : وحدث الاحتمال أنصر لي من الرجال .

ومن كلامه : مَنْ سألَ النَّاسَ صلِّهم منهم ، ومن حاربَ النَّاسَ حاربوه ؛ فإنَّ العثرة
للكاثر .

وكان يقال : العاقل حادِمُ الأحمق أبداً ، إن كان فوقه لم يحد من مداراته والتقرب إليه
بدّاً ؛ وإن كان دونه لم يحد من احتماله واستكفاف شره بدّاً .

وأسمع رجل يريده بن عمر بن هُبيرة فأعرض عنه ، فقال الرجل : إِيَّاكَ أَعَى ، قال :
وعنك أَعْرَضَ .

وقال الشاعر :

إذا طلقَ السَّعيُّ فلا تَحْبِهْ فخيرٌ من إحاثه السُّكُوتُ
سكتٌ عن السَّعيِّ طُنْ أَيْ عَيْتٌ عن الجواب وما عَيْتُ

(٧)

الأصل :

مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ اسَاحِطُ عَلَيْهِ ، وَالصَّدَقَةُ دَوَالَا مُسِحِحٌ ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي
عَاحِلِهِمْ نَعْبُ أَعْيِمِهِمْ فِي آحِلِهِمْ .

الشرح :

هذه فصول ثلاثة :

الفصل الأول : قوله « مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاحِطُ عَلَيْهِ » . قال بعض الفضلاء
لرحل كان يرضى عن نفسه ويدعي البير على الناس « لعلم : عليك موم تروقههم يزبر حاك ،
وزروعهم رحررك ، فانك لا نعدم عر ، ولا تفقد عمرا ، لا يسلع مسبارهما عوراك ،
ولا تستغرق أقدارهما طورك .

وقال الشاعر :

أَرَى كُلَّ كِلْ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ بَعِيرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا حَبِيرُ مَنْ نَحَقَى عَلَيْهِ عَيْبُوهُ وَيَسْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي بِأَحْيِهِ

وقال بعضهم : دخلت على ابن مارة وبين يديه كتاب قد صتمه ، فقلت : ما
هذا ؟ قال : كتاب عملته مدحلاً إلى الثورية ، فقلت : إن الناس ينكرون هذا ،
فلو قطعت الوقت بعيره^(١) ! قال : الناس خهل ، وأنت صدم ؟ قال : نعم ، قلت :

(١) في د : « بئر هذا » .

فينبغي أن يكون صدقهم جاهلاً عندهم ، قال : كذلك هو ! قلت : فقد بقيت أنت جاهلاً بإجماع الناس ، والناس حتمل بقولك وحدك ؟ ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

إذا كنت تقضي أن عقلك كاملٌ وأنّ بي حواءَ غيرك جاهلٌ
وأنّ معيصَ العلم صدرك كله فمن ذا الذي يدري ما لك عاقل !

الفصل الثاني : « الصدقة دواء منجح » ، قد جاء في الصدقة فصل كثير ، وذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . وفي الحديث الرفوع : « تاحروا الله بالصدقة تريحوا » ؛ وقيل : الصدقة صدّاق الحمة .

وقيل للشّلّى : ما يحب في مائتي درهم ؟ فقال : أتا من حمة الشرع خمسة دراهم ، وأما من حمة الإخلاص فالكثرة .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل فقيل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تعطى وأنت صحيح شحيح ، تأمل لفقرك ، وتحبى الفقير ، ولا تمهل حتى إذا سمع الخلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا » .

ومثل قوله عليه السلام : « الصدقة دواء منجح » ، قول النبي صلى الله عليه وآله : « داووا مرضاكم بالصدقة » .

الفصل الثالث : قوله : « أعمال السادق أحسنهم نصيب أعينهم في آحادهم » ، وهذا من قوله تعالى : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَصَّرًا وَمَا تَكُنْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

لَوْ أَنَّ بَيْتَهَا وَبَيْتَهُ أَمَدًا بَعِيدًا^(١) . وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢) .

ومن كلام بعضهم : إنا تقدم على ما قدمت ، ولست تقدم على ما تركت ؛ فآثر
ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا .

ومن حكمة أفلاطون : اكنم حسن صبيحت عن أعيى البشر ، فإن له ممن ييده
ملكوت السماء أعياناً ترمقه فتجاري عليه .

(١) سورة آل عمران ٣٠ . (٢) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٨)

الأصل :

اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ نَشْخَمَهُ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلُحْمِهِ ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمِهِ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمِهِ .

الشَّيْخ :

هذا كلام محمول بمصه على ظاهره ، لا تدعو إليه اضطرورة من محاطة المائة بما يسهموه والمدول مما لا تقبله عقولهم ، ولا تغير قلوبهم .

أما الإبصار ؛ فقد اختلف فيه ، فقل : إنه بخروج شعاع من العين يتصل بالمرئي وقيل : إن القوة الباصرة التي في العين تلاقى بذاتها للثبات فتصرها . وقال قوم : من يتكيف الهواء بالشعاع البصري من غير خروج ، فيصير الهواء باعتبار تكيفه بالشعاع به آلة العين في الإدراك .

وقال المحققون من الحكماء : إن الإدراك البصري هو ما نطاع أشباح الرئيات في الرطوبة الجذبة من العين عند توسط الهواء اشغاف الضياء ، كما تنطبع الصورة في المرآة . قالوا : ولو كانت المرآة ذات قوة مبصرة لأدركت الصور المطبعة فيها ؛ وعلى جميع الأقوال فلا بد من إثبات القوة الباصرة في الرطوبة الحديدية ، وإلى الرطوبة الحديدية وهت إشارة عليه السلام بقوله : « ينظر نَشْخَمُ » .

وأما الكلام فمحله اللسان عند قوم . وهو قوم : ليس اللسان آلة ضرورية في الكلام لأن من يقطع لسانه من أصله يتكلم ، وأما إذا قطع رأسه لم يتكلم . قالوا : وإعنا الكلام

باللهوات ، وعلى كلا القولين فلا بد أن تكون آلة الكلام لحم ، وإليه وقعت إشارة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وليس هذه النية المحصورة شرطا في الكلام على الإطلاق لحواز وجوده في الشجر والجود عند أصحابنا ؛ وإنما هي شرط في كلام الإنسان ، ولذا قال أمير المؤمنين : « اعجبوا لهذا الإنسان » .

فأما السمع للصوت فليس نعظم عند تحقيقه ، وإنما هو بالقوة المودعة في العصب المروش في الصَّحاح كالنشاء ، فإذا حمل الهواء الصوت ودخل في ثقب الأذن المنتهي إلى الصَّحاح بعد تعويجات فيه حملت لتجرى بحرى البراعة المصوتة ، وأقصى ذلك الصوت إلى ذلك العصب الحامل للنعوة السامعة حصل لإدراكه . والحيلة فلا بد من عظم ، لأن الحامل اللحم والعصب إنما هو العظم .

وأما الشمس فلا ريب أنه من حرّم ؛ لأنه من الألف ، وإن كان قد عكس لو سدّ الألف أن يتنفس الإنسان من الدم وهو حرّم أيضاً ، والحاجة إلى التنفس بإخراج الهواء الحارّ عن القلب وإدخال النسيم البارد فيه ، فحمل الرئة كالمرؤحة بسط وتشمص ، فيدخل الهواء بها ويخرج من قسَمَتها أسفله إلى المعبرين .

(٩)

الأُضَلُ :

إِذَا أَقْبَلْتَ الذَّنْبَ عَلَى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ .

الْبُشْرُجُ :

كل الرشيد أيام كل حسن الرأي في جعفر بن يحيى ، يحلف بالله أن حميراً أقصع من قس بن ساعده ، وأشجع من عامر بن الطفيل ، وأكف من عبد الحميد بن يحيى ، وأشوس من عمر بن الخطاب ، وأحس من مصعب بن الزبير . وكل حمير ليس بحسن الصورة ، وكان طويل الوجه حداً وأنصح له من الخجاج بعد الملك ، وأمنح من عبد الله بن حمير ، وأعف من يوسف بن يعقوب ؛ فلما تغير رأيه فيه أكر محاسنه الحقيقية التي لا يختلف اثنان أنها فيه ، نحو كيامته ومماحته ، ولم يكن أحد يحسُر أن يرد على حمير قولاً ولا رأياً ، فيقال : إن أول ما ظهر من تغير الرشيد له أنه كلم الفصل بن الربيع بشيء فردّه عليه الفصل ، ولم تجر عادة من قبل أن يفتح «هـ» في وجهه ، فأكبر سليمان بن أبي حمير ذلك على الفصل ، فعصب الرشيد لإسكار سليمان ، وقال : ما دحولك بين أحيى ومولاي ؟ كالزاصي عما كان من الفصل ، ثم تكلم جعفر بشيء قاله للفصل ، فقال الفصل : أشهد عليه يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر : فص الله عليك يا جاهل ! إذا كان أمير المؤمنين الشاهد ، فمن الحاكم المشهود عنه ؟ فصحت الرشيد ، وقال : يا فصل ، لا تعار حميراً ؛ فإنك لا تقع منه موقفاً .

واعلم أنا قد وجدنا تصديق ما قاله عليه السلام في العلوم والمصائل والخصائص
النفسانية ، دَعَّ حديث الدنيا والسياسة والرياسة ، فإن المخطوط من علم أو من فضيلة تصاف
إليه شوارد تلك الفضيلة وشوارد ذلك الفن ؛ مثله خطأ علي عايه السلام من الشجاعة ،
ومن الأمثال الحكمية قل أن ترى مثلاً شارباً أو كلمة حكيمية إلا ونضيمها الناس إليه ،
وكذلك ما يدعى العامة له من الشجاعة وقتل الأبطال حتى يقال : إنه حمل على سبعين ألفاً
هزمهم ، وقتل الجن في الشر ، وقتل الطوق الحديد في عُق حالد بن الوليد . وكذلك حفظ
عترة بن شداد في الشجاعة ، يُذكر له من الأحبار ما لم يكن ، وكذلك ما اشتهر به
أبو نُوَاس في وصف الخمر ، يضاف إليه من الشر في هذا الفن ما لم يكن قاله ، وكذلك
حود حاتم وعبدالله بن حمير ونحو ذلك ؛ وبالعكس من لا حظ له ينسب منه ما هو حقيقة له ،
فقد رأينا كثيراً من الشر الجليد يُسمى عن قائله استحقاقاً له ، لأنه حامل الذكر ، وينسب
إلى غيره ، بل رأينا كتباً مصنعة في مور من العلوم تحمل ذكر مصنفها ونسبت إلى غيره
من ذوي النباهة والصيت ، وكل ذلك منسوب إلى الخلد والإقبال .

(١٠)

الأصل :

حَالِطُوا النَّاسَ مُحَاطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهُمَا تَكُونُوا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَتُّوا إِلَيْكُمْ .

البنرج :

وقد روى : « حَتُّوا » بالخاء المعجمة ، من الحنين ؛ وهو صوت يخرج من الأنف عند السكاء . وإلى تتعلق معدود ، أى حننوا شوقاً إليكم .

وقد ورد في الأمر بإحسان العشرة مع أسس الكثير الواسع ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم .

وفي الخبر المرفوع : « إِذَا وَسَّعَ النَّاسُ سِطَ الْوُجُوهِ ، وَحَسَنَ الْخُلُقِ ، وَحَسَنَ الْحَوَارِ ، فَكَأَنَّمَا وَسَّعْتُمُوهُمْ بِالْمَالِ » .

وقال أبو الدرداء : إِنَّمَا لَهَيْشَ فِي وَجْهِهِ أَمْوَالُ وَإِنْ قُلُوبُهُ لَتَقْلِبُهُمْ .

وقال محمد بن الفضل الهاشمي لأبيه : لِمَ نَحْسُ إِلَى عَلَانٍ وَقَدْ عَرَفْتَ عِدَاوَتَهُ ؟ قَالَ : أَخْبِي نَاراً ؛ وَأَقْدَحَ عَنْ وَدِّ .

وقال المهاجر بن عبد الله :

وَإِنِّي لِأَقْصَى الْمَرْءِ مِنْ غَيْرِ نَفْصَةٍ وَأَدْنَى أَخَا الْبَغْضَاءِ مَتَى عَلَى تَهْمَةٍ

لِيُحَدِّثَ وَدّاً بَعْدَ بَغْضَاءٍ أَوْ أَرَى لَهُ مَصْرَعاً يُرِيدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُرِيدِي

وقال عِثَالُ بْنُ شَتَّةِ التَّمِيمِيِّ : كَتَبْتُ رِذْفَ أُنَى ، فَلَقِيَهُ حَرِيرُ بْنُ الْحَطَلِيِّ عَلَى كَفَلَةٍ ،

لَحْيَاهُ أَبِي وَالظُّفَرُ ، فَلَمَّا مَضَى قَتْلَهُ : أَمَعَدَ أَنْ قَالَ لَنَا مَا قَالَ ! قَالَ : يَا بَنِي أَفْأَوْسَعِ حَرْحَى !

وقال محمد بن الحنفية عليه السلام : قد يدفع باختيار الكروه ما هو أعظم منه .

وقال الحسن عليه السلام : حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارَةُ الْإِسَاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نِصْفُ الْمَوْثُوقَةِ .

ومدح ابن شهاب شاعراً فأعطاه ؛ وقال : إِنَّ مِنْ أَشْمَاءِ الْخَيْرِ اتِّقَاءَ الشَّرِّ .

وقال الشاعر :

وَأَرْكَبِي طَوْنَ السَّوَى دَارَ عَرِيَّةٍ مَتَى شئتُ لَأَقْبِتُ امْرَأَةً لَا أَشَاكُهُ
أَمَّا ثَقْفِي حَتَّى يَقَالَ سَحِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ دَا عَقْلٌ لَكُنْتُ أَعَاظُهُ

وفي الحديث المرفوع : « لِلسَّلَامِ عَلَى السَّلَامِ سِتٌّ : يَسْتَمُّ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهِ ، وَيُحْيِيهِ إِذَا دُفِعَ ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيَسُودُّهُ إِذَا مَرَضَ ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيُسَبِّحُ حَبَارَتَهُ إِذَا مَاتَ » .

ووقف صلى الله عليه وآله على محمور ، فحمل بسأطها ويتحفها ، وقال : « إِنَّ حُسْنَ السَّهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ ، إِنَّهَا كَانَتْ ثَانِيًا أَيَّامَ حَدِيثَةِ » .

(١١)

الأصل

إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاحْمِلِ اُنْمَعُوْا عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

الشرح :

قد أخذت أنا هذا المعنى ، فقلت في قطعة لي :

إِنَّ الْأَمَانَةَ أَكْسَابُ الْجَهْلِ فَلَا تَقْبَعْ بِهَا وَارِكَ الْأَهْوَالَ وَالْخَطَرَ
وَاحْمِلْ مِنَ الْعَقْلِ حِمْلًا وَاطْرَحْ بَطْرًا فِي الْمَوَاقِفِ وَلَا تَسْتَعِيرِ الْحَدَرَ
وَإِنْ قَدَّرْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُنْتَصِرًا فَشُكْرُ بَعْمُوكَ عَنْ أَعْدَائِكَ الطَّمَرَا
وقد تقدم لنا كلام طويل في الحلم والصبر والصبر .

ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك : شجر بين أبي مسلم وبين صاحب مرو كلام
أراني فيه صاحب مرو عليه ، وأعطاه في القول ، فاحتسبه أبو مسلم ، وندم صاحب مرو ،
وقام بين يدي أبي مسلم معتدرا ، وكل قال له في حيلة ما قال : يا قَيْطُ ا فقال أبو مسلم :
مه ! لسان سبق ، ووهم أخط ، والعصب شيطان وأحرأنتك على ما حالك قديما ؛ فإن
كنت للذنب معتدرا ، فقد شاركك فيه ، وإن كنت مغلوبا فالعمو يسعك . فقال
صاحب مرو : أيها الأمير ، إن عظم دسي بمنعني من الهدوء . فقال أبو مسلم : يا عجب !
أقابلك بإحسان ، وأنت مسيء ، ثم أقابلك ببسائة وأنت محسن ! فقال : الآن
ونقت بعموك .

وأدب بعض كتاب المأمون دبا ، وتقدم إليه ليحتج لنفسه ، فقال : يا هدا ، قف

مكأنك ؛ فإنما هو عُذْر أو عَمَلٌ ، فقد وهبته لك ، وقد نكرت منك ذلك ، فلا تزال تسيء
ونحس ، وندب ونعير ؛ حتى يكون العفو هو الذى يصلحك !
وكل يقال : أحسن أفعال القادر العفو ، وأفحها الانتقام .
وكل يقال : ظمّر الكريم عمو ؛ وعمو^(١) للثيم عقوبة
وكل يقال : ربّ دى مقدار العقوبة عليه ، علام اندب به ، ولا يحاور به حدّ الارتفاع
إلى الإيقاع .

وكل يقال : ما عفا عن الدّيب من قرّح به .
ومن الحلم الذى يتصنّ كراً مستحسناً ؛ ما روى أن مُصعب بن الزبير لما ولى العراق
عرض النّاس ليدفع إليهم أرواقهم ، فتأذى بكاديه : أين عمرو بن حرموز ؟ فسيل له :
أيها الأمير ؛ إنه أبدي الأرض ؛ قال : أو طنّ الأحق أنى أقتله بأى عبد الله ؟ فلواله :
فايطهر آما ، وليأخذ عطاءه مسلماً .
وأكثر رجل من سبّ الأحف وهو لا يحبه ، فقال الرجل : ولى عليه والله
ما منعه من حوائى إلا هوائى عنده !
وقال لقيط بن زرارّة :

فقل لى سمدٍ ومالى ومالكُم نرقون متى ما استطعم وأعتقُ
أمرّكم أنى ما حصر شيمة نصبرُ وأنى بالفواحش أحرّقُ !
وأناك قد ساءتني فزهرتني هيثما مريثاً أت بالفحش أحدقُ

وقال النّامون لإبراهيم بن المهديّ لما طمّر به : إني قد شاورت فى أمرك ؛ فأشير علىّ
بقتلك ؛ إلا أنى وجدت قدرك فوق دسك ؛ فكهرت قتلك للارم حرمتك . فقال إبراهيم :
ما أمر المؤمنين ؛ إنّ الشير أشار عما تقتصيه السياسة ، وتوجيه العادة ؛ إلا أنك أبيت أن

(١) من د : « وطمّر » .

تطلب النصر إلا من حيث عودته من العدو ؛ فإن قتلتك فلك نظراء ؛ وإن عفوت
فلا تطير لك . قال : قد عفوت ، فادع آمنا .

ضلّ الأعشى في طريقه ، فاصبح ثبيت علقمة بن علاثة ، فقال قائده ، وقد نظر
إلى قتات الأدم : واسوء مساحاه يا أما بصير ! هذه والله أبيات علقمة ؛ فخرج فتيان الحى ،
فقبضوا على الأعشى ، فأنوا به علقمة ، فثل بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أطمرنى بك
من غير دمة ولا عقد ؛ قال الأعشى : أو تدرى لم ذلك جعلت فداك ! قال : نعم ، لأنتم
اليوم معك بتموالك على الساحل مع إحصاء إيث ؛ قال : لا والله ، ولكن أطمرك الله بى
ليلو قدر حبك فى . فطرق علقمة ، فادفع الأعشى فقال :

أعلقم قد صرّنى الأمور إليك وما كان فى مكس^(١)
كساكم علاثة أثوابه وورثكم جمعه الأحوص
فهب لى نسي فداك أسوس فلا رب تنمى ولا تنقص

فقال : قد فعلت ؛ أما والله لو قلت فى بعض ما قلته فى عامر بن عمر ، لأعيتك طول
حياتك ، ولو قلت فى عامر بعض ما قلته فى ما أداك برؤ الحياة .

قال معاوية بن خالد بن معمر السدوسي : على ماذا أحببت علياً ؟ قال : على ثلاث :
حلمه إذا غضب ، وصدقه إذا قال ، ووفاه إذا وعد .

(١٢)

الأصل :

أَعَجَزَ النَّاسَ مَنْ عَجَرَ عَنِ اسْتِثَابِ الْإِخْوَانِ ، وَأَعَجَزَ مِنْهُ مَنْ صَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ .

الشرح :

قد ذكرنا قطعة سالحة من الإحوايات فيما تقدم . وفي الحدث المرفوع أن النبي صلى الله عليه وآله نكى لما قُتِلَ جعفر عترة ، وقال : « المرء كثير ماحيه » .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : لِكُلِّ سَيِّءٍ جَلِيَّةٌ وَجَلِيَّةُ الرَّحْلِ أَوْ دَاوُءٌ .

وأشد ابن الأعرابي :

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِدَحِيرٍ وَلَكِنَّ إِخْوَانَ الصَّغَاءِ الدَّحَارُ

وكان أبو أيوب السخيتاني^(١) يقول : إذا لم يمت أح كان لي ؛ فكأنما سقط

عصوتي .

وكان يقال : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالداء لا تستغنى عنه ، وطبقة كالدواء

يحتاج إليه عند المرض ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدا .

وكان يقال : صاحبك كرفعة في قبضك ، فاطر بما ترفع قبضك !

(١) ب : « السجستاني » ، والصواب ما أثبتته من أ .

وكان يونس بن عبيد يقول : اثنان ما في الأرض أقلّ منهما ، ولا يزادان إلا قلة :
 درهم يوضع في حق ، وأح يُسكن إليه في الله .

وقال الشاعر :

أحاك أخاك إن من لا أخا له كساعر إلى الهيجا بغير سلاح
 وإن ابن عم المرء فاعلم جباحة وهل ينهض الباري بغير جناح ؟

وقال آخر :

ولن تنمك تُحسد أو تُمادى فأكثر ما استطعت من الصديق
 وبفسك^(١) للثى أقل ضرًا وأسلم من مودة ذي السوق^(٢)
 وأوصى بعضهم أبه ، فقال : يا بني ، إذا تارعتك نفسك إلى مصاحبة الرجال فاصحب من
 إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا عرضت لك مؤنة أعانك ؛ وإن قلت صدق
 قولك ، وإن سكنت شدة موالك ؛ وإن مدت يدك لأمر مدّها ، وإن بدت لك^(٣) عورة
 سدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن سألك أعطاك ، وإن سكت امتدّاك ، وإن نزلت
 بك ملّة واساك ؛ من لا ثابتيك منه البوائق ، ولا تختار^(٤) عيبك منه الطرائق ، ولا يحدّلك
 عند الحقائق .

ومن الشعر المسوب إلى عليّ عليه السلام :

إن أخاك الحق من كل معك ومن يضر نفسه ليقمك
 ومن إذا ريب الزمان صدّعك شئت فيك شمله ليجمّك

(١) في د « وبضاء التثنية » وهو وجه أجا . (٢) ١ : « عتك »

(٣) في د « ولا تخلف » .

ومن الشعر المنسوب إليه عليه السلام أيضاً :

أحوك الذى إن أحرصتك ملةً من الدهر لم يرح لها الدهر واحداً
وليس أحوك بالذى إن تشمت عيبك أمورٌ ظلَّ يلحالك لا ثما

وقال بعض الحكماء : يعنى للإسراء بوجل بعينه كالتين : أحدهما يكلؤه من أمله ،
والآخر يكلؤه من ورثته ؛ وهما عقله الصحيح ، وأخوه النصيح ، فإن عقله وإن صح فلو
يفتره من عيه إلا بمقدار ما يرى الرجل من وجهه في المرأة ، ويحصى عليه ما خلفه ، وأما
أخوه النصيح فيفتره ما خلفه وما أمله أيضاً

وكتب طريف إلى صديق له : إني غير محمود على الاتقياد إليك ، لأنى صادقك من
جوهر نسي ، والنفس يلع بمصها بمصا

وفي الحديث الرفوع : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » .

وقال الأحنف : خير الإخوان من إذا استعنت به لم يردك ودًا ، وإن احتجت إليه
لم ينقصك .

وقال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

إما سلكت سبيلاً كنت سالكها هادب فلا يُنمَدُكَ الله منشر^(١)
من ليس لي خيرٌ شرٌّ بتكده على الصديق ولا في صفوه كدرٌ
وقال آخر يرثي صديقاً له :

أح طالما سررتي ذكره وأصبحت أشجى لدى ذكره
وقد كنت أعدو إلى قصره فاصححت أعدو إلى قصره
وكنت أراي عيياً وم عن التماس لو مد في عميره
إذا حثته طالباً حاجة فأمرى يحوز على أمره

رأى بعض الحكماء مصطلحين لا يفرقان ، فسأل عنهما ، ف قيل : صديقان ، قال : فما
بال أحدهما عنيا والآخر فقيراً !

(١٣)

الأصل :

وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه :

حَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ .

الْبَزْج :

قد سبق ذكر هؤلاء فيما تقدم ، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن مسلمة ، وأنس بن مالك ، وجاعة غيرهم .

وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في " المرر " أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دعاهم إلى القتال معه ، واعتدوا بما اعتدوا به ، قال لهم : أتكفرون هذه البيعة ؟ قالوا : لا ، لكنا لا نقاتل ؛ فقال : إذا بايستم فقد قاتلتم ؛ قال : فسلموا بذلك من الذم ؛ لأن إمامهم رضى عنهم .

ومعنى قوله : « حذلوا الحق ولم ينصروا الباطل » ، أي حذلوني ولم يحاربوا معي معاوية ؛ وبمض أصحابنا البعداديين يتوقف في هؤلاء ، وإلى هذا القول يميل شيخنا أبو حنيفة الإسكافي .

(١٤)

الأنثى :

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَابُ النِّعَمِ فَلَا تُنْكِرُوا أَفْعَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ .

الشرح :

قد سبق القول في الشكر ، ونحن نذكرها هنا زيادة على ذلك .

قال بعضهم : ما شقنى السوء ، بل شكركى من احتاج أن أشكره .

وقالوا : السوء ربة الفقر ، والشكر ربة العس .

وعالوا : من سعادة المرء أن يصح معروفاً عند من يشكره .

ومن جيد ما قيل في الشكر قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَنَاسِ مَعْتِزِلاً مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفاً^(١)

أَنْتَ أَمْرٌ لَا تَحْتَنِي نَعْمًا^(٢) أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

فإليك متى اليوم معذرة^(٣) حادتك بالتصريح منكشفاً

لَا تُسَدِّينَ إِلَى عَارِضَةٍ حَتَّى أَغُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وقال البحتري :

فإن أنا لم أشكر لعمرك حامداً فلا نلتُ نفعي بعدها توجهاً للشكر^(٤)

(١) ديوانه ٧١ . (٢) الديوان . « حطنتى » .

(٣) الديوان : « قبل اليوم تلمذة » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٦ .

وقال أيضاً :

سأحمدُ في شكري لنعماك إني أرى الكُفرَ للنعماءِ ضرباً من الكفرِ

وقال ابن أبي طاهر :

شكرت علياً برّه وولاءه وما أنا من شكري علياً بواحد
فنصرت بي سُكْرِي وإني لجاهدُ
ولكنه في الفصل والحدود واحدُ

وقال أبو الفتح السقي :

لا تظنَّ بي وبرُّك حتى أنا أرضُ وراحتك معجبةُ
أنْ شكري وشكرَ عيرِي مواتُ
والأبادي وبُلك وشكري نباتُ

وقال أيضاً :

وخرّ لما أوليت شكري ساجداً ومثل الذي أوليت بعده الشكرُ

المعترى :

أراك بين المكسي ورق النسي ويسجني فقري إليك ولم يكن
بالأناك اللاتي يمدنها الشكرُ
ليمحيني لولا محنتك الفقرُ

آخر :

بدأت بمحروفي وثبتت بالرضا وبأشرت أمري واعتصيت بحاجتي
وثلثت بالخصي وربعت بالكرم
وصدقت لي ظني، وأنجزت موعدى
وأحرزت «لا» حتى وقدمت لي «نعم»
وطبعت به قسماً ولم تتبع الندم
فإن نحن كافأنا بشكر فواجبُ
وإن نحن قصّرنا فما الودّ متهمُ

(١٥)

الأضل :

مَنْ صِيَّمَهُ الْأَقْرَبُ أَرِيحَ لَهُ الْأَبَدُ .

الشيخ :

إنَّ الإنسان قد يصره مَنْ لا يرحو بصره وإن أهله أقرّوه وحذّلوه ، فقد تقوم به
الأجاب من اساس ، وقد وحدنا ذلك في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، صيّمه أهله
ورحطه من قريش وحذّلوه ، وتألّثوا عليه ، فدم بصره الأوس والخزرج ، وهم أعداء الناس
سباً منه ، لأنه من عدنان وهم من خطّان ، وكلّ واحد من الفريقين لا يحبّ الآخر حتى
بحت الأرض الدم . وقامت ربيعة بصر على عليه السلام في صيفين ، وهم أعداء مُصرّ
الدين هم أهله ورحطه ، وقامت اليمن بصر معاوية في صيفين ، وهم أعداء مُصرّ ، وقامت
أُخراسانية وهم عجم بصر الدولة العباسية ، وهي دولة العرب . وإذا تأملت السّير وجدت
هذا كثيراً شائعاً .

(١٦)

الأضل :

مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَانِبُ .

البخر :

هذه الكلمة قالها علي عليه السلام لعمد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله
ابن ممر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الحمل ، ونظرها أو قريب منها
قول أبي العلي :

مَا كُلُّ مَقَالٍ يُجَارَى بِعِيهِ وَلَا كُلُّ قَوْلٍ لَدَى يُجَارُ^(١)
وَرُبَّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِي كَمَا طَنَّ فِي لَهَجِ الْمَجِيرِ ذُبَابُ

(١) لم أحدهما في ديوانه .

(١٧)

الأفضل :

تَذِيلُ الْأُمُورِ لِمَقَادِيرِ ، حَتَّى يَكُونَ الْخُتْفُ فِي التَّذْيِيرِ .

البُزْجُ :

إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمة طاهرا ، ولو شئنا أن نذكر
الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تفييده بالكتابة إلى مثل حجم كتابها هذا ، ولكننا
نذكر لها ونكتا وأطرافا ودورا من القول .

فرش مروان بن محمد وقد لى عبد الله بن علي - أطاعا ونسعا عليها المال ، وقال : من
حاذى رأسه مائة درهم ، هجرت الخفطة والخراش عن حماته ، وأشملت طائفة من
الحد يثنه ، وتهافت الجيش عليه لينتموه ، فمسيهم عبد الله بن علي بمساكره ، فقتل
منهم ما لا يحصى ، وهزم الباقون .

وكسر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن حش أبي جعفر المصور بياحري
وأمر أصحابه باتباعهم ، فحال بينهم وبين أصحاب أبي جعفر مائة شخص ، فكروه إبراهيم
وحبسه حوض ذلك الماء ، وكان واسما ، فأمر صاحب لوائه أن يتمرج باللواء على
مساة^(١) كانت على ذلك الماء ياسة ، فسكها صاحب اللواء وهي تفضى بالعراج وأنكاس
إلى الأرض اليس ، فلما رأى عكر أبي جعفر أن لواء القوم قد تراحح

(١) المساة : صغيرة تنبئ لسيل لئلا تزد الماء .

الْقَهْقَرَى ظَنُّوْهُمْ مِنْهُمْ مِّنْهُمْ ، فَطَفَّوْا عَلَيْهِمْ ، فَفَقَتُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَجَاءَ مِنْهُمْ غَرْبٌ^(١) فَأَصَابَ إِبْرَاهِيمَ فَقَتَلَهُ .

وقد دبرت من قبل قريش في حياة اليمر بن تمرت على الصُّب والدُّوْل لتدفع رسول الله صلى الله عليه وآله عن اللطيمة^(٢) ، فكان هلاكها في تديرها .

وكبرت الأنصار يوم أحد بان أحرجت انبي صلى الله عليه وآله عن المدينة ظلماً منها أن الظفر والضررة كانت بذلك ، وكل سب قطبها وظفر قريش بها ، ولو أقامت بين جذران المدينة لم تظفر قريش منها بشيء .

ودبر أبو مسلم الدولة الهاشمية ، وقام بها حتى كان حنفة في تديره .

وكذلك جرى لأبي عبد الله المهتسب مع عبد الله المهدي بالمعرب .

ودبر أبو القاسم بن السلعة رئيس الرؤساء في إحراج الساسيرى عن العراق حتى كان هلاكه على يده ، وكذلك أيضاً انعكس عليه تديره في إرالة الدولة الوهبية من الدولة السلجوقية ظلماً منه أنه بدفع الشر ، بنير شر فدفع الشر بما هو شر منه .

وأمثال هذا ويطاؤه أكثر من أن تحصي .

(١) سهم غرب : لا يدرى رايه .

(٢) اللطيمة : فائقة تحمل الطور .

(١٨)

الأصل :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : غَيْرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلْنَا ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ بَطْنُهُ ، وَصَرَبَ بَحِيرَانِهِ ، فَأَمَرُوا وَمَا اخْتَارَ .

الشرح :

اليهود لا تحب ، وكل من صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالحجاب ليكفوا في مرأى العين سبابا فيحشوا المشركون عنهم حال الحرب ، فإن الشيعه مغلطة الضعف .

قال علي عليه السلام : « كان ذلك والإسلام قل » ، أي قليل ؛ وأما الآن وقد اتسع بطنه وصرب بحيرانه فقد سقط ذلك الأمر وصار الحجاب متاحاً غير مندوب .

والمطابق : ثوب تلبسه المرأة لسة محصورة سر صدره ولا سروايل ، وسميت أسماء بنت أبي بكر ذات الطاقين لأنها قطعت من ثوبها ذلك قطعة شدت بها سفرة لها حملها أبو بكر معه حين خرج من مكة مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « لقد أدلها الله بها طاقين في الحنة » ، وكان تمر الشام ينادون عبد الله ابنها حين حصره الحجاج عكة يشتمونه كما رعموا : يا بن ذات الطاقين ، فيصحك عبد الله منهم ، وقال لابن أبي عتيق : ألا نسمع ! يطنونه ذمًا ثم يقول :

• وتلك شكاة ظاهر عنك عارها (١) •

واستعمار أمير المؤمنين عليه السلام هذه البقعة لسعة رُقعة الإسلام ، وكذلك استعمار قوله : « وَضَرَبَ بِحِرَانِهِ » ، أى أقام وثنت ، وذلك لأن المبر إذا ضَرَبَ بِحِرَانِهِ الأرضَ - وَحِرَانَهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ - فقد استنَّحَ وَبَرَّكَ .

وامرؤ متدأ وإن كان نكرةً ، كقولهم : « شَرُّ أَهْرٍ دَانَاب » ، للحصول الفائدة ، والواو عسى « مع » ، وهى وما بعدها الخبر ، وما مصدرية ، أى امرؤ مع اختياره .

[نبذ مما قيل فى الشيب والخضاب]

فأما القول فى الخُصَاب فقد روى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله بدأ شيب يسير في لحيته ، فغتره بالخصاب ، حَصَبَ بِالْخُصَاءِ وَالْكُتَمِ ، وقال قوم : لم تَشِبْ أصلاً . وروى أن عائشة قالت : ما كان الله يَشِيشُهُ بالشيب ، وقيل : أوشق هو يا أم المؤمنين ! قالت : كلَّكم بكرهه . وأما أبو بكر فصَحَّ الخبر عنه بذلك ، وكذلك أمير المؤمنين ، وقيل : إنه لم يَخْضِبْ . وقُتِلَ الحسين عليه السلام يومَ الطَّفِّ وهو مَحْضُوبٌ . وفى الحديث المرفوع رواه عتبة بن عامر : « عَلَيْكُمْ بِالْخُصَاءِ » ، فإنه حَصَبَ الإسلام ، إنه يَصْمَى النَّصْرَ وَيَدْعَى بِالصُّدَاعِ ، ويريد فى الباء ، وإيَّاه واسود ، فإنه من سَوَدَ ، سَوَدَ اللهُ وجهه يومَ القيامة » .

وعنه صلى الله عليه وآله . « عَلَيْكُمْ بِالْخُصَابِ » ، فإنه أَهْيَبُ لِمَدُونِكُمْ وَأَعْصَى إِلَى نِسَائِكُمْ .

(١) لأن دَوْرِبَ المثل ، وصدره .

• وَغَيْرَهَا نَوَاشُونَ أَنَّ أَحْيَاهَا •

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٢١ .

ويقال في أبواب الكناية المختضب ، هو يسود وجهه النذير ، لأن النذير الشيب ؛ قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ (١) : إنه الشيب .

وكن عبدالرحمن بن الأسود أبيض الرأس والوجه ، فأصبح ذات يوم وقد حقرها ؛ وقال : إن عائشة أرسلت إلي البارحة جاريها فأقسمت علي لأعبرن ، وقالت : إن أبا بكر كان يصبغ .

وروى قيس بن أبي حازم قال : كان أبو بكر يخرج إليها وكان لحيته خرام عرقج .

وعن أبي عامر الأنصاري : رأيت أبا بكر يغير بالحناء والكتم ، ورأيت عمر لا يغير شيئاً من شيبه ، وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « من شاب شيبه في الإسلام كانت له بوراً يوم القيامة » ، ولا أحب أن أعير بوري .

وكان أسد بن مالك يمحض ويثيد
سود أعلاها ونابى أصوله
وليس إلى ردة الشباب سبيل

وروى أن عبد المطلب وفد على سيف بن ذي يزن ، فقال له : لو حضت أفلحاً عاد إلى مكة خصب ، فقلت له امرأته بثينة أم السباع وصرار : ما أحسن هذا الخصب لو دام ! فقال :

فلو دام لي هذا الخصب حديدته
وكان بديلاً من حليله قد انصرم
تتمت منه والحياة قصيرة
ولا بد من موت - شيلة - أو هرَم
وموتٍ حمير عاجله لا شوي له
أحاً إليسا من مفاليكم حكم

قال : يعني أنه صار شيخاً ، فصار حكم بين الناس ، من قوله :
لا تخط المرأة أن يقال له أصحى فلان له حكماً

وقال أمماء بنُ خارجة لجاريته : احضريني ، فقلت حتى متى أرفعك ! فقال :

عَيْرُنِي خَلَقَا أَبْلِيَتْ حَدَثَهُ وهل رأيتِ جديداً لم يعد خلقاً !

وأما من يروى أن علياً عليه السلام ما حَضَبَ ، فيحتج بقوله ، وقد قيل له : لو غيّرت

شيبك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الحصاب زينة ، ونحن في مصيبة - يعني برسول الله صلى الله عليه وآله .

وسئل الحسنُ عليه السلام عن الحَضَبِ ، فدل : هو حَرَعٌ قبيح . وقال محمود الوراق :

يا حَضَبَ الشَّيْبِ الَّذِي في كُلِّ نَاشِئَةٍ يَمُودُ

إِنَّ الحَضَابَ إِذَا مَضَى فكأنه شَيْبٌ حَدِيدُ

فدَمَحَ الشَّيْبَ وما يُرِيدُ فلنْ نَمُودَ كما تُرِيدُ

وقد روى قومٌ عن النبي صلى الله عليه وآله كراهية الحَضَابِ ، وأنه قال : لو استقبلتم

الشَّيْبَ بالتواضع لكان خيراً لكم

قال الشاعر :

وَصَبْتُ ما صَنَعَ الزمانُ فلمْ يَدُمُ صَبْنِي ودامت صِنْفَةُ الأيامِ

وقال آخر :

يَأْيِها الرَّجُلُ الْغَيْرُ شَيْبَهُ كما تُعَدُّهُ من الشَّبانِ

أَفْصِرْ فلو سَوَّدَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ بيضاء ما عُدَّتْ مِنَ الْغُرَبانِ

ويقولون في ديوان عَرَضَ الخَيْشِ سَفَدًا لَنْ يَخْضِبَ إِذَا دَكَّرُوا حَلِيَّتَهُ : مستعار ،

وهي كنايةٌ لطيفة . وأما استعسِمَ قول البُخْتَرِيِّ : خَصَبْتُ بالمقراض : كناية عن قَصَّ

الشعر الأبيض ، فجعل ذلك خضابه عوضاً عن الصنع ، والأبيات هذه :

لَا بَسَّ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ ومليحٌ من شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ ^(١)

(١) ديوانه ٢ : ٧٢ ، من قصيدٍ مدح فيها ابن القياس .

وإذا ما امتعضتُ من وَلعِ الشَّبِّ بِ براسي لم يَشْر دَاكَ امْتِماضي
 ليس يَرْضَى عن الزَّمانِ امرؤٌ فيه هَ إِلَّا عن نَحْمَةٍ أو تَمَاضِي
 والبَواقِ مِنَ اللَّيالي وإنْ غَا لَفَنَ شَيْثًا شَبِيهَةً بِالْمَوَاضِي^(١)
 وَأَنْتَ تَرْكِي المُذَيَّاتِ والآ صَدِ حَتَّى حَصَّتْ بِالْمِقْرَاضِ
 ودَوَاهِ المَشَبِّ كالْمَخِصِ في عَيْبِي فَنَلَّ فِيهِ في المَيُورِ المِراضِ
 طَال حُزْنِي على الشَّبابِ وما بَيَّضَ مِنْ لَوْنٍ صِنْفِهِ الفَصَاضِ
 فَهَلْ الحَادِثَاتُ بِأَيِّ عَوَافِي تَارَكَتِي وَلُسَ هَذَا التِّيَاضِ !

(١٩)

الأصل

مَنْ حَرَى فِي عَارِ أُمِّهِ عَثَرَ بِأُخْبِهِ .

الشرح

قد تقدم لنا قول كثير في الأمل ، وذكرها هنا زيادة على ذلك :

قال الحسن عليه السلام : لو رأيت الأجرَ ومسيرة ، لعيت الأملَ وعروته ،
وَيُقَدَّرُ الْمُقَدَّرُونَ وَالْقَصَاءُ يَضْحَكُ .

وروى أبو سعيد الخدري أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لَا تَعْبَسُونَ مِنْ أُسَامَةَ يَشْرِي إِلَى شَهْرٍ ! إِنْ أُسَامَةَ
لَطَوِيلُ الْأَمَلِ » .

أبو عثمان السهدي : قد بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة فما من شيء إلا
قد عرفت فيه القصة إلا أُمِّي ، فإنه كما كان .

قال الشاعر :

أُرَاكَ تَزِيدُكَ الْإِيَّامُ حِرْصًا عَلَى الدَّيَا كَأَنَّكَ لَا تَمُوتُ
فَهَلْ لَكَ عَايَةٌ إِنْ مَرَّتْ يَوْمًا إِلَيْهَا قُلْتُ حَسْبِي قَدْ رَصِيتُ !

وقال آخر :

مَنْ كَتَمَ الْمَيَّ فَأَعْرَقَ فِيهَا مَاتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَالَ مُنَاهُ
لَيْسَ فِي مَالٍ مَنْ تَتَابَعَ فِي أَسَدَاتٍ فَصَلَّ عَنْ نَفْسِهِ سِوَاهُ

(٢٠)

الأصل :

أَقْبِلُوا دَوَى الْمَرْوَاتِ عَنَّا نَهِيْمَ فَمَا يَمُتُّ مِنْهُمُ عَارِزٌ إِلَّا وَبِيْدُهُ يَبْدُ اللهُ
يَرْفَعُهُ .

• • •

البُزْج :

[نبذ مما قيل في المروءة]

قد رُوِيَتْ هذه الكلمة مرفوعة ، ذكر ذلك ابنُ قُتَيْبَةَ في " عيون الأخبار " ،
وأحسن ما قيل في المروءة قولهم : اللدَّة ترك المروءة ، والمروءة ترك اللدَّة .

وفي الحديث أن رجلاً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ،
أأستُ أفضلَ قومي ؟ فقال : إن كان لك عقلٌ فلك فضلٌ ، وإن كان لك خلقٌ فلك مروءة ،
وإن كان لك مالٌ فلك حسبٌ ، وإن كان لك نَفْسٌ فلك دينٌ .

وسئل الحسن عن المروءة فقال : جاء في الحديث المرفوع : « إن الله تعالى يحبُّ معاليَ
الأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » .

وكان يقال : من مروءة الرجل جلوسه يابِ داره .

وقال الحسن : لا دين إلا بمروءة .

وقيل لأبن هُبيرة : ما المروءة ؟ فقال : إصلاح المال ، والرّزاق في المجلس ، والنداء والعشاء بالفناء .

وجاء أيضا في الحديث المرفوع : « حَسَبَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، وَكَرَّمَهُ دِينُهُ ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ » . وكان يقال : ليس من المروءة كثرة الأثفات في الطريق .
ويقال : مُرْعَةُ الْمَشْيِ تذهب بمروءة الرجل .

وقال معاوية لمعمر : ما الذّاتُ الأشياء ؟ قال : مُرٌّ فَيَتَيَّانَ فَرِيضَ أَنْ يَقُومُوا ؛ فَلَمَّا قَامُوا قَالَ : إِسْقَاطُ الْمُرُوءَةِ .

وكان عروة بن الزبير يقول لسيّبه : يَا سَيِّئَ الْمَسَا ، فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا نَكُونُ إِلَّا مَعَ النَّسَبِ . وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : السِّقَمُ وَالْحِرْفَةُ ، تَعَفُّ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَتَحَنُّنٌ فِي مَا أَحَلَّ اللَّهُ .

وقال محمد بن عمران التيمي : لَا أَشَدَّ مِنَ الْمُرُوءَةِ ، وَهِيَ لَا تَعْمَلُ فِي السَّرَّ شَيْئًا نَسْتَعِيِ بِهِ فِي الْعَلَانِيَةِ . وسئل السّطام عن المروءة ، فَأَشَدُّ بَيْتَ دُهَيْرٍ :

السَّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَمْلِكُ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِنَرٍ^(١)

وقال عمر : تَعْلَمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تَرِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ ، وَتَعْلَمُوا النَّسَبَ قَرُبٌ رَحِمٌ مَحْمُولٌ قَدْ وَصَلَتْ بِهِ .

وقال ميمون بن مهران : أَوَّلُ الْمُرُوءَةِ حَلَاقَةُ الْوَحْه ، وَالشَّانُ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَالثَّانِي قَضَاءُ الْخَوَائِعِ .

وقال مسleme بن عبد الملك : مُرُوءَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرَّيَاشُ وَالْفَصَاحَةُ .

وكان يقال : تُعْرَفُ مُرُوءَةُ الرَّجُلِ بِكَثْرَةِ دُبُونِهِ .

وكان يقال : الْعَقْلُ بِأَمْرِكَ بِالْأَقْعِ ، وَالْمُرُوءَةُ بِأَمْرِكَ بِالْأَحْمَلِ .

(١) ديوانه ٩٥ .

لَمْ معاويةُ يريدُ اللهَ على تَمَاجِ الْعِماءِ وَحُبِّ الْقِيَانِ ، وَقَالَ لَهُ : أَسَقَطْتَ مَرْوَةَكَ ،
 فَقَالَ يُزِيدُ : أَنْكَلْتُمْ بِلِسَانِي كَلِمَةً ؟ قَالَ : بَعْدُ ، وَلَسَانِي أَبِي سَفِيَانَ بْنِ حَرْثٍ وَهَدِ
 نَفْسِي عُتْمَةَ مَعَ لِسَانِكَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ
 عَبْدُ اللَّهِ بِصَدَقِهِ - أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ كَانَ يَجْمَعُ عَلَى الْمَعْنَى الْفَاصِلِ وَالْمَصَاعِفِ مِنْ رِثْيَائِهِ ،
 وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَنَّ حَارِثَةَ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ خُذَعَانَ عَمَّتَاهُ يَوْمًا فَأَطْرَسَاهُ ، فَحَمَلُ يَجْمَعُ عَلَيْهِمَا
 أَنْوَابَهُ نَوَابًا نَوَابًا حَتَّى نَحْرَدُ نَحْرُدُ النَّمِيرَ ، وَلَقَدْ كَانَ هُوَ وَعُقَاةُ ابْنِ أَبِي الْعَاصِ رَجُلًا خَمَلًا
 حَارِيَةً الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ عَلَى أَعْمَاقِهِمَا ، فَمَرَّ بِهَا عَلَى الْأَبْطَحِ وَحِلَّةٍ قَرِيشٍ يَنْطَرُونَ إِلَيْهِمَا ؛
 مَرَّةً عَلَى طَهْرٍ أَبِيكَ ، وَمَرَّةً عَلَى طَهْرٍ عَقَسَ ، فَمَا أَلَدَى نَكْرٍ مَنَى ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اسْكُبْ
 لَعْنَاكَ اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدُ الْحَقِّ نَابِيكَ هَذَا إِلَّا لِيَمُرَّكَ وَيَمَصَّحَكَ ، وَإِنْ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ
 مَا عَلِمْتَ لَثَقِيلُ الثَّجَلِ ، يَقْطَعُ الرَأْيَ ، غَازِبُ الْهَوَى ، طَوِيلُ الْأَمَاءِ ، بَعِيدُ السَّعَرِ ،
 وَمَا سَوْدَتُهُ قَرِيشٌ إِلَّا لَفَافَتِهِ .

(٢١)

الأصل :

قُرِنتُ الْهَيْبَةَ بِالْخَيْفَةِ ، وَالْحَيَاةَ بِالْحَيْرَمَانِ ، وَالْفُرْصَةَ كَثْرُ مَرَّ السَّحَابِ ،
فَانْتَهَرُوا مَرَّ مِنَ الْحَيْرِ .

الشرح :

في المثل : مَنْ أَوْدَعَ لَمْ يَنْدَمْ ، وقال الشاعر :

ليس للحاحات إلا من له وجه وقاح
ولسان طرميدي^(١) وغدوة ورواح
فعلية السعي بها وعلى الله الحاح

وكان يقال : الفرصة ما إذا حاولته فأخطأك ندمه ، لم يصل إليك صرته .

ومن كلام أبي المقفع : انتهر الفرصة في إحراز المآثر ، واعتيم الإمكان ما سطتاع
الحير ، ولا تقتطّر ما تعامل فتجاري عنه مثله ، فإنك إن غومت عمكروه واشتعلت برصد
المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة ، وأقتناء منقّة ، ونصرت أيامك
بين تمدد عليك ، وانتظار الطمر بإدراك الثأر من خصمك ، ولا عيشة في الحياة أكثر
من ذلك .

كانت العرب إذا أودعت وأفدا قالت له : يدك والهيبة ؛ فإنها حية ؛ ولا تبت عند
دَبَّ الأمر ومث عند رأسه .

(١) طرمدي : يمدح بما ليس به .

(٢٢)

الأضل :

لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِيَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أُعْجَرَ الْإِبِلِ ، وَإِنْ طَالَ الشَّرَى .

قال الرضى رحمه الله تعالى : وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحته ، ومعناه أنا إن لم نعط حقا كذا أدلاء ، وديك أن الرديف يركب عجز البعير ، كالعبد والأسير ومن يبحر يبحرهما .

الشرح :

هذا الفصل قد ذكره أبو عبيد الهروى في " الجمع بين التفسيرين " وصورته :
 إن لى حقا إن لمطه نأخذ ، وإن نأخذ ركب أبحار الإبل ، وإن طال الشرى . قال
 قد مرّوه على وجهين : أحدهما أن راكب عجز البعير يلحقه مشقة وصرر ، فأراد : أنا
 إذا مضينا حقا صبرنا على المشقة والمصرة ، كما يصبر راكب عجز البعير ؛ وهذا التفسير
 قريب مما فسره الرضى . والوجه الثانى أن راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قد
 ركب على ظهر البعير ، وراكب ظهر البعير متقدم على راكب عجز البعير ، فأراد أنا إذا
 مضينا حقا تأخرنا وتقدم غيرنا علينا ، فكأننا كالأركب رديفا لغيره ، وأكد المعنى
 على كلا التفسيرين ^(١) بقوله : « وإن طال الشرى » ، لأنه إذا طال الشرى كانت المشقة

(١) في د : « التفسيرين » .

على راكب عَجُزِ البعيرِ أعظم ، وكان الصبر على تأخر راك عَجُزِ البعير عن الراك
على ظهره أشدَّ وأصعب .

وهذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يوم السَّيِّمة أو في تلك الأيام ، ويذهب أصحابنا
إلى أنه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واحتجاج الجماعة لاختيار واحد من الستة ، وأكثر
أرباب السَّير ينقلونه على هذا الوجه .

(٢٣)

الأصل :

مَنْ أَظْلَمُ بِرِجْلِهِ ، لَمْ يَسْرِغْ بِرِجْلِهِ

• • •

الشرح :

هذا الكلام حثٌّ وخصٌّ ونحريص على لسانه ، وقد تقدّم أمثاله^(١) ، وسيأتي له
نحوه كثيرة ، وهو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله « يا فاطمة بنت محمد ، إني
لا أعي عنك من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، إني لا أعي عنك من الله شيئاً ،
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)^(٢) .

(١) في د د مثله ٤ . (٢) سورة المخرات ١٣ .

(٣٤)

الأصل :

مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِعَانَةُ الْمَنُوبِ ، وَالتَّيْمِينَ عَنِ الْمَكْرُوبِ .

الشرح :

قد جاء في هذا المي آثار كثيرة ، وأخبار حيلة . كلت العتاني قد أمتق ،
فجاء فوق باب الأمان يسوق الله على يده ، فوالى يحيى بن أكرم ، فمرص له
العتاني ، فقال له : إن رأيت أيها القاضي أن سلم أمير المؤمنين فكانى فاصل ، فقال :
لست بمحاح ؛ قال : قد علمت ، ولكم ذو فصل ، ودو الفصل بموان ، فقال :
سلكت في غير طريق ؛ قال : إن الله أتبعك منه بحاء وبعمة ، وهو مقبل عليك بالزيادة
إن شكرت ، وبالتفكير إن كفرت ، وأاء لك اليوم خير منك لنفسك ، لأنى أدعوك
إلى ما فيه ازدياد نعمتك ، وأنت تأنى على ، ولكل شيء ركة ، وركاة الحاء رقد المستعين .
فدخل يحيى فأخبر الأمان به ، فأحصره وحادثه ولاطمه ووَصَّه .

(٢٥)

الأصل :

يَا بَنَ آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ بِمَمَّةٍ وَأَنْتَ تَعْبِيهِ فَأَحْذَرُهُ .

الشرح :

هذا الكلام تخويف وتحذير من الاستدراج ؛ قال سبحانه : ﴿ سَتَجِدُنَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴾^(١) ؛ وذلك لأن العبد يمروره يعتقد أن موالاة النعم عليه وهو عاص من باب الرضا عنه ، ولا يعلم أنه استدراج له وبقعة عليه .

فإن قلت : كيف يصح القول بالاستدراج على أصولكم في المثل ؟ أليس معنى الاستدراج إيهام العبد أنه سبحانه غيرُ ساحط عليه ومعصيته ؛ فهل هذا الاستدراج إلا مفسدةٌ وسببٌ إلى الإصرار على التبعيض ؟

قلت : إذا كان السكف عالياً بشبح التبعيض ، أو متمكناً من العبد بفتنة ثم رأى النعم تتوالى عليه وهو مُصرٌّ على المعصية ، كل ترادف تلك النعم كالنقطة له على وجوب الحذر ، مثال ذلك من هو في خدمة ملك ، وهو عون ذلك الملك في دولته ، ويعلم أن الملك قد عرف حاله ، ثم يرى يعم الملك مرادةً إليه ، فإنه يحب بمقتضى الاحتياط أن يشتد حذره ، لأنه يقول : ليست حالي مع الملك حال من يستحق هذه النعم ، وما هذه إلا مكيدة وتحنها عائلة ، فيجب إدن عليه أن يحذر .

(٢٦)

الأضل :

مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي مَقَاتِ سَائِرٍ ، وَصَمَعَاتٍ وَخِمْ .

الشيخ :

قال زهير بن أبي سلمى :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ حَقِيقَةٍ وَإِنْ حَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ^(١)

وقال آخر :

تَجَبَّرَنِي التَّمِينُ مَا الْقَلْبُ كَلِمٌ وَمَا حَنَ بِالْغُصَاءِ وَالْطَّرِ النَّوَرُ

وقال آخر :

وَفِي عَيْبِكَ زُجْجَةٌ أَرَامَا تَدُلُّ عَلَى الصَّفَائِنِ وَالْحُقُودِ

وَأَحْلَاقٌ عَمِدَتُ اللَّيْلِ فِيهَا عَدَّتْ وَكَأَتْهَا زُبُرُ الْحَدِيدِ

وَقَدْ عَاهَدْتَنِي بِخِلَافٍ هَذَا وَقَالَ اللَّهُ : « أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »

وَكُنْ يُقَالُ : الْمَيْنُ وَالنُّوحُ وَاللِّسَانُ أَصْحَابُ أَحَادِرٍ عَلَى الْقَلْبِ ، وَقَالُوا : الْقُلُوبُ كَالرَّايَا

الْمُتَقَابِلَةِ ؛ إِذَا ارْتَسَمَتْ فِي إِحْدَاهُمَا سُورَةٌ طَهَّرَتْ فِي الْأُخْرَى .

(٢٧)

الأصل :

امشِ بدائك ما مشى بك .

الشرح :

يقول : مهما وجدت سبيلاً إلى الصبر على أمرٍ من الأمور التي قد دُفعت إليها ،
وفيها مشقة عليك ، وصرر لاجئ بك ، فاصبر ولا تنسَ طريقاً إلى تعير ما دُفعت إليه
أن تسلكها بالعنف ، ومُراعاة الوقت ، ومعدة الأقضية والأقدار ؛ ومثال ذلك
من يمرض له مرض ما يمكنه أن يحتمله ويدفع الوقت ، فإنه يحس عليه ألا يطرح حاشته
إلى الأرض ، ويحُلد إلى النوم على الفراش ، ليعالج ذلك المرض قوة وقهراً ؛ فرعا
أقصى به مقاهرة ذلك المرض الصغير بالأدوية إلى أن يصير كبيراً مُعصِلاً .

(٢٨)

الأصل :

أَفْصَلُ الرُّغْدِ إِخْفَاءُ الرُّغْدِ .

الشرح :

إنما كان كذلك لأنَّ الحُجْرَ بالسَّادَةِ والزَّهَادَةَ والإِعْلَانِ بِذَلِكَ قُلٌّ أَوْ يَسْلَمٌ مِنْ غَالِطِهِ
الزَّمَانِ ، وَهَذَا تَقَدَّمَ لَنَا فِي الرِّيَاءِ أَمْوَالٌ مُصِيفَةٌ .

رَأَى الْمَنْصُورُ رَحْلًا وَاقِفًا سَابَهُ ، فَخَلَّ : مِثْلُ هَذَا الدَّرْجِ بَيْنَ عَيْدِكَ وَأَنْتَ وَاقِفٌ
بِأَيْتَانَا ! فَقَالَ الرِّبِيعُ : نَعَمْ ، لِأَنَّهُ صَرَبَ عَلَى عِبرِ السُّكَّةِ .

شاعر :

مَشَرْتُ أَتَيْتُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ لِحِصَانٍ يَشْفِيهِ الْمِحْرَابُ
عَمَرُوا مَوْضِعَ التَّصْنَعِ مِنْهُمْ وَمَكَانُ الْإِحْلَاصِ مِنْهُمْ حَرَابُ

(٢٩)

الأبطل :

إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالِ ، مِمَّا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى !

الشيخ :

هذا ظاهر ، لأنه إذا كل كلما جاء في إدبار ، والموت كلما جاء في إقبال ،
فياسرطان ما ينتعيا ! وذلك لأن إدباره هو توجهه إلى الموت ، وإقبال الموت هو توجهه
إلى نحوه ، فقد حُقَّ إدس الالتقاء سريعاً ، ومثال ذلك سفينان مدخلة أو عيرها ،
نصمد إحداها ، والأخرى تسحدر نحوها ، فلا ريب أن الالتقاء يكون وشيكاً .

(٣٠)

الأصل :

الْحَدَرُ الْحَدَرُ ، فَوَاقِهِ لَقَدْ سَرَّ ، حَتَّى كَانَهُ قَدْ غَمَرَ .

الشرح :

قد تقدم هذا المعنى وهو الاستنزاح الذي ذكرناه آيهاً .



تفسير

(٣١)

الأصل :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ : الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٌ : عَلَى الصَّبْرِ ،
وَالْيَقِينِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ .

وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالشُّمُوقِ ، وَالزُّهْدِ ، وَالتَّوَقُّبِ ؛
فَمَنْ أَشْتَقَّ إِلَى الْحَيَاةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ؛ وَمَنْ أَشْتَقَّ مِنَ النَّارِ اخْتَبَتَ الْمُحَرَّمَاتِ ،
وَمَنْ رَهِيَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ ارْتَفَعَ الْمَوْتُ سَارَعَ فِي الْحَيَرَاتِ .

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى تَبْيِيزَةِ الْعِطْفَةِ ، وَتَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ ، وَمَوْعِظَةِ
الْبَيْتِ ، وَسُوءِ الْأَوَّلِينَ ، فَمَنْ تَصَوَّرَ فِي الْعِطْفَةِ ، تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ، وَمَنْ نَسَبَتْ لَهُ
الْحِكْمَةُ ، عَرَفَ الْعِزَّةَ ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِزَّةَ ، فَكَانَتْ كَانَتْ فِي الْأَوَّلِينَ .

وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى عَائِصِ الْقَهْمِ ، وَعَوْرِ الْعِلْمِ ، وَرَهْرِ
الْحَكْمِ ، وَرَسَاحَةِ الْحِلْمِ ، فَمَنْ فَهِمَ صِيَمَ عَوْرَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ عَلِمَ غَوَرَ الْعِلْمَ صَدَرَ
عَنْ شَرِّ أَيْعِ الْحِلْمِ ، وَمَنْ حَلَّمَ لَمْ يَعْطُطْ فِي أَمْرِهِ ، وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا .

وَالْإِحْسَانُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَالصَّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ ، وَشَسَانِ الْفَاسِقِينَ ؛ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْعَمَ أَثُوفَ الْمُسَافِقِينَ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَصَى مَا عَلَيْهِ ،
وَمَنْ شَنِىءَ الْفَاسِقِينَ وَعَصَبَ لِلَّهِ عَصَبَ اللَّهِ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٍ : عَلَى التَّعَمُّقِ ، وَالتَّارَعِ ، وَالزُّبْعِ ، وَالشَّقَاقِ ؛
فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُبْزَلْ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَنْ كَثُرَ رِاعُهُ بِالْحَقْلِ دَامَ تَمَاهُ عَنْ الْحَقِّ ،

وَمَنْ رَاعَ سَاعَتَ عِنْدَهُ الْحَسَنَةَ ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ ، وَسَكِرَ سُكْرَ الصَّلَاةِ ،
وَمَنْ شَاقَّ وَعَرَّتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ ، وَأَفْصَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَشَاقَّ عَلَيْهِ مَحْرَجُهُ .

وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى اسْمَادِي ، وَالْهَوْلِ ، وَالرَّدْدِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ ؛
فَمَنْ حَمَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَنًا لَمْ يُصَيِّحْ لَيْئَهُ ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ سَكَسَ عَلَى عَقِيئِهِ ،
وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ ، وَطِثَّتْهُ سَابِكُ الشَّيَاطِينِ ، وَمَنْ اسْتَسْلَمَ لِمَلَكَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا .

قَالَ الرَّصِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَنَدَّ هَذَا كَلَامٌ تَرَكَأ دِكْرُهُ خَوْفَ الْإِطْلَاقِ
وَأَنْحَرُوحَ عَنْ أَمْرِ صِرَ الْمَفْصُودِ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

الْبَزْجُ :

من هذا الفصل أَحَدَتِ الصُّوفِيَّةُ وَأَصْحَابُ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ كَثِيرًا مِنْ فَنُونِهِمْ فِي
عُلُومِهِمْ ؛ وَمَنْ ثَامَلَ كَلَامَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَنْتَهَرِيَّ وَكَلَامَ الْحَسَنِ وَالسَّريِّ وَعَیْرِهِمْ رَأَى
هَذِهِ الْكَلَامَاتِ فِي قَرْنِ كَلَامِهِمْ تَلُوحُ كَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَةِ وَكُلِّ الْمَعَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ
فِي هَذَا الْفَصْلِ قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِيهَا .

[نُبْذُ وَحِكَايَاتٍ مِمَّا وَقَعَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ]

وَنَذَكُرُ هَاهُنَا الصَّدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ يَعَصِبَ اللَّهُ ، وَيَنْهَى عَنْ
النَّكَرِ ، وَيَقُومَ بِالْحَقِّ وَلَا يُبَالِي بِالسُّلْطَانِ وَلَا بِرَأْسِهِ .

دخل عمرُ بنُ عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه - وهو يومئذ وليُّ عهده - قد عقد له من بعده ، فحاء ، إنسانٌ يَطْبُ ميراثنا من بعض نساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما إحال النساء يرثن في العقار شيئا ، فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ! وأين كتابُ الله ! فقال سليمان : يا علام ، اذهب فارتبى بسجّل عبد الملك الذي كُتِبَ في ذلك ، فقال له عمر . لكأنّك أرسلتَ إلى الصحف ! فقال أيوب بن سليمان : والله ليؤشكنَّ الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين . فلا يشعر حتى يفارقه رأسه ؛ فقال عمر : إذا أفضى الأمرُ إليك وإلى أمثالك كان ما يدحل على الإسلام أشدَّ مما يحشى عليكم من هذا القول ، ثم قام فخرج .

وروى إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن حمدي ، قال : كان عمرُ بن عبد العزيز يهوى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : سمّتهم الخووس حتى يمدّثوا توبةً ، فأبى سليمان بحرورية مستفعل ، وعنده عمرُ بن عبد العزيز ، فقال سليمان للحرورية . ماذا تقول ؟ قال : ما أقول ما هسق بين الفاسق ! فقال سليمان لعمر : ما ترى يا أبا حفص ؟ فسكت ، فقال : أقسمتُ عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ! فقال : أرى أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أبك ، فقال سليمان : ليس إلا ! قال : ليس إلا ؛ فلم يرجع سليمان إلى قوله ، وأمر بضرب عنق الحرورية .

وروى ابنُ قتيبة في كتاب " عيون الأحرار " قال : بينما المنصور يطوف ليلا بالبيت صميع قائلا يقول : اللهم إليك أشكو ظهور البغي والفساد ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعو ، فصلّى ركعتين ، وأستلم الركن ، وأقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق

وأهل من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامى ما أرمضنى ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أمنتنى على نفسى أباتك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجرت منك ، واقتصرت على نفسى على فيها شاعل ؛ قال : أنت آمن على نفسك ، فقل ؛ فقال : إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين إصلاح ما ظهر من النعى والفساد لأنت ، قال : ويحك ! وكيف تدخلنى الطمع والصراء وابيضاء فى قمصتى ، والخمر واحمص عدى ! قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ! إن الله عز وجل استرعاك السهبن وأموالهم ، فاعملت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وحميت بسك وبينهم خجبا من الحصن والآخرة ، وآبونا من الحديد ، وحقنة معهم السلاح ، ثم سحفت نفسك فى مهمهم ، ونسقت عمالك فى حياية الأموال وجمعها ، فتوتيتهم بالسلاح والرحل واسكرج ، وأمرت نالا بدخل عليك إلا فلان وفلان ، مررتهم ، ولم تأمر بإعمال الفضل والمهوف ، ولا الخائف والغير ، ولا الصنف والمارى ، ولا أحد ممن له فى هذا المال حق ، فسادل هؤلاء المعر الذين استحلستهم لعسك ، وآرتهم على رعيتك ، وأمرت ألا يحبوا عسك ، يحبون الأموال ويجمعونها ويحبسونها ، وقالوا : هدا رحل قد حن الله ، فإنا لا نحويه ، وقد سحرنا فائتمروا على ألا يصل إليك من أحبار الناس شىء . لا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيحالف أمرهم إلا بقصوه ^(٢) عندك ونفوه أموال ، حتى تسقط منزلته وتصغر قدره . فلما انتشر ذلك عسك وعينهم أعطهم أساس وهابهم ، وكل أول من صانتهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم هل ذلك دور القدرة والثروة من رعيتك ليلالوا به ظلم من دوتهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع نيا وفسادا ، وصاد هؤلاء القوم شركاءك فى سلطتك وأنت غافل ، وبنت جاء متظلم حيل بينه وبين دخول

(١) ب : « أمرضى » ؛ والصواب ما أنبت من أ ، د وعيون الأحبار .

(٢) عيون الأحبار : « قصوه » أى عابوه .

دارك، وإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وحدك وقد نهيت عن ذلك، ووقت للناس رجلاً ينظر في مطالبهم، فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا يرفع إليك قصته، ولا يكشف لك حاله، فيحجبهم خوفاً منك، فلا يرال المظلوم يحتنف نحوه، ويلوذ به، ويستعيثُ إليه وهو يدفعه، ويعتل عليه، وإذا أحمَد وأخرج، وظهرت أنت لبعض شأنك صرَّح بين يديك، فيصير صرّاً معاً ليكون ككالا ميره، وأنت تنظر ولا تشكر، فابقاه الإسلام على هذا!

ولقد كنت أيتام شيبتي أسامر إلى السنين ففترسها مرة وقد أصيب مكيكها بسهمه، فتكئى نكاهاً شديداً، فجداه^(١) حبسوه على الصخر، فقال: أما إنى لست أسكى للبلية النارة، ولكى أسكى المظلوم بالباب يصرح فلا يسمع صوته! ثم قال: أما إذ ذهب سمى فإن نصرى لم يذهب، ما ذوا في أساس ألا يلس ثوماً أحرز إلا مظلوم^(٢)، ثم كان يركب الليل طرفي سباهه ينظر هل يرى مظلوماً فهما مشرك بالله علت رأفته بالشركى على شح نفسه، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت سبه لا تحبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لوكدك فقد أراك لله تعالى عيراً في الطفل يسقط من طلي أمه، ماله على الأرض مال، وما من مال يومئذ إلا ودونه يدٌ شحيحة تحويه، فلا يرال الله بطلع بذلك الطفل حتى تعظم رعة الناس به، ولست بالذى تعطى، ولكن الله يُعطى من يشاء ما يشاء. وإن قلت: إنما أجمع الناس لنشيد السلطان، فقد أراك الله عيراً في منى أمية، ما أعنى عنهم ما جمعوا من الذهب وفضة، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت: أجمع المال لطلب عاية هي أحسن من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا مرة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه؛ انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا، قال: فإن الملك الذى حولك ما حولك

لا يُعاقِب مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ ، بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ! وقد رأى ما قد عقدت عليه قلبك ،
وميلته حوَارُكَ ، ونظر إليه نصرُك ، واحترخته يدك ومشت إليه رحلاك . وانظر هل
يُفِي عيك ما شححت عليه من أمر الدنيا إذا تَرَغته من يدك ودعاك إلى الحساب على
ما مَنَحْتَ !

فبكى المنصورُ وقال : ليتني لم أُحَاتِ ! وَيَحْكَ ! فكيف أحتالُ لِمَنْ ؟ قال : إن
للناس أعلاماً يَمَرَّعونَ إليهم في دينهم ، وَيَرْمِونَ قَوْلَهُمْ ، فاحملهم بِطَانَتِكَ يُرْشِدُوكَ ،
وشاورهم في أمركَ بُدِّدُوكَ ؛ قال : قد نشتُ إليهم مَهْرَ نَوَاسِئِي ، قال : نعم ، حاوروا أن
تحميهم على طريقك ، ولكن أفتحْ مَانِكَ ، وسَهِّلْ حِجَابَكَ ، وانظر المظلومَ ، واقمِّع
اعظامه ، وحدِّ القِيَّةَ ، والصدقاتِ مما حلَّ وطابَ ، وأُقسِمْ بالحقِّ والعدل على أهله ، وأنا الصَّامِنُ
عنهم أنْ يأتوكَ وَيُسْعِدُوكَ على صلاحِ الأُمَّةِ .

وحاء المؤدِّونَ فسَمِعُوا عَليَّه ، وَهَدَّوْا بِالسَّلَاةِ ، فقامَ وصَلَّى ، وعادَ إلى محلِّه ، فطُلبَ الرَّحْلُ
فلم يُؤَخِّدْ ^(١) .

وردَّيْ أَسْ قُتْبِيَّةٌ أَيْضاً فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ أَنَّ تَحْمِرَ بْنَ عُبَيْدٍ قَالَ لِلْمَنْصُورِ : إِنَّ اللَّهَ
أَعْطَاكَ الدُّنْيَا نَاسِرَها ، فَاشْتَرِ بِسَاكِ مَعَهُ يَمْنَعُها ، وَأَدَّكَ رَيْلَةً تَمَحُّضُ لَكَ صِيحَتُها عَنْ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قال : يَعْنِي لَيْلَةَ مَوْتِهِ . هَوَّجَ الْمَنْصُورُ ، فَقَالَ الرَّيِّعُ : حَسْبُكَ ، فَقَدْ تَحَمَّتَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ تَحْمِرُ بْنُ عُبَيْدٍ : إِنَّ هَذَا صَحْبُكَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرَّ عَلَيْهِ أَنْ
يَصْحَبَكَ يَوْمَ وَاحِدًا ، وَلَمْ يَمَلَّ وَرَاءَ نَاسِئِ نَشِيٍّ ، مِمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سَنَةِ نَبِيِّهِ ! قال
أَبُو حَمْرٍ : مَا أَصَحُّ ؟ قَدْ قُلْتَ لَكَ ؛ حَاتَمِي فِي يَدِكَ مَهْمَ أَمْتِ وَأَصْحَابِكَ فَأَكْفِي ، فَقَالَ
عَمْرُو : دَعْنَا تَمْدُوكَ سَخُّ نَاصِئَا نَعْوِيكَ ، وَسَايِثُ مَصَالِمِ كَثِيرِهِ ^(٢) ، فَأَرَدُهَا نَعَمَ
أَنَّكَ صَادِقٌ ^(٣) .

وقال ابن قتيبة في الكتاب المذكور : وقد قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك بنحو هذا ، قال له : إني مكلمك ، أمرنا أنؤمن بكلام [فيه بعض السطة] ^(١) فاحتجبه إن كرهته ، فإن وراه ما نحب ، قال : قد ، قال : إني سأطلق لساني بما خسرست عنه الألسن من يعطتك نأدنة ليحق الله . بث قد تكلمت رجل أساءوا الاختيار لأصمهم ، فابتاعوا دنيهم بدريهم ، فهم حرب الآخرة ، سينم الدنيا . فلا تأمنهم على ما ائتمك الله عليه ، فإنهم لم يألوا الأمانة تصيباً ، ولأمة حسداً ، وأنت مسئول عما احترجوا ، وليسوا مسئولين عما احترجت ، فلا تصلح دنيهم بفساد آخرتك . فإن أعظم الناس عتناً من باع آخرته مدنيا غيره . قال : هذا سبيان : أما أنت يا أعرابي ، فإنك قد سللت علينا محلاً لسانك ، وهو أنقطع سبيك ؛ فقال : أجل ، فقد سللته ، ولكن لك لا عليك ^(٢) .

(٣٢)

الأصل :

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

الشرح :

قد نطقتُ أما هذا اللفظ والمعنى ، فمتى في جملة أبياتى :

خيرُ الصّائِغِ للإنسانِ مَكْرُمَةٌ تَمِيحُ وَتَرْكُوكُ إِذَا بَارَتْ نَصَائِعُهُ

فَالْخَيْرُ خَيْرٌ وَخَيْرٌ مِنْهُ فَاعِلُهُ وَشَرٌّ شَرٌّ وَشَرٌّ مِنْهُ صَائِعُهُ

فإن قلت . كيف يكون فاعلُ الخيرِ خيراً من الخير ، وفاعلُ الشرِّ شراً من الشرِّ ، مع أن فاعل الخير إنما كان ممدوحاً لأجل الخير ، وفاعل الشرِّ إنما كان ممدوحاً لأجل الشرِّ ، فإذا كان الخير والشرُّ هما سَدَمَا الدَّخِ وَالْدَّمِ - وهما الأصل في ذلك - فكيف يكون فاعلها خيراً وشرّاً منهما ؟

قلت : لأنَّ الخير والشرَّ ليسا عبارة عن ذات حية قادرة ، وإنما هما فعلان ، أو فعل وعدم فعل ، أو عَدَمَان ، فلو قطع اسطر عن لدات الحية القادرة التي يَصْدُرَانِ عنها ، لما انتفع أحدُهما ولا استصّر ، فالتمع واضرر إنما حصلنا من الحيِّ الموصوفِ بهما لا منهما على انفرادهما ، فلذلك كان فاعلُ الخيرِ خيراً من الخير ، وفاعلُ الشرِّ شراً من الشرِّ .

(٣٣)

الأصل :

كُنْ سَمَحًا ، وَلَا تَكُنْ مُدْرًا ، وَكُنْ مُقَدَّرًا ؛ وَلَا تَكُنْ مُقَرَّرًا .

الشرح :

كلُّ كلامٍ جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْفُوعَةً إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ وَلَا تَنْسُطْهَا كُلَّ الْبُطْرِ فَتَقْتَدَّ مَلُومًا مَّحْشُورًا ﴾^(١)
ومحور قوله : ﴿ إِنَّ الْمُدْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾^(٢) .

(١) سورة الإسراء ٢٧ . (٢) سورة الإسراء ٢٩ .

(٣٤)

الأضل :

أشرفُ الغنى ، تركُ المني .

البنزج :

قد سبق منا قول كثير في المني ، وذكرها ما لم يذكره هناك .

سئل صبيدُ الله بن أبي بكر : أي شيء أدوم متاع ؟ قال : المني .

وقال بلال بن أبي بريدة : ما يسرني بصيبي من المني محر المم .

وكان يقال : الأمانى للنفس كلزؤوني لبصر .

ومن كلام بعض الحكماء : الأمانى نعيم أعين البصار ، والخط يأتى من لا يأتيه ،

وربما كان الطمع وعاء حشوه التالف ، وسائقا يدمر إلى الدامة ، وأشقى الناس بالسלטان

صاحبه ؛ كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إحراقا ، ولا يُدرك الغنى بالسלטان

إلا نفس حائفة ، وحسم نعب ، ودين منكهم ، وإن كان البحر كدير الماء ، فهو بيمد

الهواء .

(٣٥)

الأفضل :

مَنْ أَمْرَحَ إِلَى النَّاسِ يَمَّا يَسْكُرُهُمْ ، فَوَارِيهِ مَا لَا يَمْتَنُونَ .

السنخ :

هذا المعنى أكثرُ واسع ، ويستصرُّها ما فيه على حكاية ذكرها المراد في " الكامل " .

[في مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي .

قال : ما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند أخصي^(١) إلى أثاث لم يُر مثله^(٢) ، وإلى آلات لم يُر مثنها ، فأراد أن يرى الناس عظيم ما أكرم الله به عبده ، ويعرفهم أقدار العوم الذين طهر عنهم ، فأمر بدار فهرشت وفي صحبها قدور يرتقى بها بالسلام ، فإذا الحصين ابن السدير بن الحارث بن وائلة الرقاشي قد قُتل والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قتيبة : ائذن لي في معانته ، قال : لا تردّه لأنه خيئ الخواب ؛ فأبى عبد الله إلا أن يأذن له - وكان عبد الله يصعب ، وقد كان تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك - فأقبل على الحصين ، فقال : أمن الباب دخلت يا أماه ساسان ؟

(١) أخصي ؟ أي اتسع وصار عريضا . (٢) الكامل : « مثلها » .

قال : أحل ، أسنّ مَثَك عن تَسْوَر الحِصْب . قال : أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْقُدُور ؟ قال : هِيَ أَعْظَمُ
مِنْ أَلَا تَرَى ؟ قال : مَا أَحْسَبُ نَكَرَ بِنِ وَائِلَ رَأَى مِثْلَهَا ، قال : أَحَلْ ، وَلَا غَيْلَان ،
وَلَوْ كُنَ رَأَاهَا مَتَّى شَبْعَانَ ، وَلَمْ يَسْمَعْ فَيْلَانَ ، قال لَهُ عَمْدُ اللَّهِ : يَا أَبَا سَامَانَ أَتَعْرِفُ
الَّذِي يَقُولُ :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَحَرَّ حُصَاها تَتَنَّى مِنْ تَحَالِفِهِ^(١)

قال : أَحَلْ أَعْرِفُهُ ، وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

مَأْذَى الْعَرَمِ قَادَ بَنَى فَشَرِّ وَمِنْ كَانَتْ لَهُ أُسْرَى كَلَابِ
وَحْيَةٍ مِنْ يَحْيَى عَلَى عَيْنِ وَهَامِلَةٍ بِنِ يَمُصُّ وَالزَّكَلَبِ

يُرِيدُ : يَا حَيَّةَ مِنْ يَحْيَى قال : أَمْتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

كَانَ مِصَاخَ الْأَرْدِ حَوْلَ أَبِي مِصْمَرٍ إِذَا عَرِقتْ أَهْوَاءُ نَكَرَ بِنِ وَائِلِ

قال : نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

قَوْمٌ قَتِيئَةٌ أَثْمُهُمْ وَأَوْعُهُمْ لَوْلَا قَتِيئَةٌ أَسْجَحُوا فِي تَحْمَلِ

قال : أَمَّا الشَّرُّ فَأَرَأَيْكَ تَرَوِيهِ ، هَلْ تَقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْئًا ؟ قال : أَقْرَأُ مَعَهُ الْأَكْثَرَ

الْأَطْيَبَ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾^(٢)

فَأَعَصَمَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ امْرَأَةً الْحَصِينَ حَمَلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حُلِيٌّ مِنْ عَيْرِهِ .

(١) هُوَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ - رَعَاةُ الْأَمَلِ .

(٢) سُورَةُ الْإِنْسَانِ ١ .

قال : فما تحرك الشيخُ عن هيئته الأولى ، ثم قال على رسله ، وما يكون ! تلد غلاما
على فراشي ، فيقال : فلانُ ابنُ الحُصين ، كما يقال : عبدُ الله بنُ مسلم . فأقبل فتيةُ
على عبد الله وقال : لا يسعد الله غيرك !

قلت : هو الحُصين بالصاد المعجمة ، وليس في العرب من اسمه « الحُصين » بالضاد
المعجمة غيرُهُ^(١) .

(١) الكامل ٣ : ١٣ ، ١٤ ؛ قال أبو العباس : « الحُصين بن النمر بن الحارث بن وعلجة . وكان
الحُصين بيده لواء على بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة » وله يقول الفاضل :

لَمَنْ رَايَهُ سَوْدَاهُ يَحْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُصَيْنٌ تَقْدَمًا

(٣٦)

الأنزل :

مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ ، أَسَاءَ الْعَمَلَ .

البنخ :

قد تقدم منا كلام في الأمل .

وقيل لبعض الصالحين : ألك حاجة في فداد ؟ قال : ما أحب أن أبسط أمني

حتى تذهب إلى فداد وتعود .

وقال أبو عثمان النهدي : قد أنت على ثلاثين ومائة سنة ؛ ما من شيء إلا وأحديه

النفس إلا أمني ، فإن وجدته كما هو أو يريد

(٣٧)

الأصل :

وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترحلوا له

واشتدوا بين يديه :

مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : خُلِقَ بِمَا نُسَظُّ بِهِ أَمْرَاءَنَا ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ
مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرًاؤُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْفُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَشْفُونَ بِهِ
فِي آخِرَاتِكُمْ ؛ وَمَا أَحْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَأَاهَا أَيْقَابُ ، وَأَرْجَحَ الدَّعَاةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ !

الشرح :

اشتدوا بين يديه : امرعوا شيئاً ، فها هم عن ذلك وقال : إنكم تشفون به على أنفسكم
لما فيه من تعب الأبدان . وتشفون به في آخرتكم : تحصمون للولادة ، كما رعنتم أنه خلق
ومادة لكم ؛ حصوعاً تطلعون به الدنيا واسافع الدخلة فيها ، وكلّ حصوع وتدخل لعير الله
فهو معصية .

ثم ذكر أن الحسرا المين مشقة عاجله يتبعها عذاب الآخرة والرجح البين دعة عاجلة
يتبعها الأمان من النار .

(٣٨)

الأصل :

قال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام :

يَا بَنِيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَمًا وَأَرْثَمًا ؛ لَا يَصْرُكَ مَا تَحِبَّتْ مَمْنُونٌ ؛ إِنَّ أَعْنَى الْعِنَى الْعَقْلُ ،
وَأَكْثَرُ الْعَمْرِ الْحَقُّ ، وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْغَضُّ ، وَأَكْرَمَ الْأَحْسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ .
يَا سَيِّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْأَخْقَرِ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَكَّكَ فَيَصْرُكَ ، وَإِيَّاكَ
وَمُصَادَقَةُ النِّجِيلِ ، فَإِنَّهُ يَفْعِدُ عَنْكَ أَخْوَجَ مَا تَكُونُ إِيَّاهُ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ
الْمَاحِرِ ، فَإِنَّهُ يَبْنِيكَ بِالْبَاطِلِ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقْرَبُ
عَلَيْكَ النَّعِيدَ ، وَيَبْعِدُ عَنْكَ الْقَرِيبَ .

الشرح :

هذا الفصل يتضمن ذكر العقل والحق ، والمعجب وحسن الخلق ، والبخل والمجور ،
والكذب ، وقد تقدم كلامنا في هذه الخصال أجمع ، وقد أخذت قوله عليه السلام :

« إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْأَخْقَرِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَكَّكَ فَيَصْرُكَ » فقلت في أبيات لي :

| | |
|---|---|
| حَيَاتِكَ لَا تَصْحَبَنَّ الْجَهْلَ | فَلَا حَيْرَ فِي نُصْحَةِ الْأَخْقَرِ |
| يَطْنُ أَحْوَجَ الْجَهْلِ أُنَ الصَّلَا | لَ عَيْنُ الرِّشَادِ فَلَا يَتَّقِي |
| وَيَكْسَبُ صَاحِبُهُ نَجْمَهُ | فَيَسْرِقُ مِنْهُ وَلَا يُسْرِقُ ^(١) |
| وَأَقِيمِ أَرَا الْعَدُوَّ الْمَلِيدَ | مَ حَيْرٌ مِنَ الشَّيْقِ الْأَخْقَرِ |

(٣٩)

الأصل :

لَا قُرْبَةَ بِالْمَوَافِلِ إِذَا أُصْرَتْ بِالْفَرَائِصِ .

الشرح :

هذا الكلام يُمكن أن يُحمَل على حقيقته ، ويُمكن أن يُحمَل على تحاره ، فإن حُمِلَ على حقيقته فقد ذهب إلى هذاذهب كثير من شيوخنا ، وهو مذهب الإمامية ، وهو أنه لا يصح التعلُّق بمن عليه قضاء فريضة طائفة لا في الصلاة ولا في غيرها ، فأما الخُجّ فمتفق عليه بين المسلمين أنه لا يصح الابتداء بفعله ، وإذا بوى بية الدُّل ، ولم يكن قد حَجَّ حَقَّةَ الإسلام وقع حَجُّه فرصاً ، فأما نوافل الزكاة فما عرفتُ أحداً قال : إنه لا شاب التصدَّق بها ، وإن كان لم يؤدِّ الزكاة الواجبة . وأما إذا حُمِلَ على تحاره ، فإن معناه يحب الابتداء بالأهم وتقدمه على ما ليس بهم ، فتدخل هذه الكلمة في الآداب السلطانية والإخوانية ، نحو أن تقول لمن توصيه . لا تبدأ بخدمة صاحب الملك قبل أن تبدأ بخدمة ولد الملك ، فإنك إنما تروم الفرقة للملك بالخدمة ، ولا فرقة إليه في تأخير خدمة ولده وتقدم خدمة علامه ؛ وتدخل الكلمة على حقيقتها أولى ، لأن اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمور الدينية والشرعية في وصاياه ومنشور كلامه أعظم .

(٤٠)

الأصل :

لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْأَخْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ .

قال الرضوي رحمه الله تعالى :

وهذا من المأذني المحيية الشريفة ، والمراد به أن العاقل لا يظن لسانه إلا بعد
مُشاورة الرؤفة ، وموازاة الفكرة ، ولأخفق نسي حداث لسانه ، وفتات كلامه .
مراحة فكره ، ومما حصه رأيه ، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه ، وكأن قلب
الأخفق تابع للسانه .

قار . وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر ، وهو قوله : « قلب
الأخفق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه » ومضاهما واحد .

الشرح :

قد تقدم القول في العقل والحق ، وذكر ههنا ريبات أخرى .

[أقوال وحكايات حول الحق]

قالوا : كل شيء يمر إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأعلى .

وكان عبد الملك يقول : أنا للعاقل اندبر أرجى متى للأحمق القيل .

قيل لبعضهم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيت عتيم في أحد فأصيفه ، وما لا يوجد

كلاما فلا حد له .

وقال الزُّهرى : إذا أنكرت عقلك فقدحه بماقل .

وقيل : عظم الثوبة في عاقل متجاهل ، وجاهل متعاقل .

وقيل : الأحمق يتحطم من كل شيء إلا من نفسه .

وقيل لبعضهم : العقل أفضل أم الخد ؟ فقال : العقل من الخد .

وحط رحلا إلى ديمائوس الحكيم استه ، وكان أحدهما فقيرا والآخر غنيا ، فروحها من الفقير ، فسأله الإسكندر عن ذلك ، فقل : لأن الغنى كان أحمق ، فكنت أحاط عليه انصر ، والفقير كان عاقلا ، فرحوت له الغنى .

وقال أرسطو : العاقل يوافق العاقل ، والأحمق لا يوافق العاقل ، ولا أحمق كالمود المستقيم الذي ينطق على المستقيم : فأما الموح فإنه لا ينطق على الموح ولا على المستقيم .

وقال بعضهم : لأن أراول أحمق أحث من أن أراول نصف أحمق - أعنى الجاهل المتعاقل .

واعلم أن أخبار الحق ونوايرهم كثيرة ، إلا أن ذكر منها ما يليق بكتابنا ، فإنه كتاب زهنا عن الخلافة والمخش إجلالا لمصير أمير المؤمنين .

قال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه : إن حق الرجل يُعرف بمخصال أربع : طول رجليته ، وبشاعة كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط نهفته . فدخل عليه شيخ طويل العُشون ، فقال هشام : أما هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الناق ؟ قالوا له : ما كنية الشيخ ؟ قال : أبو الياقوت ، فسألوه عن نقش خاتمه ، فإذا هو :

﴿وَجَافُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾^(١) فقيل له : أى الطعام تشتهي ؟ قال : الدُّبَاءُ^(٢)

بالزيت ؟ فقال هشام : إن صاحبكم قد كمل

وسمع عمرو بن عبد العزيز رجلاً يسأله : يا أبا العزريس ؟ فقال : لو كان له عقل

لكناه أحدهما .

وأرسل ابن الجعل بن الحيم^(٣) رسالة في حبة ، حياء سارفا ، فقيل له : سمعنا باسمه

يُعرف به ، فقام فقأ عينه وقال : قد حمته الأعور ، فقال شاعر يهجوهُ :

دمتني سو عجل سداً أيبهم وأى عساد الله أنوك من عجل !

أليس أبوهم عار عَيْنَ حواذيه فأصحت به الأمثال تُضرب بالجلد

وقال أبو كعب القاص في قصصه : بن النضر صلى الله عليه وآله قال في كيد حمرة

ما علمت ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة !

وقال مرة في قصصه : اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، فقيل له : إن

يوسف لم يأكله الذئب ؟ فقال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

ودخل كتب النقر الهاشمي على محمد بن عبد الله بن طاهر يبريه في أحبيه ، فقال له :

أعظم الله مُصيبة الأمير ! فقال الأمير : أت فيك بعد قتل ، والله لقد همت أن أحرق

لحيته ! فقال : إنما هي لحية الله ولحية الأمير فيفضل ما أحب .

وكان عمرو بن كزير أبو عبد الله بن عامر ، من حنفي قريش ، نظر إلى عبد الله وهو

يخطب والناس يستحسنون كلامه ، فقال لإسار بن حاربه ، أبا أحرحتة من هذاه وأشار

إلى متاعه .

(١) سورة يوسف ١٨ . (٢) الدباء : الفرع .

(٣) ورد الاسم عرقاً في أ ، ب . وأصلحه من د ، والفتد ٦ : ١٥٦ .

ومن حَمَقَى قُرَيْشُ الصَّامِ بْنِ هُثَيْمٍ عَمْرُومِيَّ ، وَكَانَ أَبُوهُ لَهَبٌ قَاتِرُهُ فَقَمَرُهُ مَالُهُ ثُمَّ دَارَهُ ، ثُمَّ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ وَأَهْلُهُ وَنَفْسُهُ ، وَتَحَدَّهُ عَدَا ، وَأَسْلَمَهُ قَيْسًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرَ بَعَثَ بِهِ نَدِيْلًا عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَتِلَ بَدْرُ ، فَقَتَلَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ أَبِي عَمٍّ أُمَةً .

وَمِنْ الْحَمَقِ الْأَحْوَصُ بْنُ حَمْرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرْبِثَ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا عَالِسُوه . مَا بَالُ وَحَمِكَ أَصْمَرَ ! أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَالَ : يَا سِي الْحَيَّةُ ، أَنَا شَاكٍ وَلَا تَعْلَمُونَنِي ! اطْرَحُوا عَلَيَّ الثِّيَابَ وَأَنْتَحُوا إِلَيَّ الطَّبِيبَ .

وَمِنْ حَمَقَى بَنِي عَمَلٍ حَسَّانُ بْنُ الْعَصَّانِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَرِثَ نِصْفَ دَارِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : أَرِيدُ أَنْ أَبِيعَ حِصَّتِي مِنَ الدَّارِ ، وَأَشْتَرِيَ بِالْثَمَنِ النِّصْفَ الْبَاقِي ، فَتَصِيرَ الدَّارُ كُلُّهَا لِي .

وَمِنْ حَمَقَى قُرَيْشُ نَكَارُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ أَبُوهُ بَهَاءُ بْنُ يُحَاظٍ حَالِدَ ابْنِ زَيْدٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ لَمَّا يَعْرِفُ مِنْ شُجْعَانِهِ ، فَحَسِبَ يَوْمًا إِلَى حَالِدٍ ، فَقَالَ حَالِدٌ يَبْعَثُ بِهِ : هَذَا وَاللَّهِ الْمُرْدُّ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ ، فَقَالَ نَكَارُ : أَهْوَى ، أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

• مُرْدَّدٌ فِي بَنِي اللَّحْنَاءِ تَرْدِيدًا •

وَمِنْ لِكَارِ هَذَا بَارِي ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الشَّرْطَةِ : أَعْلِنِي أَبْوَابَ دِمَشْقَ لِنَلَّا نَخْرُجَ الْبَازِيَّ .

وَمِنْ حَمَقَى قُرَيْشُ مَعَاوِيَةَ بْنُ مَرْوَانَ مِنَ الْحَكَمِ ، يَسَاءُ هُوَ وَاقِفٌ بِبَابِ دِمَشْقَ يَنْتَظِرُ أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى بَابِ مَطْحَانَ ، وَرِحَالُ الْعُتْحَانِ يَدُورُ بِالرَّحَا وَفِي عَقْبِهِ حُلُجْلٌ ، فَقَالَ لِلطَّحَّانِ : لَمْ حَمَلْتَ فِي عَصِيٍّ هَذَا الْحَارَ حُجْلًا ؟ فَقَالَ : رَبِّمَا أَدْرَكْتَنِي نَعْسُهُ أَوْ سَامَةٌ ، فَإِذَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ الْحُلُجْلِ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ ، فَصِيحْتُ بِهِ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَهُ إِنْ قَامَ وَحَرَكَ رَأْسَهُ ، مَا عَلِمْتُكَ بِهِ أَنَّهُ قَائِمٌ ؟ فَقَالَ : وَمَنْ لِحِمَارِي يَمِثِلُ عَقْلَ الْأَمِيرِ !

وقال معاوية لِحَمِيهِ وقد دَخَلَ بِأُيْتِهِ تِلْكَ الْبَيْلَةَ فَاتَّصَبَهَا : لقد ملأنا ابنتُك البارحة
دمًا ؛ فقال : إنها من نسوة يَحْمِلْنَ ذلك لأرواحهن .

ومن كَهَمِّي فريش سليمانُ بنُ يزيدَ بنِ عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليدَ أحمى !
فلقد كان فاحرا ، أرادني على الفاحشة ، فذل به قتل من أهله ، اسكت ويحك ، فوالله
إن كل همٍّ لقد قمل !

وحطت سعيدُ بنُ العاصِ عائشةَ ابنةَ عثمان ، فذلت . هو أحمق ، لا أزوجه أبدا ، له
رُذُوفَانِ لَوْكُهَا واحدٌ عبدُ الناس ، ويَحْمِلُ مِثْلَهُ أَثْنَيْنِ .

ومَنْ كَانَ يُحَقِّقُ مِنْ فريش غنمةُ بنِ أنى سُيَاحَ بنِ حربٍ وعبدُ الله بنُ معاوية
ابنِ أنى سُيَاحَ وعبدُ الله بنُ قيسِ بنِ نَحْرَمَةَ بنِ الْمُظَلِّ وسهرُ بنُ عمرو أحمى سُهَيْلِ
ابنِ عمرو بنِ العاصِ . وكان عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يقول : أحمى بنتُ في فريش آلِ قيسِ
ابنِ نَحْرَمَةَ .

ومن القائلِ المشهورِ بِالْحُلِيِّ الْأَرْدِ ، كتبَ مَسْمَةَ بنُ عبد الملكِ إلى يزيدَ
ابنِ المهلبِ لما حرجَ عليهم : إنك ستُصاحِبُ هذا الأمرَ ، إن صاحبه مضمورٌ موتورٌ ،
وأنت مشهورٌ غيرُ موتورٍ . فهم إليه رجلٌ من الْأَرْدِ ، فقال : قدَّم أسك تحلدا حتى نُقتل
فتصير موتورا .

وقام رجلٌ من الْأَرْدِ إلى عُبدِ الله بنِ زيادٍ فقال : أصحَّ اللهُ الأمرُ ! إن امرأتِي
هَلَكَتْ ، وقد أردت أن أزوجه أمي ، وهذا عَرِيضٌ فَأَعِضِّي في استدافِي ، فقال : في كم
أنت من العطاء ؟ فقال : في سَمِئَةٍ ؛ قال : حُطُّوا من عَطَائِهِ أَرْبَعًا ، يكفيك ثلاثمائة .
ومدَّحَ رجلٌ منهم المهلبَ فقال :

نعم أميرُ الرِّقَّةِ المهلبُ أبيمُ وصاحُ كتَبِ الخَلَفِ

فقال الهذلي : حَسْبُكَ يَرْحَمُكَ اللهُ !

وكان عبدُ الملك بنُ هلالٍ عبده رَسِيلٌ^(١) مملوءٌ حصًّا للتَّسْيِيحِ ، فكان يَسْبِغُ بواحدةٍ واحدةٍ ، فإذا مَلَّ طَرَحَ اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، ثم ثلاثَ ثلاثٍ ، فإذا أَرَدَ أَنْ يَلْهُ قَبْضَ قَبْضَةٍ وَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ عَدَدُكَ ! فإذا ضَجِرَ أَحَدُ رُفَرَا الرُّسَيْلِ وَقَلَسَهُ ، وقال : سبحان الله بِمَدَدِهِ هَذَا .

وَدَخَلَ قَوْمٌ مَنْزِلَ الْحَرَمِيِّ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فحَاءَ وَفَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ ، فسألوه عن الْقَبِيلَةِ ، فقال : إِنَّمَا تَرَكْتُهَا مِنْذُ شَهْرٍ .
وَحَكَى بَعْضُهُمْ ، قال : رأيتُ أَعْرَابِيَّ يَسْكِي ، فدأَلْتُهُ عَنْ سَبِّ نِكَائِهِ ، فقال : بَلَفَنِي أَنْ حَالَتْ قَتْلُ مَطْلُومًا .

وَصَفَّ بَعْضُهُمْ أَحَقَّ ، فقال : يَسْمَعُ عَمْرًا يَقَالُ ، وَتَحْفَظُ عَمْرًا مَا يَسْمَعُ ، وَتَكْتُبُ غَيْرَ مَا يَحْفَظُ ، وَيُحَدِّثُ بَغَيْرَ مَا يَكْتُبُ .

قال الدَّمُورِيُّ لثَمَامَةَ : مَا جَهْدُ النَّوَاءِ يَا أَبَا مَتْنٍ ؟ قال : عَالَمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ حَاضِرٍ .
قال : مَنْ أَيْنَ قُلْتَ هَذَا ؟ قال : حَسَنَى الرَّشِيدُ عِنْدَ مَسْرُورِ الْكَبِيرِ ، فَصَيِّقْ عَلَيَّ أَعْمَاسِي ، فَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَقْرَأُ : ﴿ وَبِئْسَ يَوْمٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٢) بِفَتْحِ الدَّالِ ؛ فَعَلْتُ لَهُ : لَا تَقُلْ أَيْهَا الْأَمِيرُ هَكَذَا ، قُلْ : ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، وَكَسَرْتُ لَهُ الدَّالَ ، لِأَنَّ الْمُكَذِّبِينَ هُمُ الْأُمَيَّاءُ ، فقال : قَدْ كَانَ يَقَالُ لِي عَنْكَ : إِنَّكَ قَدَرِي ، فَلَا يَحُوتُ إِنْ يَحُوتُ اللَّيْلَةُ مَتْنِي ! فَمَا يَبْتَ مِنْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الْمَوْتُ مِنْ شِدَّةِ مَا عَذَّبَنِي .

قال أَعْرَابِيٌّ لِأَنَّهُ : يَا بَنِي كُنْ سَمْعًا حَلِصًا ، أَوْ دُثْنًا حَائِصًا^(٣) ، أَوْ كَلْبًا حَارِصًا ، وَلَا تَكُنْ أَحَقَّ نَاقِصًا .

(١) الرَسِيلُ ، بالكسر وله فَتْحٌ : القِطْعَةُ أَوِ الْجِرَابُ أَوِ الْوَعَاءُ .

(٢) سورة المرسلات ١٩ . (٣) يَفْصَحُ ؛ يَحُوسُ الدُّثْنُ النِّعَمُ ؛ أَيْ تَحْتَلِبُهَا وَيَعْرِقُهَا .

وكان يقال : لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب .

وقال أبو سعيد السيرافي : رأيتُ متكلمًا يمدادُ بجمع به تقصُّه في العربية أنه قال في مجلس مشهور : إنَّ أصدق « مضطرَّ » مفتاحُ انطاء ، والله « مضطرَّ » بكسرها ؛ ورغم أنَّ من قال : « الله مضطرَّ عبد إلى كذا » ، بالفتح كافر ، فانظر أين بلغ به جهله ، وإلى أيَّ رذيلة أداه تقصُّه !

وصف بعضهم بسانا أحقَّ ، هال : والله للحكمة أدلَّ عن قلبه من المداد عن الأديم البهيم .

مرَّ عمرُ بنُ الخطاب على رُماءٍ عَرَّصَ ، فسمع بعضهم يقول : أُخطِيتُ واستت ، فقال له : مه ، فإنَّ سوءَ اللحن شرٌّ من سوءِ الإمالة .

نصخرُ عمرُ بنُ عبد العزيز من كلام رجل من مدَّبه ، فقال له صاحبُ شرطته : هم فقد أوديت أمير المؤمنين ! فقال عمر : والله إني لأشدُّ أدنى لي بكلامك هذا مه .

ومن حقَّقى العرب وُجُهلاتهم كلابُ بنُ مصصة ، حرجَ حوته يشنون حَيلاً ، فخرج معهم ، فحاءَ فجعل يقوده ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : فرسٌ أشتريته ؛ قالوا : يا مائق^(١) ؛ هذه نقرة ، أما ترى قرنيها ! فرجع إلى منزله ففكَّعَ قرنيها ، ثمَّ قادها ، فقال لهم : قد أعدتُها فرسا كما تريدون ، فأولاده يُدْعَوْنَ بنى فارس السمره .

وكان شذرة بن زُرَّوق بن تذر من تخمق ، جاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع فأحد بعصا^(٢) في الباب ، ثمَّ رفع صوته : سلامٌ عليكم ، أيلح شذرة ؟ فقيل له : هذا يومٌ لا يُستأذن فيه ، فقال : أويلح مثلي على قوم ولم يُعرَفْ له مكانه .

(١) المائق الأحمق .

(٢) عصا ، الباب : حشيتاه من حاييه .

واستعمل معاوية عاملاً من كلب ، فخطب يوماً ، فذكر المحوس ، فقال : لمهم الله ! يسبحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما سكحت أمتي ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! آروني لو رددوه فبل ! وعزله .

وشردَ نعيمُ لهثقة - واسمه يزيدُ بنُ شروان - فجعل ينادي : لمن أتى به بميران ، فقيل له : كيف سُدُلَ وبُثِلَ نعيمُ بنُ نعيم ؟ فقال : فخلوا الوخدان وسُرقَ من أعرابي حمارٌ ، فقيل له : أُسرقَ حمارك ؟ قال : نعم ، وأحمد الله ، فقيل له : على ماذا تحمده ؟ قال : كيف ! لم أكن عليه .

وخطب وكيعُ بنُ أبي سود^(١) بحراس ، قال : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر ، فقيل له : إنما ستة أيام ، فقال : والله لقد قلَّ لها وأما استيقظها ! وأحرقت حيلَ قطيعٍ فيها فرسٌ سابقٌ ، فجعل رجلٌ من القطارة يسكت ويثب من الفرح ، فقال له رجلٌ إلى حاصه : ما فتى ، أهدأ الفرس السابق لك ؟ قال : لا ولكن اللعنام لي .

وقيل لأبي السَّحاح الأعرابي عند موته : أوصي ، فقال : إنا الكرام يوم طيعة^(٢) ، قالوا : قل حيراً ما أبا السَّحاح ، قال : إن أحتت أُمراؤني فأعطوها بميراً ، قالوا : قل حيراً ، قال : إذا مات علالي فهو حُرٌّ .

وقيل لرجل عند موته : من لا إله إلا الله ، فعرَّص ، فنادوا عليه مراراً ، فقال لهم : أحذروني عن أبي طالب ، فأنسها عند موته ؟ قالوا : وما أنت وأبو طالب ! فقال : أرغب بمسي عن ذلك الشريف .

(١) ب : « أسود » تصحيف صوابه في د .

(٢) طيعة : موسم في طريق المعركة إلى مكة ؟ ويوم طيعة من أيامهم ، لبي يربوع على المنبر من ماء السماء

وقيل لآخره عند موته : ألا تُوصي ؟ فقال : أنا منفورٌ لي ، قالوا : قل : إن شاء الله ،
قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : يا هذا لا ندفع الوصية ، فقال : لابنِي أخيه ، يا بني حريث ،
ارفعنا وسادى ، واحتفظا بالحلة الحياء^(١) ، فإنما حرككما الأعدى .
وقيل : لعلم ابن معلم : مالك أحن ؟ فقال : لو لم أكن أحن ؛ لكنتُ ولدَ رِثاء .

(٤١)

الأفضل :

وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها :

حَمَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ شُكْرٍ لَكَ حَقًّا لِسَيِّئَاتِكَ ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أُخْرَ فِيهِ ،
وَلَكِنَّهُ يَحْطُ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتَمِلُ حَتَّى الْأَوْرَاقِ ، وَإِنَّمَا الْآخِرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ ،
وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَفْئَامِ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ الْبَيِّنَةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّاحِبَةَ
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وأقول : صدق عليه السلام ، إِنَّ الْمَرَضَ لَا أُخْرَ فِيهِ ، لأنه من قَبِيلِ مَا يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ
الْمَوْتُ ، لأنَّ الْمَوْتَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَدِّ مِنَ الْأَلَامِ
وَالْأَمْرَاضِ وَمَا يَحْمِلُ يَحْمِلُ ذَلِكَ ، وَالْآخِرُ وَالثَوَابُ يُسْتَحَقَّانِ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلِ
فِعْلِ الْعَبْدِ ، فَبَيْنَهُمَا قَرْنٌ قَدْ بَيَّنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَفْتَضِيهِ عِلْمُهُ الشَّاقِبُ وَرَأْيُهُ الْعَاقِبُ .

الْبُزْخُ :

يسمى أن يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى تَأْوِيلٍ يُطَاقُ
مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَالْأَلَا يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَدَلَّكَ أَنَّ الْمَرَضَ إِذَا اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ

المَوْضُ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ الْمَوْضَ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ بِنَفْسِهِ ، لَا عَلَى قَوْل أَصْحَابِنَا ، وَلَا عَلَى قَوْل الْإِمَامِيَّةِ ، أَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَيَنْهَوْنَ عَنْ مُرَحِّثَةِ ، لَا يَذْهَبُونَ إِلَى التَّحَابُطِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُنَا فَإِنَّهُمْ لَا تَحَابُطَ عِنْدَهُمْ إِلَّا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ؛ فَأَمَّا الْعِقَابُ وَالْمَوْضُ فَلَا تَحَابُطَ بَيْنَهُمَا ، لِأَنَّ التَّحَابُطَ بَيْنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، إِذَا كَانَ بِعَتَبَارِ الشَّأْيِ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ كَانَ أَحَدُهُمَا يَتَضَمَّنُ الْإِحْلَالَ وَالْإِعْطَاءَ ، وَالْآخَرُ يَتَضَمَّنُ الِاسْتِحْقَاقَ وَالْإِهْلَاءَ ، وَمَحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدَ مُشَاهِدًا مُعْطًى فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَلَمَّا كَانَ الْمَوْضُ لَا يَتَضَمَّنُ إِحْلَالَ وَإِعْطَاءً ، وَإِنَّمَا هُوَ تَقَعُّ حَالٍ فَقَطْ ، لَمْ يَكُنْ مَدْيَا لِلْعِقَابِ ، وَحَادٍ أَنْ يَجْتَمَعَ لِلْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ كَوْنُهُ مُسْتَحَقًّا لِلْعِقَابِ وَنَعْوَسَ ، إِنَّمَا بَأْسُ يَوْمَرِ الْمَوْضِ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا بَأْسُ يَوْمَلٍ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ قُلْ عِقَابُهُ ، إِنْ لَمْ يَجْعَلِ الْإِجْمَاعُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ ، وَإِنَّمَا أَنْ يُحَقِّقَ عَلَيْهِ نَعْوَسُ عِقَابِهِ ، وَيَحْمِلُ ذَلِكَ بَدَلًا مِنَ الْمَوْضِ الَّذِي كَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يَوْمَلَ إِلَيْهِ ، وَإِذَا نَسْتِ ذَلِكَ وَخَبَّ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَازِلٍ صَحِيحٍ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَعْرَفَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمَنْتَهُ تَعَلَّمَ الْمُتَكَلِّمُونَ عِلْمَ الْكَلَامِ ، وَهُوَ أَنَّ الْمَرْصَ وَالْأَلَمَ يَحُطُّ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُتَلَّى بِهِ مَا يَسْتَحَقُّهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى مَصَابِيهِ السَّالِفَةِ تَعَصُّلاً مِمَّا سَبَّحَانَهُ ، فَلَمَّا كَانَ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ مُتَقَبَّلاً لِلْمَرْصِ ، وَوَأَقْبَانُهُ لَا فَضْلَ ، حَادٍ أَنْ يُطْلَقَ اللَّعْنَةُ بَأْسُ الْمَرْصِ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتَبِئُ حَتَّى الْوَرَقِ ، كَمَا جَارَ أَنْ يُطْلَقَ اللَّعْنَةُ بَأْسُ الْجَمْعِ يُحْمَلُ الْمَرْأَةُ ، وَبَأْسُ سَقَى السَّيِّئَاتِ الْمَاءَ يَنْتَهِي ، إِنْ كَانَ الْوَلَدُ وَالزَّرْعُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَقَدْ مَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِيَارِ ، لَا عَلَى الْإِيحَابِ ؛ وَلَكِنْ أُخْرَى الْمَادَّةُ ؛ وَأَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ عَقِبَ الْجَمْعِ وَعَقِبَ سَقَى السَّيِّئَاتِ الْمَاءَ .

فَإِنْ قَالَتْ : أَيْحُوزُ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْرُصُ الْإِنْسَانَ الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِقَابِ ، وَيَكُونُ إِنَّمَا أَمْرُهُ لِيُسْقَطَ عَنْهُ الْعِقَابُ لَا غَيْرُ ؟

قلت : لا ، لأنه قادر على أن يُسقط عنه العقاب ابتداءً ، ولا يجوز إزال الألم إلا حيث لا يمكن اقتصاص الموضع المحزى به إليه إلا بطريق الألم ، وإلا كان فعل الألم عتياً ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يستحق ريداً على عمر وألف درهم فيصربه ويقول : إما أضربه لأحصل ما يناله من ألم الصرب مُسقطاً لما أُنْتُحَقُّه من الدرام عليه ؟ وتذمه العقلاء ويسمونه ، ويقولون له فهلاً وهتماً له ، وأسقطتها عنه من غير حاجة إلى أن تصربه وتؤله ! والبحث المستقصى في هذه المسائل مذكور في كُتُبِ الكلامية ، فيرجع إليها . وأيضاً فإن الآلام قد تنزل بالأنبياء وليسوا دويّ ذنوب ومعاصير ليقال : إنها تخطئهم .

فأما قوله عليه السلام : « وإما الآخر في القول . . . » إلى آخر الفصل ، فإنه عليه السلام قسم أسباب الثواب أقساماً ؛ فقال : « يكسب الرخص لا يقتضي الثواب لأنه ليس فعل مكلف . وإما يستحق المكافآت الثواب على ما كان من فعله . » وَحَبَّ أَنْ يَبَيِّنَ مَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَكَافَأَتِ الثَّوَابَ ، وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ الْمَكْلَفَ بِهِ ذَلِكَ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلاً إِمَّا مِنْ أَعْمَالِ الْخَوَارِجِ ؛ وَإِمَّا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ ، فَأَعْمَالُ الْخَوَارِجِ إِمَّا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ أَوْ عَمَلٌ بِمَعْصِ الْخَوَارِجِ وَعَمَّا عَنِ سَائِرِ الْخَوَارِجِ - عَدَا اللِّسَانِ - بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُفْعَلُ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُفْعَلُ بِمِيزَانٍ مَحْمُومَةٍ الرَّحْلِ رُوحَتُهُ إِذَا قَصِدَتْ تَحْصِينُهَا وَتَحْصِينُهُ عَنِ الزَّانِ ، وَنَحْوِ أَنْ يُسْحَبَ حَجَرًا ثَقِيلًا رَأْسَهُ مِنْ صَدْرٍ بِسَبِّ قَدِيقَتِهِ ، وَعَمَّا ذَلِكَ ، وَأَمَّا أَعْمَالُ الْقُلُوبِ فَهِيَ الْعُرُومُ وَالْإِرَادَاتُ وَالنَّظَرُ وَالْعِلْمُ وَالنَّظَرُ وَالنَّعْمُ ، فَمَنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « بِصَدَقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ ، وَكَتَمِ بَدَلِكِ عَنْ تَمْدِيدِ هَذِهِ الْأَحْصَاءِ .

فإن قلب : فإن الإنسان قد يستحق الثواب على ألا يفعل السيئ ، وهذا يحرم الحصر الذي حصره أمير المؤمنين ؟

قلت : يجوز أن يكون يذهب مذهب أبي عليّ في أن القادر بقدرته لا يخلو عن الأخذ والترك .

(٤٢)

الأصل :

وقال عليه السلام في ذكر خباب :

رَحِمَ اللَّهُ خَبَّابَ بْنَ الْأُرْتِ ! فَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ
عُمَاهِدًا . طُوِيَ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَمَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقِيعَ بِالْكَفَايِ ، وَرَمَى
عَنِ اللَّهِ !

البشرح :

[خَبَّابُ بْنُ الْأُرْتِ]

هو خباب بن الارت بن حنلة بن سعد بن حرملة بن كعب بن سعد بن زيد مناة
ابن نعيم ، يكنى أبا عبد الله - وقيل : أبا محمد وقيل : أبا يحيى - أصابه سبي فبيع بمكة^(١) .
وكانت أمه حنانة ، وخباب من ضراء نسلين وخيارهم ، وكان به مرض ، وكان
في الجاهلية قينا خدادا يعمل السيوف ، وهو قديم الإسلام ؛ قيل إنه كان سادس ستة ،
وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، وهو معبود في المذنبين في الله ؛ سألته عمر بن الخطاب

(١) الاسيوط : « كان قينا يصل السيوف في الجاهلية ، فأصابه ساء فبيع بمكة ، فاشترته أم أعمار
بنت سباع الخزاعية » .

أيام خلافته : ما نقيت من أهل مكة ؟ فقال : نظار إلى طهري ؛ فنظر فقال : ما رأيت
كاليوم ظهراً راحلاً فقال حناب : أوقدوا لي ناراً وسجحت^(١) عليها ، فما أظلمها إلا
وذلك ظهري .

وحاء خناب إلى عمر ، فحمل يقول : ادبه ، ادبه ، ثم قال له : ما أحد أحق بهذا
المجلس منك ، إلا أن يكون عمار بن ياسر . رل حناب إلى الكوفة ، ومات بها في سنة
سبع وثلاثين ، وقيل : سنة سبع وثلاثين ، بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام
صفين ونهران ، وصلى عليه علي عليه السلام ، وكانت سنة يوم مات ثلاثاً وسمعين سنة ،
ودفن بظهر الكوفة^(٢) .

وهو أول من دفن بظهر الكوفة ، وعبد الله بن حناب هو الذي قنته الخوارج ،
فاحتج علي عليه السلام به وطبهم بدمه ، وقد تقدم ذكر ذلك .

(١) ب : « وسجحت » ، وأثبت ما في أ ، د ، والاستيعاب .

(٢) انظر ترجمة حناب في الاستيعاب ١ : ٤٣٨ .

(٤٣)

الأُضْلُ :

وقال عليه السلام :

لَوْ صَرَنْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ رَسِيْعِي هَدَا عَلَى أَنْ يُنْعِمَنِي مَا تُنْعِمَنِي ، وَلَوْ صَدَنْتُ
الدُّنْيَا بِحِمَائِنَهَا عَلَى الْمَصْرِفِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَنِي مَا أُحْيِيَنِي ، وَدَلَّكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضِيَ عَلَى
لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : « يَا عَلِيُّ ، لَا يُنْفِصُكَ مُؤْمِنٌ ،
وَلَا يُجْبِثُكَ مُأْمِنٌ » .

البُنْرُخ :

بَجَائِهَا بِالْفَتْح : تَجْعَلُ تَحْتَهُ ، وَهِيَ الْمَكَانُ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، وَالْخَيْشُومُ :
أَفْصَى الْأَنْفِ .

ومرادُه عليه السلام من هذا الفصل ، ذَكَارُ النَّاسِ مَا قَالَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، وَهُوَ : « لَا يُنْفِصُكَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُجْبِثُكَ مُنَافِقٌ » ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ ، وَدَلَّكَ لِأَنَّ
الْإِيمَانَ وَبِفَضْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَجْتَمِعَانِ ، لِأَنَّهُ بَعْضُهُ كَبِيرَةٌ ، وَصَاحِبُ الْكَبِيرَةِ عِنْدَنَا
لَا يُسَمَّى مُؤْمِنًا ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَهُوَ الَّذِي يُظَاهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُنْظِنُ الْكُفْرَ ، وَالْكَافِرُ بِمَقِيدَتِهِ
لَا يُحِبُّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَبْرِ الْمَحْتَمَّةِ الدَّيْنِيَّةِ ، وَمَنْ لَا يَعْتَقِدُ الْإِسْلَامَ
لَا يُحِبُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لِإِسْلَامِهِ وَجِهَادِهِ فِي الدِّينِ ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْكَلِمَةَ حَقٌّ ؛
وَهَذَا الْحَبْرُ مَرْوِيُّ فِي الصَّحَاحِ بِمِثْرِ هَذَا سَطْرٍ : « لَا يُجْبِثُكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُنْفِصُكَ
إِلَّا مُنَافِقٌ » ، وَقَدْ فُسِّرْنَا فِيهَا سَبْقًا .

(٤٤)

الأصل :

سَيِّئَةٌ نِسْوَالُ خَيْرٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُحْصِلُكَ .

الشرح .

هذا حق ، لأن الإنسان إذا وقع منه القبيح ثم ساء ذلك وندم عليه وتاب حقيقة التوبة كثرَت ثوابه معصيته ، فسقط ما كان يستحقه من العقاب ، وحصل له ثوابُ التوبة ، وأما من فعل واحدا واستمتع به ثوبا ثم حصره الإثم بنفسه والإدلال على الله تعالى بعمده ، والنية على الناس بعباده واحتماده ، فإنه يكون قد أخطأ ثواب عباده بما شفعها من القبيح الذي أناء ، وهو العُنف والتَّيْب والإدلال على الله تعالى ، فيعود لا ثوابا ولا مُقابا ، لأنه يتكافأ الاستحقاقان .

ولا ريب أن من حصل له ثواب التوبة ، وسقط عنه عقاب المصيبة ؛ خيرا ممن حرج من الأمرين كفافاً^(١) لا عليه ولا له .

(١) الكفاف من الشيء ، مثله .

(٤٥)

الأصل :

قَدَرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مَرْؤَافَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَسَافَتِهِ ،
وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ عَيْبَتِهِ .

الشرح :

قد تقدم الكلام في كل هذه الشيم والخصال ، ثم يقول ها هنا : إن كبر الهمة حثي
محتص بالإِنسان فقط ، وأما سائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك ، وإنما يتحرراً كل
نوع منها الفعل بقدر ما في طبعه ، وعو الهمة حال متوسطة محودة بين حالتين طرفي رديتين ،
وهما البدح ، وتسميه الحكماء التفتُّح - وصغر الهمة - وتسميه الناس الدَّناءة ، فالتفتُّح تأهل
الإِنسان له لا يستحقه ، وصغر الهمة تركه - يستحقه لصغير في نفسه ، فهذا مذمومان ،
والعدالة وهي الوَسَط بينهما محودة ، وهي عو الهمة ، ويسمى أن يعلم أن التفتُّح جاهل
أحمق ، وصغر الهمة ليس بجاهل ولا أحمق ، ولكنه دنيء ضعيف قاصر ، وإذا أردت
التحقيق ، فالكبر الهمة من لا يرمى بالهم الحيوانية ، ولا يقع لنفسه أن يكون عند
رعاية بطنه وفرجه ؛ بل يجتهد في معرفة مديح العالم ومصوغاته ، وفي اكتساب الكرام
الشرعية ليكون من حلفاء الله وأوليائه في الدنيا ، ومحاوريه في الآخرة . ولذلك
قيل : مَنْ عَظُمَتْ هِمَّتُهُ لَمْ يَرْضُ نُقْيَةً مُسَرَّدَةً ، وَحَيَاةً مُسْتَعَارَةً ، فَإِنْ أَمَكَّنَكَ

أن تقتنى نية مؤبدة ، وحياة مخلدة ، فاقبل غير مكترث بقلة مَنْ يصحبك ويعينك
على ذلك فإنه كما قيل :

• إذا عظم الطلوب قل الساعد •

وكما قيل :

• طرقُ الملاء قليلة الإيناس •

وأما الكلام في الصدق والروعة والشجاعة والأنفة والمفة والغيرة ، فقد تقدم
كثيرٌ منه ، وسيأتي ما هو أكثر فيها بعد إن شاء الله تعالى .

(٤٦)

الأصل :

الطَّمَرُ بِالْحَرَمِ وَالْحَرَمُ بِإِحَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِيصِ الْأَسْرَارِ .

الشيخ :

قد تقدم القول في كتاب السر وإداعته .

وقال الحكماء : أسر صريان : أحدهما ما يُنْقَى إلى الإنسان من حديث يُسْتَكْتَم ،
وذلك إما لفظا كقول القائل : اكتم ما أمركه لك ، وإما حالا وهو أن يخمر^(١) بالقول
حال أسرار صاحبه ، أو يختص صوته حيث يُخاطبه ، أو يحمله عن محالبيه ؛ ولهذا قيل :
إذا حدثك إنسان والتفت إليه فهو أمانة .

والضرب الثاني نوعان : أحدهما أن يكون حديثا في نفسك تستفتح إشاعته ، والثاني
أن يكون أصرا تريد أن تفعله .

وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله : « مَنْ آتَى مَكْمُومًا مِنْ هَذِهِ الْمَادُورَاتِ
فَلْيَسْتَرِ بِسُتْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، وإلى الثاني أشار من قال : « مِنْ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ إِعْلَانُ
الْأَمْرِ قَبْلَ إِحْكَامِهِ » ، وكتاب الصَّرب الأول من الوفاء ، وهو مخصوص بموالم الناس ،
وكتاب الصَّرب الثاني من الرواة والحرم ، والنوع الثاني من نوعيه أحصى بالملوك
وأصحاب السياسات .

قالوا : وإداعة السر من قلة الصبر ، وسبق الصدر ، ويوصف به صفة الرجال

(١) ب : « يحدث » .

والنساء والعتيان . والسب في أنه يصعب كتمان السر أن للإنسان موتين : إحداهما
أخذة ، والأخرى معطية ، وكل واحدة منهما تنشوق إلى فعلها الخاص بها ، ولولا أن
الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لم أتت بالأخبار من لم ترؤد ، فمك الإنسان
أن يمسيك هذه القوة ولا يُطيقها إلا حيث يجب إصلاحها ، فإنها إن لم ترم وتُحطم ،
تفصمت بصاحبها في كل مهلكة .

(٤٧)

الأصل

اَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَلَلثَنِيمِ إِذَا شَبِعَ .

الشرح :

ليس يعنى بالجوع والشبع ما يتبادرُ إلى الـبـس ، ورعنا المراد : اَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ
إِذَا ضَمِيمَ ، وَاَمْتُهُنَ ، وَاَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكِرِيمِ إِذَا كَرِيمَ . ومثل المعنى الأول قولُ الشاعر :
لَا يَصِيرُ الْخُرَّ نَحْتَ صَنِيمٍ وَيَتَمَّ نَصِيرِ الْخِمَارِ

ومثلُ المعنى الثاني قولُ أبي الطيّب :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَمْتَ أَكْرَمْتَ الْكِرِيمَ مَعْرَدًا^(١)

(٤٨)

الأصل :

قُورُ الرُّحَالِ وَخِشْيَةٌ ، فَمَنْ تَأْتِيهَا قُوتٌ عَنْهُ .

الْبَزْجُ :

هذا مثل قولهم : من لَانَ اسْتَالَ ، ومن ما بَرَّ ، وما اسْعَدَ الْحَرْمَ بِمِثْلِ الْإِحْسَانِ
إِلَيْهِ . وقال الشاعر :

وَإِنِّي لَوَخِشِي إِذَا مَا رَخَرْتَنِي وَبِئْسَ إِذَا أَتَقَتْنِي لِأَلُوفُ
فَأَمَّا قولُ عُمَارَةَ بْنِ عَقِيلَ :

تَحْتَمُّ سُحْطِي فَتَكْدَرُ بِحُشْمِكُمْ تَحِيلَةَ نَفْسٍ كَانَتْ صَفْوَاً ضَمِيرُهَا^(١)
وَلَمْ يُلَيْثِ التَّحْشِيْ نُصّاً كَرِيَةً عَلَى قَوْمِهَا أَلْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نَظْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تَكْدَرْ كَانَتْ صَفْوَاً عَدِيرُهَا

فيكاد يُخَافُ قولُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في الأصل ، لأنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام
حَمَلَ أَصْلَ طَبِيعَةِ الْقُلُوبِ التَّوَحُّشَ ، وَإِنَّمَا تُسْتَعَالُ لِأَمْرِ حَارِجٍ^(٢) ، وَهُوَ التَّأَلُّفُ وَالْإِحْسَانُ ؛
وَعُمَارَةُ حَمَلَ أَصْلَ طَبِيعَةِ النَّفْسِ الصَّغْوَ وَاسْلَامَةَ ، وَإِنَّمَا تَكْدَرُ وَتَجْمَعُ لِأَمْرِ حَارِجٍ^(٣) ،
وَهُوَ الْإِسَاءَةُ وَالْإِيحَاشُ .

(٢٩)

الأصل :

فَمِنْكَ مَسْتَوْرِدٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ .

• • •

الشرح :

قد قال الناسُ في الجَدِّ فأكثرُوا ، وإلى الآن لم يتحقق معناه ؛ ومن كلام بعضهم :
إذا أقبل البَحْتُ باصَّت الدَّجاجة على التوتد ، وإذا أدبر البَحْتُ أسيرَ المِساوُ
في الشمس .

ومن كلام الحكماء : إن السعادة لتتخط الحجر فيدعى رثا .

وقال أبو حيان : نوادر ابن الحمّاص الدّعة على نعمته وبّله كثيرة جدّا ، قد صُفِّ
فيها الكتُب . مِنْ مَحَلِّهَا أَنَّهُ سَمِعَ إِسْمَاعِيلَ يُسَيِّدُ نَسَبًا فِيهِ ذِكْرُ هِنْدَ ، فَأَنكَرَ ذَلِكَ ،
وقال : لا تذكروا حمّة النبي صلى الله عليه وآله ، ولا بحير ، وأشياء عجبية أطرف من هذا .
وكانت سعادته تُفَرِّبُ بِهَا الْأَمْثَالَ ، وكثرة أهوله التي لم يجتمع لقارون مثلها . قال
أبو حيان : فكان الناسُ يَعْجَبُونَ مِنْ دِينِهِ ، حتّى أن جماعةً من شيوخ تعداد كانوا
يقولون : إن ابن الحمّاص أعقلُ الناس ، وأحرَمُ السس ، وإنه هو الذي ألهم الخال
بين المعتصدين وبين تخاروته بر أحمد بن طوب ، وسمر بينهما سيرة عجبية ، وبلغ من
الجهتين أحسن مَبْلَغَ ؛ وَخَطَبَ قَطْرَ اسْدَى ست تخاروته للمعتصدين ، وحمّرها من مصر

على أجمل وجه وأعلى ترتيب ، وكذا كان يقصد أن يتناقل ويتجاهل ويُظهر البهله
والنقص ، يسبق بذلك ماله ، ويحرُس به رِعْمَتَه ، ويدفع عنه عين الكمال ،
وحسد الأعداء .

قال أبو حيان : قلت لأبي عثمان النضري : أطن ما قاله هؤلاء صحبنا ، فإن العتيد
مع حرمة وعقبة وكأله وإصابة رأيه ما احتاره للسماحة والصلح إلا والرحوُ منه فيما يأتيه
ويستقبله من أياته نظير ما قد شوهد منه فيما مضى من زمانه ؛ وهل كان يجوز أن يصلح
أمر قد تعاقم فاداه وتعاطم واشتد رغبة الحق ، وسيرة أحرَق ! فقال أبو عثمان :
إن الحد يسع حال الأحرى ، ويستريح الأحمق ، ويدب عن عرص التطلع ، ويقرب
الصواب منطه ، والصحة رأيه ، وسحاح نسيمه ؛ والحد يستخدم المقلاء لصاحبه ،
ونستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالبته ، وابن الأخت من على منيل وروى وحدث وحكى ،
ولكن حده كماء طائفة الخلق ، ونحوه قلوب الخلق ، ولو عرفت حنط العامل ونسبه
وسوء نأية وأنقطاعه إذا طرعه الحد ، لعلم أن الجاهل قد يصيب بحمده مالا يُصيب
العالم يعلمه مع جرثومته .

قال أبو حيان : قلت له : في الحد ؟ وما هذا المعنى الذي علق عليه هذه الأحكام^(١)
كلها ؟ فقال : ليس لي عنه عبارة معينة ، ولكن لي به علم شافٍ ، استعدته للاعتبار
والتحذير والسمع المربص من الصبر وسكبر ، ولهذا^(٢) جميع من امرأة من الأغراب
ترعى أبنا لها فنقول له : رزقك الله حداً يحمدك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً
تخدم به ذوى الجذود .

(١) د : « الأحوال » . (٢) أ : « وقد سمع » .

(٥٠)

الأصل :

أُولَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُتُورِ .

البرزخ :

قد تقدم لنا قول مُقْبِعِ فِي الْعَفْوِ وَالْحِلْمِ .

وقال الأحمق : ما شئ أشد اتصالاً بشئ من الحِلْمِ ماير .

وقالت الحكماء : يسمى للإنسان إذا عاقب من يستحق العقوبة ، ألا يكون سُمّاً في
أُتَمَامِهِ ، وألا يعاقب حتى يرول سلطان غصنه ، ثلثاً يُبَدِّمُ عَلَى مَا لَا يَحُورُ ، ولذلك حُرِّتْ
سُوءُ السُّلْطَانِ مَحْتَسِ الْمَحْرَمِ حَتَّى يَنْطَرُقَ فِي حُرْمِهِ ، وَيُؤَيِّدَ التَّطَرُّفَ فِيهِ .

وَأَمَّا الْإِسْكَندَرُ عُذِيبٌ مَصَّحَ عَنْهُ ؛ فَذَلِكَ نَدَى حَسَانِهِ : لَوْ كُنْتُ أَبَاكَ أَتَيْتُهَا الْمَلِكُ
لَقَتَلْتُهُ ؛ قَالَ : فَإِذَا لَمْ تَكُنْ أَبَايَ وَلَا كُنْتُ أَبَاكَ لَمْ يُقْتَلْ .

وَانْتَهَى إِلَيْهِ أَنْ بَعْضَ أَصْحَابِهِ يَمِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْبَاهَا الْمَلِكُ ، لَوْ تَهَكَّكْتَ عَقُوبَةً ! فَقَالَ :
يَكُونُ حِينَئِذٍ أَبْسَطَ لِسَاناً وَعُدْرَانِي احتجابي .

وقالت الحكماء أيضاً : لَذَّةُ مَغْفِرِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ النَّشْفَى وَالْإِنْتِقَامِ ، لِأَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ
يَشْفَعُهَا حَمِيدُ الْعَاقِبَةِ ، وَلَذَّةُ الْإِنْتِقَامِ يَدْخَفُهَا أَلَمُ الدَّمِ . وقالوا : العقوبة الأُمُّ حَالَاتِ ذِي
الْقُدْرَةِ وَأَذَانُهَا ، وَهِيَ طَرَفٌ مِنَ الْحَرَعِ ، وَمَنْ رَصِيَ أَلَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّالِمِ إِلَّا سِتْرٌ
دَقِيقٌ فَلْيَتَتَّصِفْ .

(٥١)

الأفضل :

السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً ، فَإِذَا كَانَ عَنْ مَأْنَى فَحْيَاءٍ وَتَدَهُمَّ .

البشرح :

يُصَيِّرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ حَيَّوْسَ :

إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْكِرَامِ فَلَمْ يُجِبْ مَلَأْتُكُمْ نَدَى أَحَابَ وَمَا دُرِي

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ أَجْمَعُ ~~أَشْكُرُ بَطِيءَ~~ عَنْ نَدَى الْمُسْرَمِ

وَقَالَ آخَرُ :

مَا اعْتَصَمَ بِإِدْلٍ وَحَمِهِ بِسْوَائِهِ عَوَّما وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسْوَائِهِ

وَإِذَا النَّوَالُ إِلَى السَّوَالِ قَرَنَتْهُ رَجَعَ السَّوَالُ وَحَفَّ كُلُّ نَوَالٍ

(٥٢)

الأصل :

لا غنى كالمقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميرات كالآدب ، ولا طهر كالشاور .

الشرح :

روى أبو العباس في " الكامل " عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : حسن من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع . العقل ، والدين ، والآدب ، والحياء ، وحسن الخلق .

وقال أيضا : لم يُقسم بين الناس شيء أمر من حسن : اليقين ، والقناعة ، والصبر ، والشكر ، والحامسة التي يكمل بها هذا كله العقل .

وعنه عليه السلام : أول ما خلق الله العقل ، قال له : أقبل ، فأقبل ؛ ثم قال له : أذر ، فأذبر ، فقال : ما خلقت خلقا أحب إلي منك ، لك الثواب ، وعليك العقاب .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله ليُبَيِّنُ الضعيف الذي لا ربر له ، قال : الربر : العقل .

وعنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما قسم الله للعباد أفصل من العقل ، فهو الماقل أفصل من مَهْرَ الجاهل ، ويطرُ الماقل أفصل من مَوْمَ الجاهل ، وإقامة الماقل أفصل من شخوص الجاهل ، وما نبت الله رسولا حتى يستكمل العقل ،

وحتى يكون عقله أفصل من عقول جميع أمته ، وما يُضمره في نفسه أفصل من اجتهد جميع
المُتهددين ، وما أذى العبد فرائض الله تعالى حتى عَقَلَ عنه ، ولا يُلَمِّعُ جميع العابدين في
عبادتهم ما يُلَمِّعُه أعاقل ، واستغلاء هم أولو الأسباب ، الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَمَا
يَذْكُرُوا إِلَّا أُولَؤُلَآءِ الْأَلْبَابِ ﴾ .

قال أبو العباس : وقال رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام له وقد سمعته يقول ،
بل يروى ^(١) مرفوعاً : إذا بلغكم عن رجلٍ حسن الحال فاطربوا في حُسن عقله ،
فإنما يُحَاذِي بعقله . يابن رسول الله ، إن لي حارا كثير الصدقة ، كثير الصلاة ،
كثير الحج ، لا شئ به أفقر . كيف عقله ؟ فقال ليس له عقل ؛ فقال : لا يرفع
مذاك منه .

وعنه عليه السلام . ما نعت الله نبيا إلا عاقلا ، وبعض السبيح أرحح من بعض ،
وما استخلف داود سليمان عليه السلام حتى احتقر عقله ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،
فكث في ملكه ثلاثين سنة .

وعنه مرفوعاً : صديق كل امرئ عقله ، وعدوه حبه

وعنه مرفوعاً : إنا معاشر الأسياء بكلمة الناس على قدر عقولهم

قال أبو العباس : وسئل أبو عبد الله عليه السلام : ما العمل ؟ فقال : ما عُبِدَ به الرحمن ،
واكْتُسِبَ به الجنان .

قال : وقال أبو عبد الله : سُئِلَ الحسن بن عليٍّ عليه السلام عن العقل ، فقال : التحرُّع
للعصاة ، ومداومة الأعداء .

قلت : هذا كلامُ الحسن عليه السلام ، وأما أنقطع بذلك .

قال أبو العباس : وقال أبو عبد الله : العاقل لا يُحدث من يحافُ تكديبه ، ولا يسأل من يحافُ منعه ، ولا يثق بمن يحافُ عدوه ، ولا يرجو من لا يوثق برجائه .

قال أبو العباس : وروى عن أبي حمزة عليه السلام ، قال : كان موسى عليه السلام يُدنى رجلا من بني إسرائيل لطول سجوده ، وطول صمته ، فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا وهو معه ، فبينا هو يوما من الأيام إذ مرَّ على أرض مُعشبة تهنَّ ، فتأوَّه الرجلُ ، فقال له موسى : على ماذا تأوَّهتَ ؟ قال : تخبت أن يكون لى حمارٌ وأرطاه ^(١) ها هنا ، فأُكِّت موسى طويلاً بصَّره إلى الأرض اعتماها بما صمَّع منه ، وخطَّ عليه الوُحى ، فقال : ما الذى أسكرت من مقالة عدى ! إنما أحد عبادى على قدر ما آتيتهم .

قال أبو العباس : وروى عن على عليه السلام : هبط حراثيل عليه السلام على آدم عليه السلام ثلاث ليختار منها واحدة ويدع اثنتين ، وهى : العقل ، والحياء ، والدين ؛ فاختار العقل ، فقال حراثيل للحياء والدين : انصرفا ؛ فقالا : إنا أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، فقال : فتأسَّكا ! فآزَ ما كُنتَ

فأما قوله عليه السلام : « ولا مَرثَ كالأدب » فإنى قرأتُ فى حِكَمِ الفُرسِ عن برّ حُجْمَر : ماوردتْ الآماءُ أساءة شتاً فصل من الأدب ، لأنها إداورتْها الأدب اكفستْ بالأدب المال ، فإداورتْها المال بلا أدب أنتته بالجهل ، وقعدتْ صِفرا من المال والأدب .

قال بعض الحكماء : من أدب ولده صغيرا ، مُرَّته كُبرا .
وكان يقال : من أدب ولده أرعم حليده .
وكان يقال : ثلاثة لا عُرمة معهم : محاسة الرئب ، وحسن الأدب ، وكفُّ الأذى .

(١) د و أرطاه .

وكان يقال : عليكم بالأدب ، فإنه صاحب في السر ، ومؤنس في الوحدة ، وجمال في الحمل ، وسبب إلى طلب الحاجة .

وقال بزرجمهر : من أكثر أدبه أكثر شرفه وإن كل قبل وضيما ، وبعد صيته وإن كان حاملا ، وساد وإن كل عرييا ، وكثرت الحاجة إليه وإن كل مقلا .

وقال بعض الملوك لبعض ورائيه : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به ؛ قال : فإن عدمه ؟ قال : أدب يحتل به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : مال يستتر به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد .

وقيل لبعض الحكماء : متى يكون العلم ثرا من عدمه ؟ قال : إذا كثر الأدب ونقصت الفريجة - يعنى بالفريجة العقل .

فأما القول في المشورة فقد تقدم ، ودبها ذكرنا منه فبدأ فيها بعد .

(٥٤)

الأسئل :

أَلَمِىَ فِي الْقُرْبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ عُرَّةٌ .

البيِّنرُ :

قد تقدم لنا قولُ مُنَنِّعٍ فِي الْفَقْرِ وَالْمِىَ وَمَدَحِهِمَا وَدَتُّهُمَا عَلَى عَادَتَسَا فِي ذِكْرِ الشَّيْءِ وَتَقْيِضِهِ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ .

قال رجلٌ لسقراط ^(١) : مَا أَشَدَّ فَرْكَ أَتَيْهَا الْحُكْمُ ؟ قال : لَوْ عَرَفْتَ رَاحَةَ الْفَقْرِ لَشَعَلْتَ النَّوْخَ لِمَسِكَ عَنِ التَّوَحُّعِ لِي ؛ الْفَقْرُ مَبْلَكٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مُحَاسَنَةٌ .

وكان يقال : أَضْعَفُ النَّاسِ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ الْمِىَ .

وفيل للسكندرِي : فَلَانٌ عِىٌّ ؛ ضَالٌ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَالًا ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ : أَعْنَى ؟ هُوَ أَمْ لَا ؟ الْأَنْبَى لَا أُدْرَى كَيْفَ يَعْمَلُ فِي مَالِهِ !

فيل لابن عمر : تَوَقَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَتَرَكَ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، قَالَ : هُوَ تَرَكَهَا لِكُنْهَا لَمْ تَرَكَه .

وقالوا : حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ الْفَقْرِ أَنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا يَعْصِي اللَّهَ لِيَفْتَقِرَ ؛ أَحَدُهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

يَا غَائِبُ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَحِرُ عَيْبُ الْمِىَ أَكْرُ لَوْ تَمْتَرُ

إِنَّكَ تَعْصِي اللَّهَ تَخِي الْمِىَ وَلَيْسَ نَعْصِي اللَّهَ كِي تَفْتَقِرُ

وكان يقال : الْحَلَالُ يَقْطُرُ ، وَالْحَرَامُ يَسِيلُ .

وقال بعض الحكماء : ألا تَرَوْنَ دَا بَعْنَى مَا أَدْوَمَ لَصَّه ، وَأَقْلَ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَ
مِنْ مَالِهِ حِطَّةً ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حِدْرَهُ ، وَأَعْرَى الدَّهْرَ بِنَقْصِهِ وَتَلْعَهُ ! ثُمَّ هُوَ بَيْنَ سُلْطَانٍ
يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقٍ تَسْتَرْعِيهِ ، وَأَكْمَاهُ يُبَايِسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يُوَدُّونَ مَوْتَهُ ، قَدْ نَمَتْ الْغَنَى عَلَيْهِ
مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَاقِبَةِ ، وَمِنْ أَكْمَائِهِ الْخَسَدِ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْغَمِّ ، وَمِنْ دَوَى الْحَقُوقِ الْقَدَمِ ،
وَمِنْ الْوَلَدِ الْمَلَالَةِ وَتَعَمَّى الْفَقْدُ ، لَا كَدِي الْبُئْسَةُ قَمَعَ عِدَامَ لَهُ السُّرُورُ ، وَرَقَصَ الدُّنْيَا
فَسِيمَ مِنَ الْخَسَدِ ، وَرَغِي بِالْكَفَافِ فَكُنِيَ الْحَقُوقِ .

(٥٥)

الأصل :

القَسَاعَةُ مَالٌ لَا يَمُودُ .

قال الرضى رحمه الله تعالى : وقد روى هذا الكلام عن النبی صلى الله عليه وآله :

الْبَنُخُ :

قد ذكرنا ما سكتنا جلية الوقع في القساعة بما تقدم ونذكرها هنا زيادة على ذلك .
من كلام الحكماء : قاوم المقر بالقساعة ، وقاهر ايسى بالشفف ، وطاول غناء الحاسد
بحسن المئتمع ، وغالب الموت بالذكر الجليل .
وكان يقال : الناس رجلان واحد لا يكتفى ، وطالب لا يجد ، أحده الشاعر
فقال :

وما الناس إلا واحد غير قانع بأرراقه أو طالب غير واجد

قال رجل لبقرط^(١) وراه يأكل الثوب^(٢) : لو حسنت الملك لم تفتح إلى أن
تأكل الحشيش ، فقال له : وأنت إن أكلت الحشيش لم تفتح أن تخدم الملك !

(٥٦)

الأفضل :

المال مادة الشهوات .

الشيخ :

قد تقدم لنا كلام في المال مدحا ودمنا .

وقال أعرابي لبيبي : اجعوا الدرهم فإنيها نفس اليلفق ، ونظيم الخردق ^(١) .

وقال أعرابي وقد نظر إلى دينار : قاتلك الله ! ما أصغر قمتك ، وأكبر همتك !

ومن كلام الحكماء : ما اخترت أن ~~تكون~~ ^{تكون} ~~دولة~~ ^{دولة} .

سئل أفلاطون عن المال ، فقال : ما أقول في شيء يُعطيه الخط ويحفظه اللؤم ،

ويبلغه الكرم !

وكان يقال : ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم : تاجر السخر ، والمغازل بالأجرة ، والمرثي

في الحكم ، وهو شرهم ؛ لأن الأولين رتعا سيما ، ولا سلامة لثالث من الإثم .

ثم قالوا : وقد سمي الله تعالى المال حراما في قوله : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ^(٢) ، وفي قوله :

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٣) .

كان عبد الرحمن بن عوف يقول : حُب المال ، أصون به عرضي ، وأقرضه ربي

(١) اللفق : الفاء المحشو ؛ وهو الفارسية : « بهه » والجردن : الرعب ؛ فارسية أيضا .

(٢) سورة القرة ١٨٠ . (٣) سورة الحديد ٨ .

فِيصَاعَفَهُ لِي . وَقَالُوا فِي حَمِّ الْمَالِ : الْمَالُ مِثْلُ الْمَاءِ عَادٍ وَرَائِحٌ ، طَبِئُهُ كَطَلْعِ الصَّبِيِّ لَا يُؤَاتِي
عَلَى سَبَبٍ رِصَاءَ وَلَا سُحُطَهُ . الْمَالُ لَا يَسْمَعُكَ مَا لَمْ تُفَارِقْهُ .

وفيه قال الشاعر :

وَمُصَاحِبٌ صِدْقٍ لَيْسَ يَسْمَعُ قَرْنَهُ وَلَا وُدُّهُ حَتَّى تُفَارِقْهُ عَمْدًا
وَأُخِذَ هَذَا الْمَعْنَى الْحَرِيرِيُّ فَقَالَ :

وَلَيْسَ يُبْنَى عَنْكَ فِي الْأَصَارِقِ إِلَّا إِذَا قَرَّ مِرْكَازُ الْآبِقِ
وقال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يُهْلِكُ رَبَّهُ إِذَا حَمَّ آتِيهِ وَسُدَّ طَرِيقُهُ
وَمَنْ حَاورَ النَّخْرَ الْمَرَّ بِهَضْمَةٍ وَسَدَّ طَرِيقَ الْمَاءِ هُوَ عَرِيقُهُ

(٥٧)

الأضل :

مَنْ حَدَرَكَ ، كَمَنْ تَشْرَكَ .

الْبَشْرُ :

هذا مثل قولهم : اتبع أمرَ مكبانك ، لا أمرَ مضحكانك^(١) . ومثله : مدبفك من نهالك ، لا من أعراك . ومثله : رَحِمَ الله امرأً أهدى إلى عيوبى .

والتحذير هو النصيح ، والنصح واحد ، وهو معرفُ الإنسان ما فيه صلاحه ، ودفع المضرّة عنه ، وقد جاء في الخبر الصحيح **« أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم »** ، وقيل : يارسول الله ، لمن ؟ فقال : « لعامة المسلمين » . وأوّل ما يحب على الإنسان أن يُحدّر نفسه ويَبصَحها ، من عَشَّ نفسه فقلما يُحدّر غيره ويَبصَحه ، وحق من أَسْنُصَح أن يَبْدُل عاية النُصيح ولو كان في أمرٍ بصراً ، وإلى ذلك وقعت الإشارة في الكتاب مرّين بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَوْ أَنَّ أَهْلَ أَنْفُسِكُمْ^(٢) ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾^(٣) .

ومعنى قوله عليه السلام « كمن تشرك » أى يدعى لك أن تُسرَّ تتصديره لك ، كما تُسرَّ لو بشرتك بأمرٍ تحبه ، وأن تشكره على ذلك كما تشكره لو بشرتك بأمرٍ تحبه ، لأنه لو لم يكن يُريدُك الخير لما حدَرَكَ من الوقوع في الشر .

(١) المبدأ ١ : ٣٠ ، وانظر هناك : « أمر مكبانك لا أمر مضحكانك » .

(٢) سورة النساء ١٣٥ . (٣) سورة الأعداء ١٥٢ .

(٥٨)

الأصل :

اللِّسَانُ سَمِعَ ، إِنْ خُلِيَ قَبْلَهُ عَقَرَ .

البُزْجُ

قد تقدم لنا كلام طويل في هذا المعنى

وكأن يقال : إن كان في الكلام ذلك فهو الصمت عامة .

وقالت الحكماء : النطق أشرف ما حصَّ به الإنسان ، لأنه صورته المفعولة التي باين بها سائر الحيوانات ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(١) ، ولم يقل : « وعلمه » ، قالوا لأنه سبحانه حدل قوله : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ تفسيراً لقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ؛ لا عطفاً عليه ؛ نسباً على أن خفنه له وتخصيصه «البيان» الذي لو توهم مرتين لارتفعت إنسانيته ؛ ولذلك قيل : ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مَهْمَلَةٌ ، أو صورة ممثلة .

وقال الشاعر :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم^(٢)

قالوا : والصمت من حيث هو صمتٌ مَدْمُومٌ ، وهو من صفات الحمادات ، فصلاً

(١) سورة الرحمن ٤، ٣ .

(٢) ينسب لرهير ، من مملته بشرح الزورنى ٩٤ .

عن الحيوانات ، وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من السُّلَمَاءِ في مَدْحِ الصَّمْتِ
محمول على مَنْ يسمي الكلامَ فيقعُ منه رَحَبَاتٌ عظيمةٌ في أمور الدين والدنيا ،
كما رُوي في الخبر : إنَّ الإنسانَ إذا أصبحَ قالت أَعْصَاؤُهُ لِسَانَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ،
فإنَّكَ إن استَقَمْتَ نَجَوْنَا ، وإن زُعْتَ هَكُنَّا ، ، فأما إذا اعتَرى النُّطْقُ والصَّمْتُ
بدانئيهما فقط ، فمُحَالٌ أن يقال في الصمتِ فصلٌ ، فصلاً عن أن يخايرَ ويقايسَ بينه
وبين الكلام .

(٥٩)

الأصل :

امْرَأَةٌ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّسَّةِ .

البنخ :

اللِّسَّةُ : اللِّسَّةُ ، لَسَّتَهُ العَقْرَبُ ما فُتِحَ ، لَسَعَتْهُ وَلَيْتَ اَصِلَ بالكسر ، اَي لَمَسَتْهُ .

وقيل لِسُقْرَاطَ : اَي السَّمْعُ احْمَرُ ؟ قال : المرء

ونظرَ حَكَمٌ إِلَى امْرَأَةٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى شَجَرَةٍ ، فقال : لَيْتَ كُلَّ شَجَرَةٍ تَحْمِلُ بِمِثْلِ هَذِهِ الثَّمَرَةِ .

صارت نسقراط امرأة وهي بنشوف^(١) ، فقالت : يا شَيْخَ ، مَا أَفْضَحَكَ ؟ فقال : لَوْلَا أَنَّكَ مِنَ الرِّبَا الصَّدِئَةِ لَعَمَسَنِي مَنَافٍ مِنْ فُتْحِ صُورَتِي فَيْكِ .

ورأى بعضهم مؤدًا يعلم حارة الكلبة ، فقال : لَا تُرِدِ الشَّرَّ شَرًّا ، إِنَّمَا نَسَقِي سَهْمًا سَهْمًا لَتَرِي بِهِ يَوْمًا مَا .

ورأى بعضهم حاريةً تحمل دُرًا ، فقال : مَارٌّ عَلَى نَارٍ ، وَالْحَمْلُ شَرٌّ مِنَ الْحَمُولِ . وَتَرَوُّحَ بَعْضِهِمْ امْرَأَةً بَحِيمةً ، فَنِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فقال : احْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَفْنَهُ

كُتِبَ فَيَسُوفُ عَلَى نَاهٍ : مَا دَخَلَ هَذَا الْمَرْءُ شَرٌّ قَطُّ ، فقال له بعضهم : اكْتُبْ : « إِلَّا الْمَرَأَةُ » .

(١) د : « انصرف » .

ورأى بعضهم امرأة عريضة في الداء ، فقال : رادت الكدر كدراً ، والشر بالشر
يهلك .

وفي الحديث المرفوع : استعيذوا بالله من شرار النساء ، وكونوا من خيرهن
على حذر .

وفي كلام الحكماء : اعص هوائك والنساء ، وامل ما شئت .
دعا بعضهم لصاحبه ، فقال : أمت الله عدوك ؟ فقال : لو قت : زوج الله عدوك .
لكان أبلغ في الانتقام !

ومن الكذبات المشهورة عنهن : « سلاح بلقيس »
وفي الحديث المرفوع : « إنهن يامضات قتل ودين » .
وقد تقدم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب ما هو شرح ويصاح
لهذا المعنى .

وحاء في الحديث أيضاً : « شاوروهن وخالفوهن » .
وفي الحديث أيضاً : « اساء جبال الشيطان »
وفي الحديث أيضاً : « ما تركت بعدى فتنة أصراً من النساء على الرجال » .
وفي الحديث أيضاً : « المرأة صانع عوآء إن داريتها استمتعت بها ، وإن رمت
تقويمها كسرتها » وقال الشاعر في هذا المعنى :

هي الضلع العوّاء لست تقيمها ألا إن تقويم الصلوع اكسارها
أبحمن ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عحيماً صعباً واقتدارها ؟
ومن كلام بعض الحكماء : ليس ينبغي للمسلم أن يمدح امرأة ، لا بعد موتها .
وفي الأمثال : لا تحمد أمة عام شرائها ، ولا حرة عام بنائها .

ومن كلام عبد الله المأمون : إني شر كل شيء ، وشر ما فيهن ألا عني عنهن .
وقال بعض السلف : إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان ، لأن الله تعالى ذكر
الشيطان ، فقال : ﴿ إن كيد الشيطان كل ضعيف ^(١) ﴾ .

وذكر النساء فقال : ﴿ إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم ^(٢) ﴾ .

وكان يقال : من الفواقر امرأة سوء إن حصرتها لتتث ، وإن غت عنها لم تأمنها .
وقال حكيم : أصر الأشياء مالم والفس والدي والمقل والمصر شدة الإغرام بالنساء ؛
ومن أعظم ما يتلى به المرم بهن أنه لا يقتصر على ما عنده منهن ولو كن ألفا ، ويطمح
إلى ما ليس له منهن .

وقال بعض الحكماء : من يحمي مساوي النساء ! اجتماع فيهن نكاحة الخيض
والاستحاضة ، ودم القاس ، ونقص العقل وليس ، وترك الصوم والصلاة في كثير من أيام
العمر ، ليست عيبن جماعة ولا جمعه ، ولا يسلم عليهن ، ولا يكون منهن إمام ولا قاس
ولا أمير ولا يسافرن إلا برأي .

وكان يقال : ما بهيت امرأة عن امرئ إلا الله .

وفي هذا المعنى يقول طهيل الموى :

إن النساء كأشجار نبت معاً هن المرار وبعض المر ما كؤل
إن النساء متى يشهيق عن حافر منه واجب لا بد مفعول

(٦٠)

الأصل :

إِذَا حُيِّتَ بِتَحِيَّةٍ فَصَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافَتْهَا بِمَا يُرَى عَلَيْهَا ، وَالْفَعْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلنَّادِي .

• • •

الشرح :

اللفظة الأولى من القرآن^(١) المرير ، والجمالية تضمن معنى مشهورا .

وقوله : « وَالْفَعْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلنَّادِي » ، يقال في الكرم والحث على فعل الخير .

وروى الدائني ، قال : قدم على أسد بن عبد الله القشيري محراسان رجل ، فدخل مع الناس ، فقال أصح الله الأمير ! إن لي عندك يدا ، قال : وما يدك ؟ قال : أخذت بركابك يسوم كذا قال : صدقت ؛ حاجتك ؛ قال : توتيتي أيبورد ؛ قال : لم ؟ قال : لأكتب مائة ألف درهم ؛ قال : فإنا قد أمرنا لك بها الساعة ، ففكون قد بدعناك ما تحب ، وأفررتنا صاحبنا على حكمه ، قال : أصح الله الأمير ! إنك لم تنص دماي ؛ قال : ولم ؛ وقد أعطيتك ما أمت ؛ قال : فإن الإمارة ؟ وابن حُب الأمير والنهي ! قال : قد وليتكم أيبورد ، وسوغتُ لك ما أمرتُك به ، وأعطيتُك من المحاسبة إن صرفتُك عنها ؛ قال : ولم تنص رمي عنها ولا يكون تصرف إلا من عجز أو حيانة ،

(١) وهو قوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَبُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ﴾

وأنا بريء منهما ؟ قال : اذهب فأنت أميرها ما دمت لنا خراسان ؟ فلم يرَ ل أميراً على أبيورد حتى عزل أسد .

قال المدائني : وجاء رجلٌ إلى نصر بن سيار يدكر قرابة^(١) ، قال : وما قرابتك ؟ قال : ولدتي وإيتاك فلاة ! قال نصر : قرابة عورة ، قال : إن العورة كالشن البالي ، يرقمه أهله فينتفحون به ؟ قال : حاشتك ؛ قال : مائة مائة لا يح ، ومائة مائة رتي - أي معها أولادها - قال : أما السماح فحدها ، وأنت أسوق مأمراً لك بأعمالها .

وروى الشعبي ، قال : حصرت محسن رباد وحصره رجلٌ فقال : آت بها الأمير ، إن لي حرمة أفاد كرها ؟ قال : هاتيها ، قال : رأيتك باطائف وأنت عليم ذو دؤابة ، وقد أحاطت بك جماعة من العلمان ، وأنت تر كمن هذا مرة يرخيك ، وتطرح هذا مرة برأسك ، وتسكدم مرة بأبياتك ، فكأنوا مرة يفلحون عليك ، وهذه حالهم ؟ ومرة يبدون عنك وأنت تدغمهم ، حتى كاثروك واستقروا عليك ، يمحش حتى أخرجتكم من بينهم وأنت سليم وكلهم حريم ؟ قال : صدقت ، أنت ذاك الرجل ؟ قال : أنا ذاك ، قال : حاشتك ، قال : أئتمني عن القلب ؟ قل : يا علام ، أعطيه كل صفراء وتيناء عندك ، فطر هذا قيمة كل ما يملك ذلك اليوم من الذهب والنصاة أرملة وحسون ألف درهم . فأحدها وأصرف ، ففيل له بعد ذلك : أنت رأيت ربادا وهو علام بذلك الحال ؟ قال : إي والله ، لقد رأيتُه وقد أكتنعه صبيان صغيرا كأنهما من سيخالي المير ، فلولا أني أدركته لطمت أهما يأتیان على نفسه .

وجاء رجلٌ إلى معاوية وهو في محاسن الناقة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي حرمة^(٢) ، قال : وما هي ؟ قال : دوت من ركابك يوم صميم ، وقد فرت فرسك لتفر ، وأهل

(١) د : « قرابته » .

(٢) د : « حرمة وصفا » .

العراق قد رأوا الفتح والطهر ، فقلتُ لك : والله لو كانت ههنا بيتُ عُتبة مكانك ما فررت
ولا اختارت إلا أن تموت كرمعة أو تعيشَ حيدة ، أين تفرّ وقد قلدتك العربُ
أرمة أمورها ، وأعطتكَ فيسادَ أعينها ! فقلتُ لي : احبض صوتك لا أمّ لك !
ثم تماسكتُ وثُنتَ وثابتَ إليك حاتمك ، وتمثّلتَ حينئذٍ بشعرٍ أحفظ منه :
وقولي كلما حشأتُ وحلثتُ مكانك تُحمدي أو تترجي^(١)
فقال معاوية : صدقت ، وددتُ أنك الآن أيما حصتَ من صوتك ؛ يا غلام أعطه
حسين ألف درهم ، فلو كنتَ أحسنتَ في الأدب لأحسنّا لك في الزيادة .

(١) لابن الإطانة ، الكامل ٤ : ٦٨ ، وقوله

أُبتُ لي عِقِّي وَأَبَى تَلَايُ وأحدي الحمد بالثمن الرّيح
وإحشاي على المكروه نفسي وضرّني هامة البطل الشّيح

(٦١)

الأصل :

الشفيعُ حَاحُ الطَّالِبِ .

البنخ :

حاء صلى المحدث مرفوعاً . « اشعوا ، إلى تَوَاحَرُوا ، وَبَقِضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ مِيه
ما شاء » .

وعال : المأمور لأبراهيم بن المهدي لما عسعته : إن أعظمَ يداً عبدك من عَفْوِي عَنكَ
أَنْ لَمْ أَحْرِعَكَ مَرَّةً اِمْتِنَانِ الشافعي
ومن كلام قابوس بن وشمكير : برئ شفيح نورى بارُ المَجَاح ، ومن كَفَّ المَبيص
يُنْتَظَرُ فَوْزُ القِدَاح .

قال البرد : أَنَانِي رَجُلٌ يَسْتَشِيرُ بِي فِي حَاجَةٍ ، فَأَشَدُّنِي لِنَفْسِهِ :
إِنِّي قَصَدْتُكَ لَا أَذِلِّي بِعَرْمَةٍ وَلَا بَقْرَى ، وَلَكِنْ قَدَفَشْتُ نِقْمَكَ
فَتُ حَيْرَانٌ مَكْرُوبٌ يُوْرُقِنِي دُلُّ الْغَرِيبِ وَبِمُشِيئِي الْكَرَى كَرَمَكَ
وَلَوْ هَمَمْتُ بِغَيْرِ الْغُرَى مَا عَدِمْتُ هَذَا بَدَاكَ وَلَا أَفَادَتْ لَهْ شَيْمَكَ
مَا زِلْتُ أَكْبُحَتِي دُلِزْتُ قَدَمِي فَاحْتَنَنْ لَتَشْبِيهَا لَا زُلِزْتُ قَدَمَكَ
قال : فَشَعْتُ لَهُ وَقْتُ بَأْمَرِهِ حَتَّى بَلَمْتُ لَهُ مَا أَحَبَّ .

بُرُزْ جِيهَر : مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ نَفْسِهِ عَنْ شَفِيمِهِ وَوَسَائِلِهِ وَهَتْ قُوَى أَسْبَابِهِ ؛ وَكُلَّ إِلَى

الحرمان أقرب منه إلى بلوغ المراد، ومثله : من لم يرب أوداؤه في احتسابه لم يحفظ بمذبح شعائته . ومثله : إذا زرت الملوك فإن حسبي شعيبا عندهم أن يعرفوني .

كأن الأصف مصعب بن اريير في قوم حبسهم ، فقال : أصلح الله الأمير ! إن كان هؤلاء حسوا في باطل فالحق بجرحهم ، وإن كانوا حسوا في حق فالتعويض لهم ، فأمر بإخراجهم .

آخر :

إذا أت لم تقطعك إلا شعاعة^(١) فلا خير في ودّ يكون شافع
 حرج العطاء في أيام المصور ، وأقام شقراي - من ولد شقراي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله - يابا أبا لا يصل إليه عطاؤه ؛ فخرج حمير بن محمد من عند المصور ، فقام الشقراي إليه ، فذكر له حاجته ، فرحب به ، ثم دخل تابيا إلى المصور ، وخرج وعطاه شقراي في كفه قصته في كفه ثم قال : يا شقراي ، إن الحسن من كل أحد حسن ، وإنه منك أحسن لكانك منا ، وإن القبيح من كل أحد قبيح ، وهو منك أفحج لكانك منا . فاستحسن الناس ما قاله ، وذلك لأن الشقراي كان صاحب شراب . قالوا : فاطر كيف أحسن السمي في استنحار طليته ، وكيف رحب به وأكرمه مع معرفته بحاله ، وكيف وقطعه ونهاه عن السكر على وجه التعريض ! قال الزمخشري : وما هو إلا من أخلاق الأسياء .

كتب سعيد بن حميد شعاعة لرحل : كتابي هذا كتاب معلن بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ، ولن يضيع حليله بين الثقة والمنايا إن شاء الله .
 أبو الطيب :

إذا عرّضت حاجّ إليه فنفسه إلى نفسه فيها شيع مشع^(٢)

[محمد بن جعفر والمنصور]

كان المنصورُ مُعَصِّيًا بِمُحَادَاثَةِ مُحَمَّدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَتَّاسِ ، وَكَانَ الدَّاسُ لِعَظَمِ قَدْرِهِ عِنْدَ الْمَنْصُورِ يَمْرَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّعَاعَاتِ وَقِصَاءِ الْحَاجَاتِ ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَتَحَبَّبَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ تَذَمُّعَتْهُ نَفْسُهُ ، حَدَّثَ الرَّبِيعَ بِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَا صَبْرَ لِي بِهِ لَكُنِّي قَدْ دَكَّرْتُ شُعَاعَاتِهِ ، فَقَالَ الرَّبِيعُ : أَمَا أَشْرَطَ إِلَّا يَعُودَ ، فَكَلَّمَهُ الرَّبِيعُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَكُنْتُ أَتَمَامًا لَا شُعْمَ ، ثُمَّ وَقَفَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَبْرَهُمْ بَرَفَاعٍ وَهُوَ يَرِيدُ دَارَ الْمَنْصُورِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ بِرَفَاعِهِمْ ، فَصَحَّ عَلَيْهِمُ الْقَصَّةُ ، فَصَرَخُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : أَمَا إِذَا أَنْتُمْ قَوْلُ الْمُدْرِ فَإِنِّي لَا أَقْبِضُهَا مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ خَدِّمُوا لَهَا حَمَلَهَا فِي كُنِّي ، فَدَفَعَهَا فِي كُنَّهِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ وَهُوَ فِي الْخَصْرَاءِ تُشْرِيفَ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا حَوْلَهَا بَيْنَ النَّسَائِينَ وَالصِّيَاحِ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا ؟ قَالَ : بَلَى يَا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا آتَاكَ ، وَهَذَاكَ بِإِعْطَائِهِ عَيْتُكَ بِهَا أَعْصَاكَ ! فَمَا بَلَّتَ الدَّرْبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا الْعَهْمُ فِي سَالِبِ الْأَيَّامِ ؛ أَحْصَى وَلَا أَحْصَى مِنْ مَدِينَتِكَ ، وَلَكِنْ سَمَّجَتْهَا فِي عَيْنِي حَمَلَةٌ ، قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : بَلَى لِي فِيهَا مَنِيْعَةٌ ، فَصَحَّحْتُكَ وَقَالَ : نَحْمِسُهَا فِي عَيْنِكَ ، ثَلَاثُ صِيَاحٍ قَدْ أَقْطَعْتُكَهَا ، فَقَالَ : أَيْتُ اللَّهُ يَا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ ، كَرِيمُ الْمَصَادِرِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ بَاقِيَ عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا سِيبُهُ ، وَجَعَلَ الرِّقَاعُ تَسْدُرُ مِنْ كُنْيَتِهِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ وَحَطَابِهِ لِلْمَنْصُورِ ، وَهُوَ بَلَّتِيْعٌ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَرِحْنِي حَاسَاتٍ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى حَدِيثِهِ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا هَذِهِ تَحَقَّى عَلَيْكَ ؟ أَلَا أَعْطَيْتَنِي حَرَّهَا ! فَأَعْلَمَهُ ، فَصَحَّحْتُكَ فَقَالَ : آيَّتُ يَا بَنِيَّ مَعْلَمُ الْخَيْرِ إِلَّا كَرَّمَا ! ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَانًا كَمُلْتُ يوماً على الأحبابِ تَكَلُّمٌ^(١)
تَنَبَّيْ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَنَبَّيْ وَتَقَلِّ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ أَخَذَهَا وَتَصَفَّحَهَا وَوَقَعَ فِيهَا كُلُّهَا بِمَا طَلَبَ أَحْسَانُهَا .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْفَرٍ : نَفَرَحْتُ مِنْ عَمْدِهِ وَفَدَّرَ بَحْتُ وَأَرْسَحْتُ .

قَالَ الْمُرْتَدُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَفَافٍ : أَا تُشْفَعُ إِلَيْكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي أَمْرِ فُلَانٍ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ ، وَبِأَعْمَلٍ فِي أَمْرِهِ كَدَاءٌ ، إِنْ كَانَ مِنْ نَفْسٍ فَعَلَى ، وَمَا كَانَ مِنْ رِيَادَةٍ فَلَهُ ؛ قَالَ الْمُرْتَدُّ : أَمْتُ . . أَطَالَ اللَّهُ مَقَامَكَ . كَمَا قَدْ رُهِيرَ :

وَحَارِ سَارَ مَعْتَمِدًا إِلَيْنَا أَعَاءَنَهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ^(٢)
صَمَّامَا لَهُ فَعَدَا سَنِيًّا عَيْنُ نَفْسِهِ وَلَهُ السَّمَاءُ

وَقَالَ دِفْقِيلُ :

وَإِنْ أَمْرًا أَتَدْنَى إِلَيَّ تَشْفَعُ إِلَيْهِ وَبِرَّخُو الشُّكْرِ مَتَى لِأَحْسَنٍ^(٣)
شَعِيبُكَ يَا شُكْرَ الْخَوَانِعِ إِيَّاهُ يَصُوبُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَحْلِقُ

آخِرُ :

مَضَى رَمَى وَالنَّاسُ يَسْتَشْفَعُونَ بِي هَلْ لِي إِلَى بَيْتِ الْقَدَاةِ شَعِيبُ !
آخِرُ :

وَبَشْتُ لَيْلَى أُرْسَلَتْ بِشَاعِقَةٍ إِلَيَّ ، فَمَا تَقْسُ لَيْلَى شَعِيبُهَا^(٤)
أَا كَرَّمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فِتْنَتِي بِهِ الْخَاءُ ، أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيبُهَا !

(٢) ديوانه ٧٧ .

(١) دي : « كرمت »

(٤) للمجنون ، ديوانه ١٩٥ .

(٣) ديوانه ١١٢ .

آخر:

وَمَنْ يَكُنْ الْفَصْلُ بِيُحْيِي بْنِ خَالِدٍ شَيْئاً لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَنْحَحُ

آخر:

وَإِذَا أَمَرُوا أَسَدِي إِلَيْكَ صَلِيحَةً وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ:

وَعَطَاهُ غَيْرَكَ إِنْ بَدَلُ تَعْنِيَةً فِيهِ عَطَاؤُكَ

ابن الرومي:

يَبَامُ الَّذِي اسْتَعْمَاكَ فِي الْأَمْرِ إِيَّاهُ كَمِ الْعَوْدِ مِلَكَاتِكَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ هَالِكُ تَمَسُّوْهُ فِي يَدِي مَنْ ضَرَبَنِي
إِذَا أَبْقَطَ اللَّهْوُفَ مِثْلَكَ مَامَا وَخَرَّدَتِ اللَّحْلَى فَكَتَ حُسَامَا وَلِمَا لَكَ مِنْ هَزِيٍّ وَكَتَ كِهَامَا!

(٦٢)

الأصل :

أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُتَارُ بِهِمْ وَهُمْ رِيَامٌ .

الشُّنْخ :

هذا التشبيه واقع وهو صورة الحال لا بحال

وقد آتت بهذا المعنى في رسالة لي كتبت^(١) إلى بعض الأصدقاء نمرية ، قلت :
« ولو تأمل الناس أحوالهم^(١) ، ونشئوا ما بهم ، لندموا أن القيم منهم بوظفهم ،
والساكن إلى سكته ، أحسنهم يسرى به وهو لا يسرى ، وراكب بحر يحرق به
وهو لا يذرى » .

(١) : « وأحوالهم » .

(٦٣)

الأضل :

قَدْ الْأَحْيَةُ عُرْبَةٌ .

الشيخ :

مثلُ هذا قولُ الشاعر :

فَلَا تَحْسَبْ أَنَّ الْغَرِيبَ أَلْمَى نَأَى وَلَكِنْ مَنْ نَأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبٌ^(١)
وَمِثْلُهُ هُوَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْغَرِيبُ مَنْ بَسَّ لَهُ حَبِيبٌ » .

وقال الشاعر :

أُتِرَ الْمَرْءُ وَالِدَاهُ وَهِيَ بَيْنَ حِصْنَيْهِمَا الْحَيَاةُ يَطِيبُ^(٢)
وَإِذَا وَلَّىا عَنِ الْمَرْءِ يَوْمًا مَهْوً وَ النَّاسُ أَحْمَى غَرِيبُ^(٣)
وقال آخر :

إِذَا مَاضَى الْقَرْنُ الَّذِي كَسَتْ فِيهِمْ وَحُلَّتْ فِي قَرْيٍ فَامَتْ غَرِيبُ^(٤)

(١) نأى : بعد . (٢) الحصى : دوى الإبط إلى الكشح .

(٣) القرن : الجيل من الناس .

(٦٤)

الأصل :

فَوُتِ الْحَاجَّةُ أَهْوَى مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا .

• • •

الشرح :

قد سبق هذا المعنى ، ودكرنا كثيراً مما قيل فيه
وكان يقال : لا تطلبوا الخواص إلى ثلاثة . إلى عند بقول : الأمر إلى عيسى ،
وبلى رجل حديث أبيه ، وإلى تاجر به يخته أن يستريح في كل عشرين ديناراً
حتى واحدة^(١) .

(٦٥)

الأصل :

لَا تَسْتَحِرَّ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَهْلٌ مِنْهُ .

الشرح :

هذا نوعٌ من ألحاح على الإصـال وأجود لطيف ، وقد استعمل كثيراً في الهدية والاعتذار لبقائها ؛ وقد نعدم مما هو لثاق في مدح السعـاء والحدود .

وكان يقال : أصـل على من شئت نكن أميره ، واحتج إلى من شئت نكن أسيره ، واستعن من شئت نكن بطيره .

وسئل أرسطو : هل من جود يستدع أن يُتناول به كلُّ أحد ؟ قال : نعم ، أن تنوي الخـر لكل أحد .

(٦٦)

الأصل :

الْعَفَافُ رِيَّةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِيَّةُ ابْنِي .

الْبَرْخ :

من الأبيات الشهورة :

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مَتَخَضِعًا وَتَحْمِلَ

وَمَنْ أَمْلَأَهُمُ الشَّهْوَةُ : « تَمَوَّعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بَنَدُيبَهَا »^(١) .

وأشد الأخصم لمصهم :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا شَيْئًا

أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْأَالِ مِنْ دُلَّةٍ

فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ تَكُنْ دَائِعِي

طَوْبِي لِمَنْ تُصْبِحُ مِيزَانُهُ

وَقَالَ لِمَصَّهُمْ : وَقَفْتُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ فِي أَسْمِهِ كِتَابٌ ؛ وَهُوَ يُبَشِّرُ :

وَأَكْرَمُ نَفْسٍ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ إِلَّا إِنَّ إِكْرَامَ السَّمُوسِ مِنَ الْعَقْلِ

(١) المدائني ١ : ٨١ ؛ قال : « أَيُّ لَا تَكُونُ ظَنًّا وَبِزَادِهَا الْحَوَاجَةُ - وَيُرْوَى « وَلَا تَأْكُلْ بَنَدُيبَهَا »

قال : « وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ سَيْلٍ الْأَسَدِيُّ » فِي حَدِّ مَعْرُوفٍ ذَكَرَهُ هُنَا .

(٢) ب : « مَبْطُأ » تَحْرِيف .

وَأَجْزَلُ بِالْفَضْلِ الْمُبِينِ عَلَى الْإِلَى رَأَيْتُهُمْ لَا يُكْرِمُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَمَا شَأْنِي كَنْسُ الْكَئِيفِ وَأَمَّا بَشِيرُ الْعَتَى أَنْ يَحْتَدِيَ مَائِلَ النَّذْلِ^(١)
وَأَصَحُّ مِمَّا بِي وَفَوْقِي مُؤَمَّلًا نَوَالٍ عَتَى مِثْلِي ، وَأَيُّ عَتَى مِثْلِي !
وَأَمَّا كَوْنُ الشُّكْرِ زِينَةً الْعَتَى ، فَقَدْ تَعَدَّمَتْ مِنَ الْقَوْلِ مَا هُوَ كَلْبِي .
وَكَارَ يُقَالُ : الْعِلْمُ بِعَمَلٍ قَوْلٌ بَاطِلٌ ، وَاسْمُهُ بِعَمَلٍ شُكْرٌ حَيْثُ عَاطِلٌ .

(١) النذل : المهترئ من الناس في جميع أحواله .

(٦٧)

الأصل :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ ، فَلَا تُسَلِّ كَيْفَ كُنْتَ !

التبنيح :

قد أجمع تفسير هذه الكلمة على جمعة من الدس ، وقالوا : اشهور في كلام الحكماء :
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ : « فَلَا تُسَلِّ كَيْفَ كُنْتَ » ! وَحَمَلُوا
مُرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ .

ومُرَادُهُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ هَلَّا تُبَيِّنُ بِذَلِكَ ، أَيْ لَا تَكْثُرُ بَعُوثَ مُرَادِكَ
وَلَا تَبْتَدِشَ بِالْخُرْمَانِ ، وَلَوْ وَقَفَ عَلَى هَذَا لَمْ يَكَلِّمْ وَكَمَّلَ الْمَعْنَى ، وَصَارَ هَذَا مِثْلَ
قَوْلِهِ : « فَلَا تُكْثِرْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا أَسَدًا » ، وَمِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى
مَا فَاتَكُمْ ﴾ (١) ؛ لَكِنَّهُ تَمَّ وَأَكْثَرَ فَقَالَ : « كَيْفَ كُنْتَ » ، أَيْ لَا تُبَيِّنُ بَعُوثَ مَا كُنْتَ
أَمَلْتَهُ ، وَلَا تَحْمِلْ لَدَاكَ هَذَا كَيْفَ كُنْتَ ، وَعَنِ أَيْ حَالِ كُنْتَ ، مِنْ حَسَنٍ أَوْ مُرْضٍ أَوْ
فَقْرٍ أَوْ فَقْدٍ حَبِيبٍ ؛ وَعَنِ الْجَلَّةِ ، لَا تُبَالِ الدَّهْرُ ، وَلَا تَكْثُرْ بِمَا يَمْكِسُ عَلَيْكَ مِنْ
عَرَضِكَ ، وَبِحَرَمِكَ مِنْ أَمْلِكَ ؛ وَلِيَكُنْ هَذَا الْإِهْوَانُ بِهِ وَالْأَحْتِقَارُ لَهُ مِمَّا نَعْتَمِدُهُ دَائِمًا
عَلَى أَيْ حَالِ أَفْضَى بِكَ الدَّهْرُ إِلَيْهَا . وَهَذَا وَاضِحٌ .

(٦٨)

الأضل :

لَا يُرَى الْخَاطِلُ إِلَّا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا .

الشنخ :

المدالة هي الخلق التوسط ، وهو محمود بين مذمومين ، فاشجاعة محمودة بالتهور والخس ، والدكاء بالعداوة والحريزة^(١) ، والجود بالسخة والتبذير ، والحلم بالجمادية والاستشاعة ، وعلى هذا كل ضد من الأخلاق بينهما خلق متوسط ، وهو السمي بالمدالة ، ولذلك لا يرى الخاطِلُ ، لا مفرطًا أو مفرطًا ، كصاحب العترة ، فهو إما أن يفرط فيها ، فيخرج عن القانون الصحيح فيمار لا يمن موح ، بل بالوهم وبالحيال والنوأس ، وإما أن يفرط فلا يبحث عن حال نسائه ولا يتألى ما صممن ، وكلا الأمرين مذموم ، والمحمود الاعتدال .

ومن كلام بعض الحكماء^(٢) : إذا صح العقل التخم^(٣) بالأدب كالتخام^(٤) الطعام بالحسد الصحيح ، وإذا مرص العقل به ما يستمع من الأدب كما يقبض المعود ما أكل من الطعام ، ولو أثر الخاطِلُ أن يعلم شيئاً من الأدب لتحول ذلك الأدب جهلاً ، كما يتحول ما حاط جوف الرئس من طيب الطعام داء .

(١) الحريزة : الحب والمكر . (٢) : « ومن كلام الحكماء » .

(٣) : « التأم » . (٤) : « كالتخام » .

(٦٩)

الأصل :

إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ قَصَّ الْكَلَامُ .

الشرح :

قد سبق القول في هذا المعنى .

وكان يقال : إِذَا رَأَيْتَ الرَّحْلَ ^(١) يَطِيلُ الْمَسَّةَ وَيَهْرُبُ مِنَ النَّاسِ ، فَاقْرُبُوا مِنْهُ
فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ .

الطويل المصمت

(١) : « رحلا » .

(٧٠)

الأضل .

الدَّهْرُ يُحَقِّقُ الْأَبْدَانَ ، وَيُحَدِّدُ الْأَمَل ، وَيُقَرِّبُ الْمَيَّةَ ، وَيُبَعِدُ الْأُمِّيَّةَ . مَنْ
ظَهَرَ بِهِ نَصَبٌ ، وَمَنْ فَاتَهُ نَيْبٌ .

الْبَزْخُ :

قد سبق لنا قول طويل عريض في ذكر الدهر والديا ، ونذكر الآن شيئاً آخر ، قال
بعض الحكماء : الدياسرَ لَتَعُرَ ، ويُعِيدُ لَتَكِيدُ ، كم واقتر في طلبها قد أيقظته ، ووائتق بها
قد حادته ، بهذا الخلق عُرِفَتْ ، وعلى هذا الشرط سُوجِيتْ .

وكتب الاسكندر إلى أرسطوطاليس : عيسى ، مكث إياه : إذا صفت لك
السلامة مجدّد ذكر المطب ، وإذا اطمئن بك الأمن فاستشعر الخوف ، وإذا بلغت
نهاية الأمل فادكر الموت ، وإذا أحست بسك فلا تحمل لها نصيباً في الإساءة ، وقال
شاعر فأحسن :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| كأنك لم تسمع فأحار من مضي | ولم تر بالباقيين ما صنع الدهر |
| فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم | فماها تحال الرّيح بمدك والقطر |
| وهل أبصرت عينك حياً تمرل | على الدهر إلا بأمرأ له قبر |
| فلا تحسبن الوقر مسالاً جمعه | ولكن ما قدمت من صالح وقر |

| | |
|---|--|
| مَصَى جَامِعُ الْأَمْوَالِ لَمْ يَتَرَوْدُوا | سَوَى الْفَقْرِ يَا بُؤْسَى لَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ ١ |
| مُحْتَمًا لَا تَصْحُوْهُ وَقَدْ قَرَبَ الْمَدَى | وَحَتَامَ لَا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ الشُّكْرُ ١ |
| بَلَى سَوْفَ تَصْحُوْهُ حِينَ يَنْكَسِبُ الْفِطَا | وَتَذَكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ |
| وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ الْمَتَى وَوَفَاتِهِ | إِذَا انْتَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ هُمْزٌ (١) |
| لَا الَّذِي يَأْتِيهِ شَيْءُ الَّذِي مَضَى | وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الصَّبِيْقُ الرَّزُّ |
| فَصِرْ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَجُورَهَا | فَعَمَّا قَلِيلٍ بِمَدَاهَا يُحْمَدُ الصَّبْرُ |

(٧١)

الأصل :

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَكَفَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ نَفْسَهُ قَبْلَ تَعْلِيمِ الْغَيْرِ ،
وَلَيْكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمُ النَّاسِ وَمُؤَدِّبُهُمَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ
مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ .

البيان :

الفروع تابعة للأصول ، فإذا كان الأصل معوجاً استحال أن يكون الفرع مستقيماً ،
كما قال صاحب المثل : « وهو يستقيم الطلُّ والفرود أعوج » ، فمن نصب نفسه للناس إماماً ،
ولم يكن قد علم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس ، كان مثل من نصب نفسه ليعلم الناس
الصياغة ، والتجارة ، وهو لا يحسن أن يصوغ حنفاً ، ولا ينضج لocha ، وهذا نوع من السَّهْوِ ،
بل هو السَّهْوُ كُلُّهُ ، ثم قال عليه السلام : وبمضى أن يكون تأديبه لهم بعمله وسيرته
قبل تأديبه لهم بلسانه ، وذلك لأنَّ العقل أدرك على حال الإنسان من القول .

ثم قال : ومعلم نفسه ومؤدبها أحقُّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم . وهذا حق ،
لأنَّ من علم نفسه بحاسن الأخلاق أعظمُ قدراً ممن ناطق تعليم الناس ذلك وهو غيرُ حامل
بشيء منه ، فأما من علم نفسه وعلم الناس فهو أفضل^(١) وأجلُّ ممن اقتصر على تعليم نفسه
فقط لا شهوةً في ذلك .

(١) : « وأعظم » .

(٧٢)

الأصل :

نَفَسُ الْمَرْءِ حُطَاءٌ إِلَى أَحِلِّهِ .

• • •

الشرح :

وحدث هذه الكلمة منسوبةً إلى عسداً بن المَرءِ في فصلٍ أوله : « الناس
وقد البلاء ، وسُكَّانُ التري ، وأحاس الحى حُطَاءٌ إلى أجله ، وأمه خلدغ له عن عمِّه ،
والديا أكذب وإعديبه ، والصمى أقرب أعاريه ، والوتُ بامطرُ إليه ، ومنتظر فيه أمراً
يُخْصيه » فلا أدري هل هي لابن المعتز ، أم أحدها من أمير المؤمنين عليه السلام !
والظاهر^(١) أنها لأمر المؤمنين عليه السلام ، فإنها بكلامه أشبه ، ولأن الرضى
قد رواها عنه ، وحرر العدل معمولٌ به .

(٧٢)

الأصل :

كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَصٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ .

الشرح :

الكلمة الأولى تؤكد مذهب جمهور المتكلمين في أن العالم كله لابد أن ينفى ويُنقَضَ ، ولكن المتكلمين الداعين إلى هذا القول لا يقولون : يجب أن يكون قابلاً ومنقصاً لأنه معدود ، فإن ذلك لا يلزم ؛ ومن الخطأ أن يكون معدوداً ولا يجب صاؤه ، ولهذا قال أصحابنا : يا علما أن العالم يمتلئ من طريق السمع لا من طريق العقل ، ويجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يطابق ذلك ، وهو أنه ليس يعني أن العدد علة في وجوب الانقضاء ، كما يُشعر به ظاهر لفظه ، وهو الذي يسميه أصحاب أصول الفقه إجماعاً ، وإنما مراده ^(١) كل معدود «اعلموا أنه من ومنص» ، فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكماً محرراً عن العلة ، كما لو قيل : زيد قائم ، ليس يعني أنه قائم ، لأنه يسمى زيدا .

فأما قوله : « وكل متوقع آت » فبإثله قول العامة في أمثالها : « لو انتظرت القيامة لقامت » ؛ والقول في نفسه حق ، لأن العقلاء لا ينتظرون ما يستحيل وقوعه ، وإنما ينتظرون ما يمكن وقوعه ، وما لابد من وقوعه ، فقد صح أن كل منتظر سيأتي .

(٢) ١ : « ومراحه » .

(٧٤)

الأصل :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَنْهَتْ اُعْتَبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا .

الشرح :

روى : « إِذَا اسْتَنْهَتْ » ، واسمى واحد وهو حق ، وذلك أن المقدمات تدل على النتائج ، والأسباب تدل على الهميات ، وطالما كان الشيطان ليما عنة ومعلولا ، وإنما بينهما أدنى^(١) تناسب ، فاستدل بحال أحدهما على حال الآخر ، وإذا كان كذلك واستندت أمور على العاقل العطن ولم يعلم إلى ماذا تقول ، فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها وعلى خرائعها بموائمها ، كالزعية ذات السلطان الركيك المصيف السياسة ، إذا ابتدأت أمور بملكته تصطب ، واستندت على العاقل كيف يكون الحال في المستقبل ، فإنه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها ، ويعلم أنه سيمضي أمر ذلك الملك إلى انتشار وتحلل في مستقبل الوقت ، لأن الحركات الأولى مبدئة بذلك ، وواعدة بوقوعه ، وهذا واضح .

(٧٥)

الأصل :

ومن خبر ضرار بن ضمرة الصابي عند دحوله على معاوية ، ومسأله له عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : فأشهد لقد رأيته في بعض موافقه وقد أرحى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته ، يتمتمر يتمتمر السليم ، ويكي ككاء الحزين ، وهو يقول :

يا دنيا يا دنيا إليك عني ، إلى نمرضت ، أم إلى تشوقت ! لا حل حيك ،
هيهات ، عرني عيري ، لا حلة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثاً ، لا رجعة فيها ،
ميشك ميسر ، وخطر لك يسر ، وأملك خير آية من قلعة الزاد ، وطول الطريق ،
وبعد السمر ، وعظيم المورد !

الشرح :

السدول : جمع سدول ، وهو ما أسدل على الخودج ، ويحوزي جمعه أيضا أسدال
وسدائل ، وهو هاهنا استمارة . والتمثل والتمثل أيضا : عدم الاستقرار من المرض ، كأنه
على مكة ، وهي الرماد الحار .

والسليم : الملسوع .

ويروى « تشوقت » بالغاف .

وقوله : « لا حل حيك » ، دعاء عليها ، أي لا حصر وفكك ، كما تقول : لا كنت .

فأما خِرَارُ بْنُ ضَعْرَةَ ، فَإِنَّ الرِّيَاضِيَّ رَوَى حَرَّةً ، وَنَقَلَتْهُ أَمَّا مِنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَلَبِيِّ فِي "التَّحْدِيدِ عَلَى شَرْحِ اللَّاعَةِ" ، قَالَ : دَخَلَ خِرَارٌ عَلَى مَعَاوِيَةَ - وَكَانَ خِرَارٌ مِنْ صَحَابَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذُلَّ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا خِرَارُ ، صَفِّ لِي عَلِيًّا ، قَالَ : أَوْ تُعَيِّنِي ! قَالَ : لَا أَغْنِيكَ ، قَالَ : مَا أَصَفَ مِنْهُ ! كَانَ ^(١) وَاللَّهِ شَدِيدَ الْقُوَى ، نَمِيدَ أَلْمَدَى ، يَتَفَخَّرُ بِعِلْمٍ مِنْ أَنْحَائِهِ ، وَالْحِكْمَةِ مِنْ أَرْحَائِهِ ، حَسَنَ الْمَعَاشِرَةِ ، سَهْلَ الْمَعَاشِرَةِ ، خَشِنَ الْمَأْكَلِ ، فَصِيرَ الْمَلْبَسِ ، غَزِيرَ الْعَثْرَةِ ، طَوِيلَ الْعِكْرَةِ ، يَنْقَبُ كَعَمَّةً ، وَيَحَاطِبُ نَفْسَهُ ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُحْيِينَا إِذَا سَأَلْنَا ، وَيَسْتَدِينُنَا إِذَا سَكَنَّا ، وَنَحْنُ مَعَ تَقْرِيبِهِ لَنَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ مَسَاحِبٌ لِصَاحِبِ هَيْئَةٍ ، لَا يَتَدَنَّهِ الْكَلَامُ لِعَصَمَتِهِ ، يَحْتَمِلُ الْكَافِرِينَ ، وَيَقْرُبُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَأَمْهَدَ لِقَدَرِائِهِ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ . . . وَتَمَامُ الْكَلَامِ مَذْكُورٌ فِي الْكِتَابِ .

وَدَكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي كِتَابِ "الْأَسْتِيعَابِ" ، هَذَا الْحَبْرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُونُسَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ بْنِ عَائِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُقَلَّةَ التُّهَدَادِيِّ عَمْرًا . وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُكَلِّيُّ ، عَنْ الْحَرِّ مَارِيٍّ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ تَهْمَانٍ ، قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لَخِرَارِ الصَّبَّاحِيِّ ^(٢) : يَا خِرَارُ صِفْ لِي عَلِيًّا ، قَالَ : أَعْنِي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : تَصِفُهُ ! قَالَ : أَمَّا إِذَا لَابَدْتَ مِنْ وَصْفِهِ ، فَكَانَ وَاللَّهِ نَمِيدَ الدَّيِّ ، شَدِيدَ الْقُوَى ، بِعُولَ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَخَّرُ بِعِلْمٍ مِنْ حَوَائِصِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ بَوَاحِيهِ ، تَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّيَا وَرَهْرِيَّتِهَا ، وَيَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، [وَكَانَ] ^(٣) غَزِيرَ الْعَثْرَةِ ، طَوِيلَ الْعِكْرَةِ ، يُعْجِبُهُ مِنَ الْبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنْ الْإِطْعَامِ مَا حَسُنَ . كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، بِحَيِّثُنَا إِذَا سَأَلْنَا ، وَيُبَيِّنُنَا إِذَا اسْتَفْهَيْنَا ؛ وَنَحْنُ وَاللَّهِ

(١) ب : « وَكَانَ » ، وَالصَّوَابُ « أَمِين » (٢) وَ الْاِسْتِيعَاب : « الصَّدَائِر » .

(٣) مِنَ الْاِسْتِيعَاب .

مع تفريه إيتانا ، وفريه منا ، لا سكاك سكمه هية له . يعظم أهل الدين ، وبقرّب
 المساكين . لا يطمع القوي في ماطله ، ولا يئس الصميف من عدله ؛ واشهد لقد رأيتُه
 في بعض مواقفه وقد أرحى الليلُ سُدولَه ، وغارتِ نجومُه ، قابضا على لحيته ، يتململُ
 تَمَلُّمُ السَّليم^(١) ، ويسكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دُنْيَا عَرَّيْ عَيْرِي ، أَيْ^(٢) نَمَرَضْتِ !
 أم إلى تشوّفتِ ! هيهاتَ هيهاتَ ! قد بايشتِ ثلاثا لا رجعة لي فيها ، فمُركِ قصير ،
 وحطركِ حقير ! آه من قلة الزاد ، ولُعد التمر ، ووَحشة الطريق ! فبكي معاويةُ وقال :
 رَحِمَ اللهُ أبا حسن ، كان والله كذلك ؛ فكيف حُرْتُك عليه يا ضِرار ؟ قال : حرنُ
 مَنْ ذُبِحَ ولدُها في جِحرها^(٣) .

(١) السليم : القديم . (٢) الاستجاب : « أَيْ » .

(٣) الاستجاب ١١٠٢ ، ١١٠٨ ، وهو أيضا في أمالي القائل ٢ : ١٤٢ .

(٧٦)

الأصل :

ومن كلامه عليه السلام للسائل الشاى لما سأله : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره ؟ بعد كلام طويل هذا مختاره :

وَبِحُكِّكَ ! لَمَّا لَكَ طَمَعَتْ فَعَاءُ لَا رِمًا ، وَقَدَرًا حَاتِمًا ! لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالنُّقَابُ ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعْدُ ؛ إِنْ أَفَلَّحَ سُبْحَانَهُ أَمْرَ عِبَادِهِ تَحْذِيرًا ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا ، وَكَفَلَ يَسِيرًا ، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا ، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا ، وَلَمْ يُنْصَرِّ مَعْلُوبًا ، وَلَمْ يُطْعَمْ مُكْرَهًا ، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْفِيَاءَ كَيْسًا ، وَلَمْ يُنْزِلِ السُّكُتِبَ لِلْمِيَادِ عَشًا ، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ؛ (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) .

الشرح :

قد ذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذا الخبر في كتاب " التفرّد " ورواه عن الأصمعي بن نُسَابة ، قال : قام شيخٌ إلى علي عليه السلام فقال : أحرنا عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال : والذي فتق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما وطيننا موطننا ، ولا هططنا وادبنا إلا بقضاء الله وقدره . فقال الشيخ ! فسمد الله أحشيب عناي ! ما أرى لي من الأجر شيئاً ! فقال : مه ! أيها الشيخ ، لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ،

ولا إليها مضطربين . فقال الشيخ : وكيف الفصاء والقدر ساقا ؟ فقال : وَيَحْك ! لعلك ظننت قصاء لازما ، وقدرًا حتمًا ! لو كان ذلك كذلك بطل الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، والأمر والنهي ، ولم تأت لائمة من الله لمذيب ، ولا تحمدا لمُحْسِن ، ولم يكن المُحْسِن أولى بالمدح من السيء ، ولا السيء أولى بالذم من المُحْسِن ؛ تلك مقالة عُناد الأوثان ، وعود الشيطان ، وشهود الزور ، وأهل العمى عن الصواب ، وهم قَدَرِيَّةُ هذه الأمة ومحوسبها ؛ إن الله سبحانه مُرْتَحِيْرٌ ، وسهي تحديرا ، وكلف يسيرا ، ولم يُنص معلوما ، ولم يُطع مُكرها ، ولم يُرسل الرسل إلى خلقه عتث ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما ماطلا ﴿ ذلك لمن آتدين كُفروا هَوَيْنُ للدين كُفروا ﴾ من النار ﴿^(١) فقال الشيخ : فما القصاء والقدر اللذان ما سِرنا إلّا بهما ؟ فقال : هو الأمر من الله والحكم ، ثم تلا قوله سبحانه : ﴿ وَقَصَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا بِيَّاهُ ﴾^(٢) ، فهس الشيخ مسرورا وهو يقول :

أنت الإمام الذي تروحو بعد عنه يوم الشورى من الرحمن رِصوانا
أوصحت من دينا ما كان مُعتب حراك ربك عنا فيه إحسانا

ذكر ذلك أبو الحسين في بيان أن القصاء والقدر قد يكون معنى الحكم والأمر ، وأنه من الألفاظ المشتركة .

(٧٧)

الأصل :

خُذِ الْحِكْمَةَ أَتَى كَانَتْ ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَجْلُجُ فِي
صَدْرِهِ ، حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ .
قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَاصِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ : الْحِكْمَةُ
سَالَةُ الْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ سَدَقٍ .

الشرح :

حَطَبَ الْحَمَاحُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِطَلَبِ الْآخِرَةِ ، وَكَعَانًا مَثْوًى الدُّنْيَا ، فَلْيَسُدِّ
كُرْمِنَا مَثْوًى الْآخِرَةِ ، وَأَمَرَنَا بِطَلَبِ الدُّنْيَا .
فَسَمِعَهَا الْحَسَنُ قَالَ : هَذِهِ صَالَةُ الْمُؤْمِنِ خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ الْمُنَافِقِ .
وَكُلُّ سُفْيَانٍ الثَّوْرِيِّ يُبَيِّنُهُ كَلَامُ أَبِي حَمْرَةَ الْحَارِثِيِّ وَيَقُولُ : صَالَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَى لِسَانِ
الْمُنَافِقِ . تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ مَرِيرَةٍ ، وَأَمْعَلُ دَحِيرَةٍ ، مِنْهَا ثَقَّةُ الْوَاتِقِ ، وَعَلَيْهَا مِيقَةُ الْوَامِقِ .
لِيَعْمَلَ كُلُّ امْرِئٍ فِي مَكَانِ نَفْسِهِ وَهُوَ رَاحِي اللَّسَبِ ، طَوِيلُ السَّبِّ ، لِيَعْرِفَ نَمْدَ
يَدِهِ ، وَمَوْصِعَ قَدَمِهِ ، وَلِيَحْدَرَ الزَّلَلُ ، وَاسْمَلُ الْمَامَةِ مِنَ الْعَمَلِ . رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ
التَّقْوَى ، وَأَسْتَشْفَرَ شِعَارَهَا ، وَاحْتَنَى نَمْدَهَا ، بَعَثَ دَارَ النِّقَاءِ بِدَارِ الْإِمَادِ ، الدُّنْيَا كَرَوُصَةٌ
يُونُقُ مَرُوعَاهَا ، وَنَمِيجٌ مِنْ رَأَاهَا . كَمِيجَ عَرُوفِهِ الْفَرَى ، وَتَنْطَفُ فُرُوعُهَا بِالسَّدى ، حَتَّى
إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ إِنَاءَهُ ، وَأَنْتَهَى الزَّبَرْجُ مُنْتَهَاهُ ، صَكَفَ الْعَمُودُ ، وَدَوَى الْعُودُ ، وَنَوَلَى
مِنْ الزَّمَانِ مَا لَا سُدُودَ ؛ حَتَّى الرِّيحُ الْوَرَقَ ، وَبَرَقَتْ مَا كَانَتْ تَسْقُ ، فَاصْجَتْ هَنِيئًا ،
وَأَمْسَتْ رَمِيًا .

(٧٨)

الأصل :

يَقِئَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْيِيهِ .

قَالَ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذِهِ السَّكَمَةُ الَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا يَقِئَةٌ ، وَلَا تُوزَنُ
بِهَا حِكْمَةٌ ، وَلَا تُقَرَّنُ إِلَيْهَا كَلِمَةٌ .

البُخ :

فَدَسَلْتُ لَنَا فِي فَضْلِ الْعِلْمِ أَقْوَانٌ عَشْرِيَّةً ، وَبِحَسْبِ بَدْرٍ هَاهُنَا مُسْكَا أُخْرَى .

يُقَالُ : إِنْ مِنْ كَلَامٍ أُرْدَشِيرٌ مِنْ بَابِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَيْبَاءِ الْمُلُوكِ : بِحَسْبِكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى
فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ مَمْدُوحٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، يُتَرَبَّسُ بِهِ عَمْرٌ أَهْلُهُ ، وَيُدَّعِيهِ مَنْ لَا يَدْمُقُ بِهِ . قَالَ :
وَبِحَسْبِكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى عَقِيبِ الْجَهْلِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَنْتَمِي مِنْهُ ، وَيَمْتَصُّ أَنْ يَسْتَقَى بِهِ .

وَقِيلَ لِأَبُو شَرِّوَانَ : مَا بِالْكُمِ لَا تَسْتَعِيدُونَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا إِلَّا رَادَكُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ حِرْصًا ؟
قَالَ : لِأَنَّا لَا نَسْتَعِيدُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا أَرَدَدْنَا بِهِ رِصَةً وَغَيْرًا . وَقِيلَ لَهُ : مَا بِالْكُمِ لَا تَأْتَعُونَ
مَنْ التَّمَلَّمَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؟ قَالَ : لَعَلِّمْنَا بِأَنَّ الْعِلْمَ نَافِعٌ مِنْ حَيْثُ أَحَدٌ .

وَقِيلَ لِأَبُو دُرَيْجٍ جَهْرًا : بِمِ أَدْرَكَتَ مَا أَدْرَكَتَ مِنَ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : يَنْكُورُ كُكُورِ الْغُرَابِ ،
وَحِرْصِي كَحِرْصِي الْخَنَزِيرِ ، وَصَبْرِي كَصَبْرِ الْحَمَارِ .

وَقِيلَ لَهُ : الْعِلْمُ أَفْضَلُ أَمْ الْمَالُ ؟ فَقَالَ : الْعِلْمُ ، قِيلَ : فَمَاذَا تَرَى أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى

أبواب أهل المال أكثر مما نرى أصحاب الأموال على أبواب النماء ١ قال : ذلك أيضا عائد
إلى العلم والجهل ، وإنما كان كما رأيتم ، لعلم العلماء بالحاجة إلى المال ، وجهل أصحاب المال
بفضيلة العلم .

وقال الشاعر :

تَعْلَمُ فليس المرءُ يُخَلِّقُ عِلْمًا وليس أحمو علمه كمن هوَ جاهلُ
وإن كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده صغيرُ إذا التفتَ عليه الجاهلُ

(٧٩)

الأصل :

أوصيكمُ بِحَسَنِ تَوَضُّعٍ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِبِلِ لَكَاتٍ لِدَلِكْ أَهْلًا : لَا يَرْجُونَ
أَحَدٌ مِّنْكُمْ إِلَّا رَحْمَةً ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا دَهْشَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدٌ مِّنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا
لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدٌ إِذَا تَمَّ بِعَنْهُ الشَّيْءُ أَنْ يَقَعَّمَهُ ، وَعَلَيْكُمْ
بِالصَّبْرِ ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَأَنَّ رَأْسَ مِنَ الْحَسَدِ ، وَلَا حَيْرَ فِي حَسَبِ لَارَأْسَ مَعَهُ ،
وَلَا حَيْرَ فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ .

الشرح :

قد تقدم الكلام في جمع الحكم النطوي عليها هذا الفصل ؛ وقال أبو القاسم :

والله لا أدرى سوا
ك ولا أظن سوا ذنوبي
فأعلم ذنوبي يا رحيب
م فأت سائر العيوب

وكان يقال : من استحي من قول : « لا أدرى » كان كمن يستحي من كشف ركنه ،
ثم يكشف سواده ، وذلك لأن من امتنع من قول : « لا أدرى » وأجاب بالجهل والخطأ
فقد واقع ما يحب في الحقيقة أن يستحي منه ، وكف عت يس واحد أن يستحي منه ،
م كان شبا بما ذكرناه في الرثكة والمؤنة .

وكان يقال : يحسن الإنسان التعم ما دام يقبح منه الجهل ، وكما يقبح منه الجهل ما
دام حيا كذلك يحسن به التعلم ما دام حيا .

وأما الصبر فقد سبق فيه كلام مفتح ، وسيأتي فيما بعد جملة من ذلك .

(٨٠)

الأصل

وقال عليه السلام رحل أفرط في تشاء عليه - وكلن له متيها : أء دون ما تقول ،
وفوق ما في نفسك .

الشرح :

قد سقينا قولاً مفصلاً في كراهية مدح الإنسان في وجهه .
وكان عمرُ حلياً وعمده الدرة ، إذ أكل الحارود العتيق ، فقال رحل : هذا الحارود
سيد ربيعة ؛ فسمعها عمرُ ومن حوله ، وسمعها الحارود ، فلما دام معه حقه بالدرة
فقال : مالي ولك يا أمير المؤمنين ! قال : مالي ولك ! أما لقد سمعتها ، قال : وما سمعتها به !
قال : ليخالطن قلبك بها شيء ، وأما أحب أن أطأ منك .

وقالت الحكماء : إنه يحدث للمدوح في وجهه أضرار مهلكة : أحدها الإصحاب
بنفسه ، والثاني إذا أثنى عليه بالدين أو العلم أو القدر أو جهته ، ودعى عن نفسه ،
ونقص تشهيره وجرده في طلب العلم والدين ، فإنه إنما يتشمر من رأى نفسه منصرفاً
فإنما من أطيقت الألسن بالثناء عليه ، فإنه يظن أنه قد وصل وأدرك ، فيقلل جهته ،
ويتكبر على ما قد حصل له عند الناس ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن مدح

إِسَانَا كَادِ يَسْمَعُهُ : « وَيُحَكِّ اِفْطَمَ عَنْقُ صَاحِبِكَ ، لَوْ مَحْمِلُهَا لَمَا أَفْلَحَ » .

فَإِذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : « وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ » ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ
قَدْ عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ فِيهِ ، وَيَسْجُرُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعْرِيفَهُ ذَلِكَ لِيَأْذَنَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ ،
إِنَّمَا لَفْظُهُ أَنَّهُ يُقْلَعُ عَمَّا كَانَ يَدْمُهُ بِهِ ، أَوْ لِيُعَلِّمَهُ بِتَعْرِيفِهِ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ ، أَوْ لِيُخَوِّفَهُ
وَيَرْحُرَّهُ ، أَوْ لِيُغَيِّرَ ذَلِكَ .

(٨١)

الأصل :

بَقِيَّةُ التَّيْمِ أُمِّي عَدَدًا ، وَأَكْثَرُ وَلَدًا .

الشرح :

قال شيخنا أبو عثمان : لَيْتَهُ لَمْ يَدَّ كَرَّ الْحَسَنِ دَكْرَ الْعِلَّةِ !

ثم قال : قد وجدنا مصداق قوله في أولاده وأولاد الزبير وبنى المهلب وأمثالهم
ممن أسرع القتلُ فيهم .

وأبى ربادٌ بامرأة من الحوارج فقال لها : أما والله لأخْصِدَنَّكُمْ خَصْدًا ، ولَأَقْبِيتَكُمْ
عَدَا ، فقالت : كَلَّا إِنَّ الْقَتْلَ لَيْرَرُعَا ، فعَاثَمٌ يَقْتُلُهَا تَسْتَرْتُ شَوْهَا ، فقال : اهْتَكُوا
سِتْرَهَا لِحَاها الله^(١) ! فقالت : بِنُ اللَّهِ لَا يَهْتِكُ سِتْرَ أَوْلِيَايَاهُ ، وَلَكِنْ أَلْتِي هُنْتُكَ^(٢) سِتْرَهَا
عَلَى يَدِ ابْنِهَا سُمَيَّةَ ، فقال : عَجَّلُوا قَتْلَهَا أَسَدَهَا اللَّهُ ! فَتَلَّتْ .

(١) لحاه الله ، أى قبحه ولعنه . (٢) ا : « هُنْتُكَ » .

(٨٢)

الأصل :

مَنْ تَرَكَ قَوْلَ : « لَا أُدْرِى » أَصِيتَ مَقَاتِلَهُ .

الشرح :

جاءت امرأة إلى رُزْخَمِرْ ، سألته عن مسألة فقال : لا أدري ، فقال : أيمطيك
الملك كل سنة كذا كذا وتقول : لا أدري ؟ فقال : إعا يعطيك الملك على ما أدري ،
ولو أعطاني على ما لا أدري لما كمانى بيت ماله .

وكان يقول : قول « لَا أَعْلَمُ » نصفُ العلم .

وقال بعضُ الفضلاء : إذا قال لنا إنسان : « لَا أُدْرِى » عَلَّمَنَا حَتَّى يَدْرِى ، وإن قال :
أدري ، امتنعنا حتى لا يدري .

(٨٣)

الأصل :

رَأَى الشَّيْخُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ حَلَدِ الْمَلَامِ .
وَيُرَوَّى : « مِنْ مَشْهَدِ الْمَلَامِ » .

الشرح :

إعنا قال كذلك لأن النسخ كثيرٌ المتحيرة ، فيسح من المدوِّ رايه ما لا يسلم بشجاعته
العلام أحدث غير المجرَّب ، لأنه قد يغرر بنفسه فيهلك ويهلك أصحابه ، ولا ريب أن الراي
مقدَّم على الشجاعة ، ولذلك قال أبو العلي :

| | |
|-----------------------------|--|
| الرأى قبل شجاعة الشَّجَّانِ | هو أوَّلُ وهى الهلُّ الثانى ^(١) |
| فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرفٍ | بلمت من استياء كلِّ مكانٍ ^(٢) |
| ولربما طعن الفتى أفرانه | مارأى قبل تطاعن الأفران |
| لولا العمول لكان أدنى صيمر | أدنى إلى شرفٍ من الإنسان |
| ولما تفاضلت الرجال ودبرت | أيدى الكُماة عوالي المرات |

ومن وسانا أبرويز إلى انه شرويه : لا يستعمل على حيثك علما عمرا ترها ،
قد كثر إيجابه بنفسه ، وفلت تحسره في غيره ، ولا هريما كبيرا مديرا قد
أخذ الدهر من عقله ، كما أحدث السن من جسمه ؛ وعليك بالكحول
ذرى الراي !

(١) ديوانه ٤ : ١٧٤ ، ١٧٥ (٢) النفس المرة : القوية الشديدة . من قوله تعالى « دو مرة فاستوى » .

وقال ثقيط بن يعمّر الإيادي في هذا المعنى :

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ قَدْرَكُمْ وَخَبَّ الدَّرَاعُ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُصْطَلِعًا^(١)
 لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخِلَ الْمَيْشُ سَاعِدَهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ هـ حَشَمًا^(٢)
 مَا رَأَى يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ يَكُونُ مَتْنَمًا مَنُورًا وَمُتْنَمًا^(٣)
 حَتَّى اسْتَمَرَّ عَلَى شَرِّهِ مَرِيرَهُ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا فَخْمًا وَلَا ضَرِيحًا^(٤)

(١) مختارات ابن الجعري ١ : ٥٠ . مصطنع ، من الصلابة ؛ وهي القوة

(٢) حشم ، أى جمع للأمر

(٣) ابن الجعري : ٥٠ ، احلك يحلب ؛

(٤) الشرر : قتل الحبل مما يلي اليسار والقهم . الشيخ الكبير السن الهرم . والفرع ، الرجل الضعيف .

(٨٤)

الأفضل :

فَجِئْتُ لِمَنْ يَقْطُ وَمَمَّهِ الْإِسْتِغْفَارُ .

التَّبَيُّنُ :

قالوا : الاستغفار حَوَارِسُ الدُّنُوبِ .

وقال بعضهم : المبدأ بين ذنب وبعثة لا يُفْلِحُهُمْ إِلَّا الشُّكْرُ وَالِاسْتِغْفَارُ .

وقال الربيع بن خثيم^(١) : « لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » فَيَكُونُ ذَنْبًا

وَكَذِبًا إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لِيَفْعَلْ : اللَّهُمَّ اعْمُرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ .

وقال الفضيل : الاستغفار بلا إقلاع^(٢) توبةُ الكذابين .

وقيل : مَنْ قَدَّمَ الْإِسْتِغْفَارَ عَلَى التَّوْبَةِ ، كَانَ مُسْتَهْرَأًا بِاللَّهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .

(١) كذا في ١ ، وفي ٢ : « خثيم » . (٢) الإقلاع : ترك الذنوب .

(٨٥)

الأصل :

وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عايهما السلام أنه كان عليه السلام قال :
 كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانِيٍّ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا ، فَدُوتَكُمْ الْآخَرُ
 فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الْأَمَانُ
 الْبَاقِي فَلَا اسْتِغْفَارَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ
 مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ^(١) .

قال الرضوي رحمه الله تعالى : وهذا من محسن الاستعراج ، ولطائف
 الاستنباط .

البيان :

قال قوم من المفسرين : ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، في موضع الحال . وإيراد في الاستغفار
 عنهم ، أي لو كانوا ممن يستغفرون لا عذاب لهم ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
 لِيُهِبَ لَكَ الْفُرْقَى بَاطِلًا وَأَهْلُهَا مُصَادِقُونَ ﴾ ^(٢) ؛ فكذلك قال : لكنهم لا يستغفرون فلا
 انتفاء للعذاب عنهم .

وقال قوم : معناه ، وما كان الله معذبهم وبهم من يستغفرونهم المسنون بين أظهرهم ممن
 تحلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) من المستصعبين ^(٤) .

(١) سورة الأفعال ٢٣ .

(٢) سورة هود ٧١١ - (٣ ٢) ساقط من ١ .

ثم قال : ﴿ وَمَا كُفُّوا أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، أى ولائى سبب لا يعذبهم الله مع وجود ما يقتضى العذاب ، وهو صدقهم المسكين والرسول عن البيت فى عام الحديبية ! وهذا يدل على أن ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوثع والحوادث ، لأن سورة الأنفال نزلت عقيب وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة ، وصدق الرسول صلى الله عليه وآله عن البيت كان فى السنة السادسة ، فكيف يحمل آية نزلت فى السنة السادسة فى سورة نزلت فى السنة الثانية !

وفى القرآن كثير من ذلك ، وإعما رتبته قوم من الصحابة فى أيام عثمان .

(١) سورة الأخال ٣٤

(٨٦)

الأضل :

مَنْ أَمْنَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَمْنَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .
وَمَنْ أَمْنَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَمْنَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ .
وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ رَاعِطٌ ، كَانَ عَنْ يَدِهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .

الْبَيْتُجُ .

بِمَثَلِ الْكَلِمَةِ الْأُولَى قَوْلُهُمْ : رِصَا الْعُطُولَيْنِ عُتُولُ رِصَا الْخَالِقِ ؟ وَحَاءُ فِي الْحَدِيثِ
الْمَرْفُوعِ : « مَا مِنْ وَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَرْضَى عَنْهُ رَعِيَّتَهُ » .

وَمِثْلُ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ دُطَاهُ بِمَعْنَاهُمْ فِي قَوْلِهِ :

أَنَا شَاكِرٌ أَنَا مُدْرِكٌ أَنَا حَامِدٌ أَنَا خَائِفٌ أَنَا جَائِعٌ أَنَا عَارٍ
مِى سِتَّةٌ وَأَنَا الصَّمِيمُ بِبَعْضِهَا فَكُنِ الصَّمِيمَ بِبَعْضِهَا يَا بَارِي

وَمِثْلُ الْكَلِمَةِ الثَّالِثَةِ قَوْلُهُ مَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ ﴾ ^(١) .

(٨٧)

الأصل :

الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُصْطِ النَّاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ،
وَلَمْ يُؤْمَنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

الشرح :

فلَمْ موضعٌ من اسكتاب العرب يدكر فيه الوعيد إلا وعمره بالوجد ، مثل أن يقول :
« إِنْ رَأَيْتَ سِرْعَ أَمْعَبٍ » ثم يقول : « وَإِيَّاهُ لَعَفُورٌ وَحَبِيرٌ » ، والحكمة تقتضي هذا ليكون
المكلف مترددا بين الرعة والرهة .

ويقولون في الأمثال المرمورة : لَقِيَ مُوسَى وَهُوَ صَاحِكٌ مُسْتَشْرِ عِيسَى وَهُوَ كَالِحٌ
قَاطِبٌ ، فقال عيسى : مَا لَكَ كَأَنَّكَ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ؟ فقال موسى عليه السلام . مَا لَكَ
كَأَنَّكَ آيِسٌ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ! فأوحى الله إليهما : موسى أحبُّكما إليَّ شعارا ، فَإِنَّ عِنْدَ حُسْنِ
ظَنِّ عَدَى بِي .

واعلم أنَّ أَصْحَابَنَا وَإِنْ قَالُوا بِالْوَعِيدِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤَيِّسُونَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُطُونَهُ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا يَحْضُونَهُ عَلَى التَّوْبَةِ ، وَيُخَوِّفُونَهُ إِنْ مَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ، وَبِحَقِّ
مَا قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْهُدَيْلِ : لَوْلَا مَذْهَبُ الْإِرْشَادِ لَمَّا عُصِيَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ،
وَهَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعُصَاةِ نَحْمًا يُعْمَلُونَ عَلَى الرَّحْمَةِ ، وَقَدْ أُشْتَهَرَ

واستفاض بين الناس أن الله تعالى يرحم الذين ، فإنه وإن كل هناك عقاب
فأوقاتا معدودة ، ثم يرحلون إلى الجنة ، والنفس تحب الشهوات العاجلة ،
فتهاقت السس على المعاصي وبلوع شهوات والمآرب ، معولين على ذلك ،
هولوا قول المرجئة وظهوره بين السس لكان المميان إنا معدوما ، أو قليلا
جدا .



(٨٨)

الأصل :

أَوْضَحُ الثِّمْلِمَ مَا وَصَفَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْحَوَارِجِ وَالْأَرْكَانِ .

الْبَزْخُ :

هذا حق ، لأنَّ اسألِمَ إذا لم يَظْهَرِ من عِلْمِهِ إِلَّا لَقْنَقَةُ لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَظْهَرَ مِنْهُ الْعَادَاتُ ، كَلَّ طَالَمَا نَاقَصًا ، فَأَمَّا إِذَا كَلَّ يُعِيدُ نَاسِيًا بِالْفَاعِلِ وَمَنْطِقِهِ ، ثُمَّ يَشَاهِدُهُ النَّاسُ عَلَى مَدَمٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّادَةِ ، فَإِنَّ الْفَعْلَ يَكُونُ مَعًا نَامًا ، وَدَلَّكَ أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ يَمْتَقِدُ حَقِيقَةً مَا يَقُولُهُ ، « دَابَّ نَفْسَهُ هَذَا الدَّابُّ » .

وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقُولُونَ فِيهِ : كُلُّ مَا يَقُولُهُ نَاقٍ وَبَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَلَّ يَمْتَقِدُ حَقِيقَةً^(١) مَا يَقُولُ لِأَخْذِهِ ، وَلَظْهَرَ ذَلِكَ فِي حَرَكَاتِهِ ، فَيَمْتَدُونَ بِفَعْلِهِ لَا يَقُولُهُ ، فَلَا يَشْتَفِلُ^(٢) أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْعِبَادَةِ وَلَا يَهْتَمُّ بِهَا .

(١) د : « أَحْقِيَّة » . (٢) : « يَمْتَنُونَ » .

(٨٩)

الأصل :

إِنْ هَدَوْ الْقُلُوبَ نَمَلٌ كَمَا نَمَلُ الْأَنْدَانُ ، فَاسْمَعُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

الشرح :

لو قال : إِنِّهَا نَمَلٌ كَمَا نَمَلُ الْأَنْدَانِ ، فَاصْبِرُوا ^(١) كما نقل عن غيره 'الحل ذلك على أنه أراد نقلها إلى العُكاهات والأخضر والأشجار ، ولكنه لم يقل ذلك ، ولكن قال : « فاسمعوا لها طرائف الحكمة » ، فَوَحَّحَ أَنْ نَحْمَلَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الْقُلُوبَ نَمَلٌ مِنَ الْأَنْطَارِ الْمَفْلُتَةِ ، فِي بَرَاهِينِ الْكَلَامِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ ، فَاسْمَعُوا لَهَا عِدَّةً مَلَايَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ ، أَيْ الْأَمْثَلُ الْحِكْمِيَّةِ الرَّاحَةِ إِلَى الْحِكْمَةِ الْخَلْقِيَّةِ ، كَمَا نَحْنُ دَاكِرُوهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَقُولٍ هَذَا النَّبِيِّ ، مِثْلُ مَدْحِ الصَّبْرِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالزُّهْدِ ، وَالْبِعَةِ ، وَدَمِّ الْعَصَبِ ، وَالشَّهْوَةِ ، وَالْهَوَى ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى سِيَاسَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، وَوَلَدَهُ ، وَمَنْزِلَهُ ، وَصَدِيقَهُ ، وَسُلْطَانَهُ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ آخَرٌ وَقَدْ آخَرٌ ، لَا تَحْتَاجُ الْقُلُوبُ فِيهِ إِلَى مَكْرٍ وَأَسْتِنْبَاطٍ ، فَتَنْتَبِهُ وَيَكِلُ تَرَادُفُ التَّطَرُّقِ وَالتَّأَمُّلِ عَلَيْهَا ، وَفِيهِ أُنْصَبَتْ لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلنَّفْسِ .

وقد جاء في إجماع النفس كثير .

قال بعضهم : رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِرَوَائِعِ ^(٢) اللَّذَّةِ كَر .

(١) يقال : أحسن القوم إحساناً ؛ إِذَا أَدَّسُوا بِمَا يُؤَسِّسُهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ هَمَّ بِمَنْفَعَةٍ .

(٢) د : ذ : نعى .

وعن سلمان الفارسي : أنا أحنس يومتي كما أحنس قومتي .
وقال عمر بن عبد العزيز : إن نفسي راجتني ، إن كلفتها فوق طاقتها انقطعت بي .
وقال بعضهم : روّحوا الأدهار ، كما تروّحوا الأبدان .
وقال أردشير بن بابك : إن للأبدان نعمة ، وللقلوب ملة ؛ ففرّقوا بين الحكّمين^(١)
بأنهم يَكُن ذلك استخفافاً .

(٩٠)

الأصل :

لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِثَّةِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَمَادَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُصِلاتِ الْعَيْسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ رِشْقَةٌ ﴾ . وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاحِطُ لِلرَّافِعِ ، وَالرَّامِي بِرَفْسِهِ ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَغْلَمَ رِزْمٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ لِيُظْهِرَ الْأَفْئَالُ الَّتِي فِيهَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ ، لِأَنَّ تَعْصِيَهُمْ بِحُبِّ الدُّسْكَورِ وَيَسْكُرَةِ الْإِبَاتِ ، وَتَعَمُّهُمْ بِحُبِّ تَثْمِيرِ الْعَالِ ، وَيَسْكُرَةِ انْتِلَامِ الْحَالِ .

قَالَ الرَّحْمَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِنْ عَرَبٍ مَا مُجِيعٌ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّعْمِيرِ .

• • •

البنج :

الفتنة لفظ مشترك ؛ فتارة تُطلق على الخائفة والسبية تصيب الإنسان ، تقول : قد افتنن زيد وفتن فهو مفتون إذا أصابته مُصيبة فذهب ماله أو عَقْلُهُ ، أو نحو ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ عَذَّبُوهُمْ بِمَكَّةَ لِيَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَتَارَةً تُطْلَقُ عَلَى الْإِخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ ، يقال : فتنْتُ الذهبَ إذا أدخلته النار لِنَسْطَرِّ مَا جَوْدَتُهُ ، وَدِيَارُ مَعْتُونِ ، وَتَارَةً تُطْلَقُ عَلَى الْإِحْرَاقِ ؛ قَالَ تَعَالَى :

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(١) وَوَرِقَ مَفْتُون ، أى فِصَّةٌ مُحَرَّقة ، ويقال للحَرَّة :
فَتِينٌ كَأَنَّ حِجَارَتَهَا مُحَرَّقة ، وتارةً تُطْلَقُ عَلَى الضَّلَال ، يقال رجلٌ فَانٍ وَمُفْتَنٌ ،
أى مُصِيرٌ عَنِ الْحَقِّ جَاءَ ثَلَاثِيَا وَرُبَاعِيَا ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِمُتَنِينَ * إِلَّا مَنْ
هُوَ مَسَالٍ انْجَحِيمٍ﴾^(٢) أى مَحْصَلِينَ ، وَفَرَأَ قَوْمٌ « مُفْتَنِينَ » ، فَن قَالَ : إِنْ أَمُودُ بَكَ
مِنَ الْعِتَّةِ ، وَأَرَادَ الْجَانْحَةَ ، أَوِ الْإِحْرَاقَ أَوِ الضَّلَال ، فَلَا نَاسَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ أَرَادَ الْاِحْتِبَارَ
وَالْاِمْتِحَانَ فَعِيرٌ جَائِزٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَمُّ بِالْمَصَدِّقَةِ ، وَلَهُ أَنْ يَحْتَبِرَ عِبَادَهُ لَا لِيَعْلَمَ
حَالَهُمْ ، بَلْ لِيَعْلَمَ بَعْضُ عِبَادِهِ حَالَ بَعْضٍ ، وَعِنْدِي أَنَّ أَصْلَ اللَّعْطَةِ هُوَ الْاِحْتِبَارُ وَالْاِمْتِحَانُ ،
وَأَنَّ الْاِعْتِسَارَاتِ الْاُخْرَى رَاحَةٌ إِلَيْهَا ، وَدَانَتْ مُنْتِ عِلْمَتِ صَحَّةٍ مَا ذَكَرْنَاهُ .

(٩١)

الأصل :

وسئِلَ عنِ الخيرِ ما هو ؟

فَقَالَ : لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثَرَ مَالُكَ وَوَدَّكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثَرَ عِلْمُكَ ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ تُكَاهِيَ النَّاسَ بِعِدَّةِ رَبِّكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ سَمِعْتَ اللَّهَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَمَعَرْتَ اللَّهَ . وَلَا حَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِوَحْلَيْنِ : رَحُلٌ أَدَبَ دُورًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالنَّوْفِ ، وَرَحُلٌ يُسَارِعُ فِي الْحَرَاتِ ، وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ اتَّقْوَى ، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَّقَلُّ !

الشرح :

قد قال الشاعر لهذا المعنى :

ليس السَّعيدُ الذي دُنِيَاهُ تُرِيدُهُ بل السَّعيدُ الذي يَنْتَحِمْ مِنَ الدَّارِ

قوله عليه السلام : « وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ اتَّقْوَى » ، أى مع احتساب الكبائر ، لأنه لو كان موقفاً لكبيرة لما تَقَسَّلَ منه عملٌ أصلاً على قول أصحابنا ، فوجب أن يكون المراد بالتقوى احتساب الكبائر ، فأما مذهب المرحضة فإنهم يحملون التقوى هنا على الإسلام ، لأن المسلم عندهم تتقيل أعماله ، وإن كان موافقاً للكثير .

فإن قلت : فهل يجوز حملُ لفظة « اتقوى » على حقيقتها ، وهى الخوف ؟

قلت : لا . أما على مذهبنا فلا من يحوف الله ويواقع الكبائر لا تتقبل أعماله ،

وأما من ذهب الرحمة فلاش من يخاف الله من محالتي مئة الإسلام لا تتقبل أعماله ،
قلت أنه لا يجوز حمل التقوى ها هنا على الخوف .

فإن قلت : مَنْ هو محالف لبيعة الإسلام لا يخاف الله لأنه لا يعرفه .

قلت : لا نسلم ، بل يجوز أن يعرف الله بدياته ومبانيه ، كما يعرفه نحن ، ويحدد النبوة
نُشْئاً وقعت له فيها ، فلا يلزم من حُجْد شوه عدم معرفة الله تعالى .

(٩٢)

الأفضل :

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَغْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَآلِهِ مِنْهُ ﴾ .
ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ تَعَدَّتْ لُحْمَتُهُ ، وَإِنْ عَدُوُّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرُبَتْ فَرَائِطُهُ .

البُخَارِ :

هكذا الرواية « أعطهم » ، والصحيح « أعمهم » ، لأن استدلاله بالآية يقتضي ذلك ، وكذا قوله فيما بعد : « إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ . . . » إلى آخر الفصل ، فلم يذكر العلم ، وإنما ذكر العمل . واللحمة بالضم : السب والقربة ، وهذا مثل الحديث المرفوع : « اتقوا بأعمالكم ، ولا تاتقوا بألسانكم ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ » ؛ وفي الحديث الصحيح : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، إِنْ لَأَعْبَى عَمَّكَ مِنْ أَقْبَى شَيْءٍ » .

وقال رجل لحمر بن محمد عليه السلام : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَتْ فَرْحَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ دَرَبَهَا عَلَى النَّارِ » ، أَلَيْسَ هَذَا أَمَامًا لِكُلِّ عَاطِمٍ فِي الدُّنْيَا ؟ فقال : إِنَّكَ لِأَحَقُّ ، إِنَّمَا أَرَادَ حَسَبًا وَحَسَبًا ، لِأَمَامَا مِنْ لُحْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَأَمَّا مَنْ عَدَاهَا فَمَنْ قَعَدَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَمَهِّضْ بِهِ نَسَبَهُ .

(٩٢)

الأصل :

وَسَمِعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحُلًا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ ، فَقَالَ :
يَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ ، خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ عَلَى شَكٍّ .

• • •

الشرح :

هذا يعني عن التمرص للعبادة مع الجهل بالسنن ، كما يصنع اليوم كثير من الناس ،
ويظنون أنهم خير الناس ، والمقلد للاتباع من الناس يصحكون معهم ، ويستنهضون بهم ،
والحرورية : الحوارج ، وقد سبق القول فيهم . وفي ريتهم إلى حروراء^(١) .
يقول عليه السلام : ترك التسفل بالعبادات مع سلامة العقيدة الأصلية ، خير من
الاشتغال بالتوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم ؛ وهو المعنى بقوله : « في شك » ،
فإذا كان عدم التسفل خيرا من التسفل مع شك فهو مع الجهل المحض . وهو الاعتقاد الفاسد
أولى بأن يكون .

(١) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، رل بها الحوارج الذين طاعوا علي بن أبي طالب ؛ وبها كان
أول تحكيمهم واجتماعهم حين طاعوا عليه .

(٩٤)

الأصل :

اعْقِلُوا الْحَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقِلَ رِعَايَتُهُ لَا عَقْلَ رِوَايَتِهِ ، فَإِنَّ رِوَاةَ أَحَدِهِمْ كَثِيرٌ ،
وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ .

الشرح :

نهام عليه السلام عن أن يقتصروا بما سمعوا منه أو من غيره أطرافاً^(١) من العلم
والحكمة ، على أن يرووا ذلك رواية كما يسمعون المحدثون ، وكما يقرأ أكثر الناس
القرآن دراسةً ولا يتدبري من معانيه إلا اليسير .

وأمرهم أن يعقلوا ما يسمونه عقل رِعاية أي معرفة وفهم .

ثم قال لهم : « إِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ » ، أي من يُرَاعِيهِ وَيَتَدَبَّرُهُ ،
وَمُتَدَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٩٥)

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ سَمِعَ رَحُلًا يَقُولُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فَقَالَ :
إِنْ قَوْلَا « إِنَّا لِلَّهِ » إِفْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمَلِكِ ، وَقَوْلَا : « وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »
إِفْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلِكِ .

الشرح :

قوله إِنَّا لِلَّهِ اعترافٌ بآثاننا مملوكون لله وعبيدٌ له ، لأن هذه اللام لامُ التمليك ، كما سول:
الدارُ لِرَبِّد ؛ فأما قوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(١) ؛ فهو إفرار وأُعرابٌ بالشور
والقيامة ، لأن هذا هو معنى الرجوع إليه سبحانه ، واقتنع أميرُ المؤمنين عن التصريح
بذلك ، فدكر الهلك ، فقال : إنه إفرارٌ هي أنفسنا بالهلك ، لأن هلكا مُعْض إلى
رجوعنا يوم القيامة إليه سبحانه ، فعبر بتقدمة الشيء عن الشيء منه ، كما يقال : الفقرُ
الموت ، والحمى الموت ، ونحو ذلك .

ويمكن أن يمر ذلك على قول مُثْنِي النفس العاطفة بتفسير آخر فيقال : إن النفس
ما دامت في أشد تدابير الدن هي بعمِل عن مَادِئها ، لآمها مشتغلةٌ مستغرقةٌ بغير ذلك ،
فإذا ملك الدن رحمت النفسُ إلى مَادِئها ، فقوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(١) إفرارٌ بما
لا يصح الرجوع بهذا التفسير إلا معته ، وهو الموت المتر عنه بالهلك .

(٩٦)

الأصل :

وقال عليه السلام ومدحه قوم في وجهه :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَقْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ . اللَّهُمَّ احْتَلِنِي حَيْرًا
يَمَّا يَطُئُونَ ، وَاعْبِرْ بِي مَا لَا يَعْلَمُونَ !

الشرح :

قد تقدم القول في كراهية مدح الإنسان في وجهه . وفي الحديث المروء : « إذا
مدحت أهلك في وجهه ، فكأنما أمررت على خلقه مؤتى وميضة » .

وقال أيضا لرجل مدح رجلا في وجهه : « عقرت الرجل عقر ك الله ! » .

وقال أيضا : « لو مشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان حيرا له من أن يُنثى عليه
في وجهه » .

ومن كلام عمر : المدح هو الذبح ؛ قالوا : لأن المدح ينقطع عن الحركة والأعمال ،
وكذلك المدح يفتر عن العمل .

ويقول : قد حصل في القلوب والسفوس ما استعصى به عن الحركة والحد .

ومن أمثال الفلاحين : إذا طار لك صيت بين الحفدة ، فأكسر منجلك .

وقال مطرف بن الشَّخِير : ما سمعتُ من ثناء أحدٍ عني ، أو مدحٍ أحدٍ لي ، إلا وتماغرْتُ
إلى نفسي . وقال زياد بن أبي مسلم : ليس أحدٌ سَمِعَ ثناءً أحدٍ عليه إلا وزأى له
شيطان ، ولكن المؤمن يراجع .

فلما دُكرَ كلامُهما لابن المبارك قال : صدَقا ؛ أمّا قول زياد فتلك قلوبُ الموائم ،
وأمّا قول مطرف فتلك قلوبُ الخوامس .

(٩٧)

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا يَسْتَقِيمُ قَمَاسُ الْخَوَاصِّ إِلَّا بِثَلَاثٍ : بِاسْتِصْنَائِهَا لِتَعَطُّمٍ ، وَبِاسْتِكْتَامِهَا
لِتَطَهَّرَ ، وَبِشَحِيلِهَا بِتَهْمُو

الشرح :

قد تقدّم لنا قولُ مسمى في هذا النحو ، وفي الخواصّ وفصائلها واستنحاجها
وقد جاء في الحديث المرفوع : « استعينوا على حاجاتكم بالكتمان ، فإن كل ذي بركة
محمود » .

وقال خالد بن سفيان : لا تطدّوا الخواصّ في غير حبيها ، ولا تطلّوها إلى غير أهلها ،
ولا تطلّوها ما يستم له ناهل فتكروا للمنع حنقا .

وكان يقال : لكلّ شيء أسّ ، وأسّ الحاجة تمحيلُ أرواح من التأخير

وقال رجلٌ لمحمد بن الحنفية : جئتُك في حويجة ، قال : فاطلب لها رُجِيلا !

وقال شيب بن شبة بن عقال : أمرت لا يحتمل : لا وَحَب الشَّحْج ، وهما العاقل
لا يسأل إلا ما يجوز ، والعاقل لا يردّ الله عنه يُمكن .

وكان يقال : من استعظم حاجة أخيه إليه بمد قصائده امتنا بها فقد استصغر نفسه .

وقال أبو تمام في المظل^(١) :

وكان المظل في مَذَّة وعَوْدٍ دُحْدُحٌ للصنِيعَةِ وهي نارٌ^(٢)
 نسيبَ البُخْلِ مَذَّةً كَانَا وَإِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ فَبَيْنَهُمَا حِوَارُ
 لذلك قيل : بعضُ النَّعْ أَدْنَى إلى حُودٍ ، وبعضُ الحُودِ عَارُ



(١) ديوانه ٢ : ١٥٩ . بشرح التبريزي
 (٢) قال شارح ديوانه : «أى يتأذى » مظل كما يتأذى بالدهان ؛ فكما أن المحمود من النار أن تحلص من
 الدهان ؛ كذلك المحمود من العطاء حلوصه من المظل » .

(٩٨)

الأصل :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاجِلُ ، وَلَا يُطَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمَآخِرُ ،
وَلَا يُصَنَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُصِيفُ ؛ يَمُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ عُرْماً ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً ،
وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ ؛ فَمِمَّا دَلَّ بِكَوْنِ السُّلْطَانِ عَشُورَةَ الْإِمَاءِ ، وَإِمَارَةَ
الصَّبْيَانِ ، وَتَذِيرَ الْحَصِيانِ .

البنج :

الْمَحَلُ : الْكُرَّ وَالْكَيْدُ ؛ يُقَالُ تَحَدَّرَ بِهِ إِذَا سَعَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ ، هُوَ مَاجِلٌ وَتَحُولُ ؛
وَالْمَآخِلَةُ : الْمَآكِرَةُ وَالْمَكَايِدَةُ .

قَوْلُهُ : « وَلَا يُطَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمَآخِرُ » ، لَا يَمُدُّوْنَ أَسَاسُ الْإِنْسَانِ طَرِيفاً إِلَّا إِذَا كَانَ
خَلِيعاً مَاجِئاً مُتَظَاهِراً بِإِفْسَاقٍ .

وَقَوْلُهُ : « وَلَا يُصَنَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُصِيفُ » ، أَيْ إِذَا رَأَوْا إِسَاءَةً عِنْدَهُ وَرَعَ وَإِنْصَافَ
فِي مَعَامَلَتِهِ النَّاسَ عَدُوَّهُ صَعِيفاً ، وَنَسَبُوهُ إِلَى الرِّكَّةِ وَالرَّحْوَةِ ، وَلَيْسَ الشُّبْهُمُ عِنْدَهُمْ
إِلَّا الظَّالِمُ .

ثُمَّ قَالَ : « يَمُدُّونَ الصَّدَقَةَ عُرْماً » ، أَيْ خُسَارَةً^(١) ، وَيَمُدُّونَ إِذَا وَصَلُوا الرَّحِمَ

(١) : « فَرَمًا وَخُسَارَةً » .

وإذا كانوا قوى عبادة استطالوا بها على الناس وتبجحوا بها ، وأعجبهم أنفسهم ، واحتقروا غيرهم .

قال : فعند ذلك يكون السلطان والحكم بين الرعايا بمشورة الإمام . . . إلى آخر الفصل ، وهو من باب الإخبار عن السيوب وهي إحدى آياته ، والمعجزات المختص بها دون الصحابة .

(٩٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

وَهَذَا رَأَى عَلَيْهِ إِذَا دَخَلَ مَرْفُوعٌ ، فَفِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ :
يَخْشَعُ لَهُ الْمَلَأُ ، وَتَدِلُّ بِهِ الْقَمْسُ ، وَتَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ .

الشرح :

قد تقدم القول في هذا الباب ، وذكرنا أن الحكماء والعارفين فيه على قسمين :
منهم من أثر لس الأذى على الأعلى ، ومنهم من عكس الحال ، وكان عمر بن الخطاب
من أصحاب المذهب الأول ، وكذلك أمير المؤمنين ، وهو شعار عيسى بن مريم
عليه السلام ، كان يلبس الصوف وعيط ثياب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس النوعين جميعاً ، وأكثر لُبيته كان الخيد من الثياب مثل أبرار النجس ، وما شا كل
ذلك ، وكانت مدحمتة مورسة^(١) حتى إنها تردع^(٢) على جلده كما جاء في الحديث .
ورأى محمد بن الحنفية عليه السلام واقفا نمرت على بردون أصفر ، وعليه مطارف حز
أصفر ، وجاء فرقد السخى^(٣) إلى الحسن وعلى الحسن مطرف حر ، فحصل يطر إليه
وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن . ما لك تنظر إلى وعلى ثياب أهل الجنة ،

(١) مورسة ، أى مصبوغة بالورس ، وهو بث أمر يكون باليس ، تصبغ به الثياب .

(٢) في اللسان عن أبي عباس : « م ينة عن شئ » من الأردية إلا عن المرعرة أى مردع على الجلد ،
قال : أى تنفص صعباً عليه ، وثوب رديم ؟ مصبوغ بالزعفران .

(٣) ب : « السخى » ، والصواب مأثبه ، مسوب إلى السعة ، موصع بالصرة ، ذكره ياقوت ؟
وذكر بلنبة فرقد إليه .

وعليك ثيابُ أهلِ النار ! إن أخذكم ليَجْعلَ الزهد في ثيابه والكبر في صدره ، فلمؤ أشدَّ محبةً بصوفه من صاحبِ المطرف .

وقال ابن السَّكَّ لَأصحاب الصَّوف : إن كان لباسُكم هداماً وافقاً لسرايركم فلقد أحببتم أن يقطع الناسُ عليها ، ولئن كان محالاً لما لقد همَّكم .

وكان عمر بن عبد العزيز على قاعدة عمر بن الخطاب في مَناسمه ، وكان قبلَ الخلافة يلبس الثياب المُنَمَّة حداثاً ، كان يقول : لقد خِفْتُ أن يَتَجَرَّ ما قسم الله لي من الرِّزْق عما أريدُه من الكسوة ، وما لستُ ثوباً حديداً فقط إلا وحِيلَ لي حينَ بَرَّاه الناسُ أنه سَمِلٌ أو بالي ، فلما وليَ الخلافة تَرَكَ ذلك كله .

وروى سعيدُ بنُ سُوَيْدٍ : قال : صلَّى بـ عمرُ بنُ عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الخبيث من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : إن الله أعطاك يا أمير المؤمنين ؟ فلو لست ؟ فكس مديناً ثم رفع يديه فقال : إن أفضلَ المعصدا ما كان عند الحدة ، وأفضلُ العفو ما كان عند الإقدرة .

وروى عاصمُ بنُ معدة : كس أرى عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة فأعجب من حُسن لونه وحمولة ثيابه وبرته ، ثم دحمت عليه بعد أن ولي ، وإذا هو قد احترق واسود ولصقَ جلده بمطيه ؛ حتى يبس بين الحدد وأمص لحمه ، وإذا عليه قدسوة يصبها فداجتمع قطعها وبلم أنها قد عسلت ، وعيه سحق (١) استعابية قد حرج سداها ، وهو على شاذ كونه (٢) ؛ قد لصقت بالأرض تحت الشاذ كونه عصابة قطوانية (٣) من مشافة الصوف ، وعنده رجل يتكلم ، فرفع صوته ، فقال له عمر : احبص فيلا من صوتك ، فإنما يكفى الرجل من الكلام قدراً ما يُسمعُ صاحبه .

وروى عبيد بن يعقوب أن عمر بن عبد العزيز كان يلبس القرو العليظ من الثياب ، وكان يراجع على ثلاث قصصات فوقهن طين .

(١) جمع سحق ؛ وهو الثوب النالى . (٢) الشاذ كونه : ثياب علاه يعمل باليمن .

(٣) قطوانية : مسربة إلى قطوان ، موضع بالكوفة .

(١٠٠)

الأصل :

إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مَدُونَانِ مُتَعَوْنَانِ ، وَسَيِّلَانِ مُخْتَمِعَانِ ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا
وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا ، وَهَمَّا بِمَعْرِقَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا شِ بَيْنَهُمَا ،
كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ ، وَهَمَّا بِمَدُ ضَرَّتَانِ .

الشرح :

هذا الفصل بَيِّنُ فِي تَفْصِيلِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ
الدُّنْيَا مُضَادٌّ لِعَمَلِ الْآخَرَى ، فَعَمَلُ هَذِهِ : الْاِكْتِسَابُ ، وَالْاِصْطِرَابُ^(١) فِي الرِّقِّ ،
وَالْاهْتِمَامُ بِأَمْرِ الْمَعَاشِ ، وَالْوَلَدُ وَالزُّوْجَةُ ، وَمَا نَاسَبَ ذَلِكَ . وَعَمَلُ هَذِهِ : قَطْعُ الْعَلَائِقِ ،
وَرَفْضُ الشَّهَوَاتِ ، وَالْاِتِّصَابُ لِلْعِبَادَةِ ، وَصَرْفُ الْوَحْيِ عَنْ كُلِّ مَا يَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَمُسْلُومٌ أَنْ هَذَيْنِ الْعَمَلَيْنِ مُتَعَادَانِ ، فَلَا جَرَمَ كَأَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَّتَيْنِ
لَا يَجْتَمِعَانِ !

(١) : دَوَالِصُ الْعَرَبِ وَ سَبِيلُ الرِّقِّ .

(١٠١)

الأصل:

وَعَنْ نَوْفٍ السَّكَّانِي - وَفِي السَّكَّانِي بِالنَّمْلِ ؛ وَهُوَ الْأَصَحُّ - قَالَ :
رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاثَ لَيْلَةٍ وَقَدْ حَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَطَرَّ إِلَى
النَّجُومِ ، فَقَالَ : يَا نَوْفُ ، أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ ؟ قُلْتُ : بَلِ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
فَقَالَ : يَا نَوْفُ ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، الرَّامِقِينَ فِي الْآخِرَةِ ! أُولَئِكَ قَوْمٌ
اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا ، وَتَرَاتِبَهَا فِرَاشًا ، وَمَاءَهَا طَبِيبًا ، وَالْقُرْآنَ شِمَارًا ، وَالذُّعَاءَ
دِيَارًا ، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مَنَاحِرِ الْمَسِيحِ . يَا نَوْفُ ، إِنْ مَوَاوِدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَامَ أَوْ مِثْلُ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : بِأَسْمَا لَسَاعَةٍ لَا يَدْعُو فِيهَا عَدُوٌّ إِلَّا
اسْتَجِيبَ لَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَنَارًا ، أَوْ عَرِيقًا ، أَوْ شُرْطِيًا ، أَوْ صَاحِبَ عَرِطَةٍ
- وَهِيَ الطُّنُورُ - أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ ، وَهِيَ الطَّبْلُ .

وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا : إِنَّ الْعَرِطَةَ الطَّبْلُ ، وَلكُوبَةُ الطُّنُورُ .

• • •

الشرح :

قال صاحب الصحاح : نَوْفُ السَّكَّانِي كل صاحب على عليه السلام .
وقال ثعلب : هو مسوب إلى قبيلة تدعى بـكالة ، ولم يذكر من أي العرب هي ،
والظاهر أنها من اليمن ، وأما بكيل فهي من همدان ، وإليهم أشار الكميت بقوله :
• فقد شركت فيه بكيل وأزحبت •^(١)

(١) صدره : • يقولون لم يورث ولولا زرائعه •

فَأَمَّا الْبُكَالَىٰ فِي نَسَبِ نَوْفٍ فَلَا أَعْرِفُهُ .

قوله : أم رامق ، أي أم مستيقظ ترمق السماء والحوم بصرك .

قوله : قرصوا الدنيا ، أي تركوها وحقوها وراء ظهورهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا

عَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ ^(١) أي تتركهم وتخليهم شمالا ، ويقول ارحل لصاحبه :

هل صردت بمكان كذا ، يقول : نعم قرصته يلا ذات اليمين ، وأشدّ لدى الرمة .

إلى طعن يقرضن أحوار مشرب شمالا وعن أيمنهن الموارس ^(٢)

قالوا : مشرب والموارس : موصال ، يقول : نظرت إلى طعن يحرق بن هدي

الموضمين .

(١) سورة الكهف ١٧ . (٢) الصحاح (قرص) .

(١٠٢)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُصِيعُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا
فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَكَلَّمَ لَكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ
وَلَمْ يَدَعِهَا نِسْيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا .

البيان :

قال الله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَسْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ لَكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ ^(١) .

وجاء في الآخر : أَسْأَلُوا مَا أُبَيِّهُمُ اللَّهُ .

وقال بعض الصالحين لبعض الفقهاء : لِمَ تَمْرُضُ مَسَائِلَ لَمْ تَقَعْ وَأَتَمَّتْ فِيهَا فِكْرُكَ
حَسْبُكَ بِالْمَعْدَاوِلِ بَيْنَ النَّاسِ .

قالوا : هَذَا يَمِثُلُ قَوْلِهِمْ فِي هَذِهِ النَّسْجَةِ عَلَى الْحَقِّ : فَإِنْ مَسَّحَ عَلَى حَفٍّ مِنْ رُحَاجٍ ،
وَنَحَوَ ذَلِكَ مِنَ النَّوَادِرِ الْمَرِيَّةِ .

وقال شريك في أبي حنيفة : أَحْمَلُ أَسْرَى كُلِّ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَا لَمْ يَكُنْ .

وقال عمر : لَا تَتَنَارَعُوا فِي مَا لَمْ يَكُنْ فَتَحْتَمُوا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا كَانَ أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَأَنْتَ هَاكِ الْحَرَمَةُ : تَمَازُهَا عَمَّا لَا يَحِلُّ ، بِمَا نَارْتَكِبُ مَا نَهَى عَنْهُ ، أَوْ بِالْإِخْلَالِ
بِمَا أُمِرَ بِهِ .

(١٠٣)

الأصل :

لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِغْلَاحِ دُيَّانِهِمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

الشرح :

مثال ذلك إنسان يصيِّع وقت صلاة الفريضة عليه ، وهو مشتغل بمحاسبة وكياله
ومعافاته على ماله ، خوفًا أن يكون حائث في شيء منه ، فهو يحرص على مناقشته عليه ،
فتعوقه الصلاة .

قال عليه السلام : مَنْ عَمَلَ مِثْلَ هَذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُيَّانِهِ وَمَالِهِ مَا هُوَ
أَضَرُّ عَلَيْهِ مِمَّا رَامَ أَنْ يَسْتَدْرِكَهُ بِإِهْمَالِهِ الْفَرِيضَةَ .

(١٠٤)

الأصل :

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ .

• • •

الشرح :

قد وقع مثل هذا كثيرا ، كما حرّى لعبد الله بن المقفع ، وفصله مشهور ، وحِكْمَتُهُ أَشْهَرُ من أن تذكر ، ولو لم يكن له إلا كتاب " إيتيمه " لكفى .

[عَمَّ الْمَقْفَع]

واحتتمع ابنُ المقفع بالحليل بن أحد ، وسمع كلَّ منهما كلام الآخر ، فسئل الحليلُ عنه فقال : وجدتُ علمه أكثرَ من علمه ؛ وهكذا كان ، فإنه كان مع حكيمته منهوراً ، لا حرَمَ تهوُّره قَتَلَهُ ! كتب كتابَ أمان لعبد الله بن عليّ عمّ المنصور ويوجد فيه خطه ، فكان من جملة : ومتى عدّ أمير المؤمنين بعنه عبد الله ، أو أبطن غير ما أظهر أو تأوّل في شيء من شروط هذا الأمان فساؤه طوالق ، ودواته حُتس ، وعبيده وإماؤه أحرار ، والمسلمون في حلٍّ من بيعته . فاشتدّ ذلك على المنصور لما وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب له الأمان ؟ فقيل له : عبد الله بن المقفع كاتبُ عمّك عيسى وسديان ، انسى على بالبصرة ، فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سُميَّين بن معاوية يأمره بقتله .

وفيل : بل قال : أمّا أحدُ يكبيّ ابنَ المقفع ! فكتب أبو الخصب بها إلى

سفيان بن معاوية المهلبى أمير البصرة يومئذ - وكان سفيان واحداً على ابن المقفع لأنه كان يعبث به ويصحبك منه دائماً ، فنصب سفيان يوماً من كلامه ، واقترب عليه ، فرد ابن المقفع عليه ردّاً قاحشاً ، وقال له : يا ابن المعتمة ! وكل من يتمتع ويمتصم بعيسى وسليمان ابني علي بن عبد الله بن العباس ، فحقدها سفيان عليه - فلما كوتب في أمره مما كوتب اعتزم قتله ، فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة ، منهم ابن المقفع ، فأدخل ابن المقفع قبلهم ، وعدل به إلى حجرة في دهيضة ، وحلّس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاوية ، وعنده علمانه وتؤور نار يسحر ، فقال له سفيان : أتذكر يوم قاتلني كذا ! أى معتمة ! إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد ! ثم قطع أعضائه عَصَوا عَصَوا ، وألقاها في النار وهو سطر إليها حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطلق التتور عليه ، وخرج إلى اناس فكلمهم ، فلما خرجوا من عنده تحلف علام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج ، فمضى وأخبر عيسى بن علي وأخاه سليمان بحاله ، لحاسبا سفيان بن معاوية في أمره ، فحدد دُحو له إليه ، فأشخصاه إلى المنصور ، وقامت البيعة المادلة أن ابن المقفع دخل دار سفيان حيا سليما ولم يخرج منها . فقال المنصور : أنا أنظر في هذا الأمر إن شاء الله غداً ؟ فجاء سفيان ليلاً إلى المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، أتق الله في صديقتك ومتنع أمرك ، قال . لا ترع ، واحضركم في غد ، وقامت الشهادة ، وطلب سليمان وعيسى القصاص ، فقال المنصور : أرايتم بن قتلت سفيان ابن المقفع ، ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب - وأوماً إلى باب حنفة - من ينصب لي معه حتى أقتله بسفيان ؟ فسكتوا ، واندفع الأمر ، وأمر ب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع لديها ، وذهب دمه هدراً .

قيل للأصمعي : أيما كل أعظم ذكاء وفطنة الخليل أم ابن المقفع ؟ فقال : كان ابن المقفع أفصح وأحكم ، والخليل أدب وأقل ، ثم قال : شتان ما بين عظمة أفصت بصاحبها إلى القتل ، وفطنة أفصت بصاحبها إلى الشك والزهد في الدنيا ! وكان الخليل قد نكس قبل أن يموت .

(١٠٥)

الأصل :

لَقَدْ عَلَوْ بِبَيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَصَنَةُ هِيَ مُعْجَبٌ مَا فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ ، وَدَلَّكَ أَنَّ لَهُ
مَوَادَّ مِنْ الْحِكْمَةِ وَأَصْدَادًا مِنْ حِلَافِهَا ، فَبِنُ سَخَّ لَهُ الرَّحَاءُ ، دَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ
هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ هَمَّكَهُ الْخُرُصُ ، وَإِنْ مَكَّكَ الْيَأْسُ فَتَّهَ الْأَسَفُ ، وَإِنْ عَرَّصَ
لَهُ الْغَصَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ ، وَإِنْ أَسَدَّ لُزْمَ نَيْيَ اسْتَحْطَ ، وَإِنْ عَالَهُ الْخَوْفُ
شَعَّهَ الْخُذْرُ ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَّتْهُ الْبِرَّةُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّهَ
الْخُرْعُ ، وَإِنْ أَقْدَمَ مَا لَا أَطْعَامَ الْغَيْبِ ، وَإِنْ عَصَّتْهُ الْهَفَاةُ شَعَّهَ النَّلَاةُ ، وَإِنْ حَمَدَهُ الْخَوْفُ
قَمَدَتْ بِهِ الصَّعَةُ ، وَإِنْ افْرَطَ بِهِ السَّخَرُ كَطَنَتْهُ الرِّبَاةُ ، فَكُلُّ هَافٍ بِهِ مُصِرٌّ ،
وَكُلُّ افْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

التبريح :

رَوَى : «عَمَدُ بِهِ الصَّعَفُ» . وَاسْيَاطُ . عَرَفَى عُتَقَ بِهِ الْقَلْبُ مِنَ الْوَتَنِ ، فَإِذَا قُطِعَ مَا تَ
صَاحَبُهُ ، وَيَقَالُ لَهُ التَّيْطُ أَيْضًا . وَالنَّصْفَةُ يَفْتَحُ س . الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ ، وَالْمَرَادُ بِهَا هَا هُنَا
الْقَلْبُ ؛ وَقَالَ : يَفْتَوِّرُ الْقَلْبُ حَالَاتٍ مَحْدَدَاتٍ مُتَصِدَاتٍ ، فَمَعْصُهَا مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَبَعْصُهَا
— وَهُوَ الْمَصَادُ لَهَا — مَوَاقِفُ لِحِكْمَةٍ ، وَمِنْ يَدُ كُرْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَيْسَ الْأُمُورُ الَّتِي عَدَّهَا
شَرْحًا لِمَا قَدَّمَهُ مِنْ هَذَا ، كَلَامُ الْمُحْمَلِ ، وَإِنْ طَرَفَ هُوَ أَنَّهُ أَرَادَ ذَلِكَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأُمُورَ
الَّتِي عَدَّهَا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَابِ الْحِكْمَةِ وَحِلَافِهَا ؟

فإن قلت : فما مثال الحكمة وخلافها ، وإن لم يذكر عليه السلام مثاله ؟
قلت : كالشجاعة في القلب وصيدها الخش ، وكالجلود وصيده البخل ، وكالمنعة وصيدها
الفجور ، ونحو ذلك .

فأمّا الأمور التي عدّها عليه السلام مكرام مستأنف ، إنما هو بيان أن كل شيء مما
يتعلق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرّجاء ، فإنّ الإنسان إذا اشتدّ رجاؤه أدّاه الطمع ،
والطمع يتبع الرّجاء ، والفرق بين الطمع والرّجاء أن الرّجاء توقع منفعة ممن سيبله أن
تصدر تلك المنفعة عنه ، والطمع توقع منفعة ممن يستعد وقوع تلك المنفعة منه ؛ ثم قال :
وإن هاج به الطمع قتله الحرص ، وذلك لأن الحرص يمنع الطمع ، إذا لم يعلم الطامع أنّه
طامع ، وإنما يظن أنّه راج .

ثم قال : وإن منسكه اليأس ، قتله الأسف ، أكثر الناس إذا يئسوا أسعوا
ثم عدّد الأخلاق وعبرها من الأمور الواردة في الفصل إلى آخره ، ثم حتمه بأن قال :
« فكل تقصير به مضرة ، وكل إفراط له مفيدة » ؛ وقد سبق كلامنا في المدالة ، وإنها الدرجة
الوسطى بين طرفين هما رذيلتان ، والمدالة هي العصية ، كالجلود الذي يكتنفه التبدير والإمساك ،
والذّكاء الذي يكتنفيه البؤاة . والجريرة^(١) ، والشجاعة التي يكتنفها الهوج والخجل ،
ومرّحنا ما قاله الحكماء في ذلك شرحا كافيًا ، فلا معنى لإعادته .

(١٠٦)

الأصل :

نَحْنُ الشَّرْقَةُ الْوُسْطَى الَّتِي يَتَحَقُّ بِهَا اسْتِثْنَاءٌ ، وَلِأَيِّهَا يَرْجِعُ الْعَالِي .

الشرح :

الشَّرْقُ والشَّرْقَةُ بالضم فيهما : وسادةٌ صغيرةٌ ، ويحوز الشَّرْقَةُ بالكسر فيهما ؛ ويقال للطَّنْفَةِ فوق الرَّحْلِ شَرْقَةٌ . والمعنى أن كلَّ فضيلةٍ فرائدُها مجتمعةٌ بطَرَفَيْنِ معدَّودَيْنِ من الرَّدَائِلِ كما أوصحناه آريفاً ، والمراد أن كلَّ محمدٍ عليه وعليهم السلام هم الأمرُ المتوسِّطُ بين العَارِفِينَ المسمومين ، فكلُّ مَنْ جاورهم فالواجب أن يرجع إليهم ، وكلُّ مَنْ فُصِّرَ عنهم فالواجب أن يتلحق بهم .

فإن قلت : فلمَ استعار لفظَ الشَّرْقَةِ لهذا المعنى ؟

قلت : لما كانوا يقولون : قد رَكِبَ فلانٌ من الأمرِ مُنْكَرًا وقد أَدْنَسَكَ الرَّأْيَ الفلاني ، وكانت الطَّنْفَةُ فوق الرَّحْلِ ممَّا يُرَكَّبُ ، استعارَ لفظَ الشَّرْقَةِ لما يراه الإنسانُ مَذْهَبًا يَرْجِعُ إليه ويكون كالرَّأْيِ له ، والحالُ عليه ، والتَّوَرُّكُ فوقه .

ويحوز أيضاً أن تكون لفظة « الوُسْطَى » برادٍ بها الفُصْلَى ؛ يقال : هذه هي الطريقةُ الوُسْطَى ، والخلِيقَةُ الوُسْطَى ، أي النُصْبَى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ ﴾ ^(١) أي أفضَلُهم ، ومنه : ﴿ حَمَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(٢) .

(١) سورة النجم ٢٨ . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(١٠٧)

الأصل :

لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَارِعُ ، وَلَا يُصَارِعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطْمَعِ .

الفتح :

قد سبق من كلام عمرَ شَيْءٌ يُصَارِعُ هَذَا ، إن لم يكن هو سَمِينُهُ ، والمُصَارَعَةُ : تَدُلُّ
الرُّشُوءَ . وفي المثل : مَنْ صَارَعَ الْمَالَ ، لم يَحْتَنِمِ مِنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ .

وإن قلت : كُنْ يَمْنَى أَنْ يَقُولَ : « مَنْ لَا يُصَارِعُ » بالفتح .

قلتُ : الْمُعَامَلَةُ تَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْفِعْلِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ كَالْمُصَارَبَةِ وَالْمُتَابَعَةِ .

وَصَارِعٌ : يَتَمَرَّضُ لَطَلَبِ الْحَاجَةِ ؛ وَيَحْوَرُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّرَاعَةِ وَهِيَ الْخُصُوعُ

أَيَّ يَحْصَعُ لِزَيْدٍ لِيَحْصَعَ رِيْدُهُ ؛ وَيَحْوَرُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَصَارَعَةِ بِمَعْنَى الْمَشَابَهَةِ ،

أَيَّ لَا يَنْشَبُهُ بِأُتْمَةِ الْحَقِّ أَوْ وِلَاةِ الْحَقِّ ، وَبِئْسَ مِنْهُمْ .

وَأَمَّا اتِّمَاعُ الْمَطْمَعِ فَمَعْرُوفٌ .

(١٠٨)

الأضل :

وقال عليه السلام ، وقد توفى سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مراحله
من صين معه ، وكان من أحب الناس إليه :
لو أحسني جبل لتهاقت .

قال الرضي رحمه الله تعالى :

ومعنى ذلك أن النحلة تلتصق عليه ، فتسرع المصائب إليه ، ولا يفعل ذلك
إلا بالأتقياء الأبرار ، المصطفين الأخيار . وهذا مثل قوله عليه السلام : « من
أحبنا أهل البيت قلنسمة له من حنابا » وقد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا
موضع ذكره .

السنخ :

قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قال له : « لا يحبك إلا مؤمن ؛ ولا ينصك
إلا منافق » .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « إن الذي أسرع إلى المؤمن من
الماء إلى الخدور » .

وفي حديث آخر : « المؤمن منقى ، والكافر موقى » .

وفي حديث آخر : « خيركم عند الله أعظمكم مصائب في نفسه وماله وولده » .
وهاتان القدمتان يلزمهما نتيجة صادقة ، وهي أنه عليه السلام لو أحبه جبل لتهاقت .
ولعل هذا هو مراد الرضي بقوله : « وقد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره » .

(١٠٩)

الأصل :

لا مالَ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَلَا وَحْدَةَ أَرْحَسُ مِنَ الْمُخْبِرِ ، وَلَا عَقْلَ كَالْتَّذِيرِ ،
وَلَا كَرَمَ كَالْتَّقْوَى ، وَلَا قَرِيبَ كَعُسْرِ الْخَافِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، وَلَا قَائِدَ
كَالتَّوْفِيقِ ، وَلَا نَحَارَةَ كَالْعَمَلِ الْمَاضِ ، وَلَا رَزَعَ كَالثَّوَابِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُفُوفِ
مِنْدَ الشُّبُهَةِ ، وَلَا رُفْدَ كَالرُّهْدِ فِي الْحَرَامِ ، وَلَا عِلْمَ كَالْتَعَسُّكِ ، وَلَا عِبَادَةَ
كَأَدَاءِ الْعَرَائِضِ .

وَلَا إِعَانَ كَالْحَبِيءِ وَالصَّبْرِ ، وَلَا حَسَبَ كَالسَّوَامِجِ ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ ، وَلَا مِرَّةً
كَالْحِلْمِ ، وَلَا مَظَاهِرَةً أَوْثَقُ مِنَ الشَّوَرَةِ .

• • •

الشرح :

قد تقدم الكلام في جميع هذه الحكم .

أما المال فإن العقل أَعُوذُ منه ، لأن الأحمق إذا المال طالما ذهب ماله بحمقه ، فعاد أحمق
فقيرا ، والماعل الذي لا مال له طالما اكتسب المال بعبه ، وبقي عقله عنه .

وأما العُجْبُ فهو ح المَقْت ، ومن مَقْتُ أفرد عن المحالطة واستوحش به ، ولا رَيْبُ أن
التدبير هو أفصلُ العقل ، لأن العيش كله في التدبير .

وأما التقوى فقد قال الله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ ^(١) .

وأما الأدب فقالت الحكماء : ما ورثت الآباء أبناءها كالأدب .

وأما التوفيق فمن لم يكن قائده ضل .

وأما العمل الصالح ، فإنه أشرف التجارات ، فقد قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(١) .

ثم عدا الأعمال الصالحة .

وأما الثواب فهو الربح الحقيقي ، وأما ربح الدنيا فشبه بحم النائم .

وأما الوقوف عند الشبهات فهو حقيقة الورع ، ولا ريب أن من يزهد في الحرام

أفصل ممن يزهد في الباطل ، كالمآكل المدينة ، والملابس الباطلة ، وقد وصف الله تعالى

أرباب التفكير فقال : ﴿ وَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) . وقال :

﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا ﴾ ولا ريب أن العادة بأداء الفرائض فوق العادة بالتواضع . والحياة

مع الإيمان ، وكذلك الصبر والتواضع مصيدة الشرف ، وذلك هو الحسب ، وأشرف

الأشياء العلم ، لأنه خاصة الإنسان ، وبه يقع المحصل بينه وبين سائر الحيوان .

والمشورة من الحرم وإن عقل غيرك نستصفيه إلى عقلك . ومن كلام بعض الحكماء :

إذا استشارك عدوك في الأمر فاحصه أصحبه في الرأي ، فإنه إن عمل برأيك وانتفع

ندم على إفراطه في مُناوأتك ، وأقصت عداوته إلى المودة ، وإن خالفك واستضرّ عرف

فقد أمانتك بنصحه ، وتلفت لماك في مكروهه .

(١١٠)

الأصل :

إِذَا اسْتَوَى الصَّالِحُ عَلَى الزَّمانِ وَأَهْبَهُ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَطْهَرْ مِنْهُ
حَوْبَةً ، فَقَدْ ظَلَمَ ، وَإِذَا اسْتَوَى السَّادُّ عَلَى الزَّمانِ وَأَهْبَهُ ، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ
فَقَدْ عَرَّوْهُ .

الشرح :

يريد أنه يتعبن على العاقل سوء الظن حيث الزمان حسد ، ولا يسعى له سوء الظن حيث الزمان
صالح ، وقد جاء في الخبر المرفوع الهى عن أن يظن المسلم بالمسلم ظن سوء ، وذلك محمول
على المسلم الذى لم تطهر منه حوبة ، كما أشار إليه على عليه السلام ، والحوبة : المصيبة ،
والخبر هو ما رواه جابر قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فقال : « مرحباً
بك من بيتي ! ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله
عز وجل ؛ لأن الله حرّم منك واحدة ، ومن المؤمن ثلاثة : دمه وماله وأن يظن به ظن سوء » .
ومن كلام عمر ؛ صغ امرأ حيك على أخيه حتى يحى ما يملك منه ، ولا تظن
بكلمة خرجت من فم أحبك المسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً ، ومن عرّص نفسه
للتهم فلا يلومن من أساء به الظن .

شاعر :

أَسَاءْتُ إِذَا أَحْسَنْتُ ظَنِّي نَكْمًا وَالْحَرَمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

قيل لعالم : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من لا يثق بأحدٍ لسوء ظنّه ، ولا يثق به أحدٌ لسوء فعله .

شاعر :

وفد كان حُسنُ العُنِّ بعضَ مَدَاهِي فُذِّبَني هذا الزمانُ وأهلُهُ

قيل لصوقي : ما صناعتك ؟ قال : حُسنُ العُنِّ بالله ، وسوءُ العُنِّ بالناس .
وكان يقال : ما أحسنَ حُسنَ العُنِّ إلا أن فيه المحر ، وما أقبحَ سوءَ العُنِّ إلا أن فيه الحُزْم .

ابن المنر :

تَعَقَّدَ مَسَافِطَ لَحْظِ الْمُرَبِّ فَمِنْ الْمَيُونِ وَجْهُ الْقُلُوبِ (١)
وَطَالَيْعَ بَوَادِرِ فِي السَّكَّامِ فَأَبْلَغَ تَحْنِي ثَمَارَ الْمَيُوبِ

(١١١)

الأصل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ :
كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى يَبْقَاهُ ، وَيَسْتَمُ بِصِحَّتِهِ ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ .

الشرح :

هذا مثل قول عبدة بن الطبيب :

أَرَى بَصِيرِي مَدَّ رَأْسِي بَعْدَ مِخَةٍ وَحَسْبُكَ دَاهٍ أَنْ تَصِيحَ وَنَسَلَمَا
وَلَنْ يَكِلَتْ الْمَصْرَانِ يَوْمَ وَلِيَّةٍ إِذَا طَلَمَا أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيْمَمَا

وقال آخر :

كَانَتْ قَسَائِي لَا تَلِينُ لِعَاصِرٍ مَا لَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّتِي إِذَا السَّلَامَةُ دَاهٍ

(١١٢)

الأصل :

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَعْرُودٍ بِالسُّرِّ عَلَيْهِ ، وَمَقْتُونٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ فِيهِ ! وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

الشرح :

قد تقدم القول في الاستدراج والإملاء

فأما القول في قصة الإِسَاءِ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ فَقَدْ ذَكَرْنَا أَيْضًا طَرَفًا سَالِحًا تَعَلَّقَ بِهَا .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِرَجُلٍ مَدَحَ رَجُلًا وَقَدْ مَرَّ بِمَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمِنْ يَسْمَعُ ، وَلَكِنْ قَالَ : « وَيَبْحَثُ لَكَ دَنْصِيرٌ عُنُقَهُ » ، لَوْ تَمِيعُهَا
لَا أَفْلَحَ .

(١١٣)

الأصل :

هَلَكَ فِي رَجُلَانِ : مُحِبُّ عَالٍ ، وَمُسْتَفِيسٌ قَلِيلٍ .

الْبَرْكَ :

قد تقدم القول في مثل هذا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا والله لولا أني
أشفق أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم ، لقلت فيك اليوم
معالا لا تمر مأحدي من الناس إلا أحدوا رأيت من تحت قدميك للبركة .
ومع كونه صلى الله عليه وآله لم يقل فيه ذلك القال فقد عنت فيه علاقة كثيرة العدد
منتشرة في الدنيا ، يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى في ابن مريم ، وأشنع من ذلك
الاعتقاد .

فأما المنقض القالي فقد رأينا من ينصه ، ولكن ما رأينا من يكلمه ويصرح بالبراءة
منه ، ويقال : إن في هُمان وما والاها من نُصر وما يحري بحرأها قوماً يعتقدون فيه
ما كانت الخوارج تعتقده فيه ، وأنا أرا^(١) إلى الله منهما .

(١) ونحن نرا .

(١١٤)

الأجمل :

إصاعة الفرصة غصة .

الشيخ :

في المثل : اتعروا الفرص ، فإنها تمر مرة التحاب .

وقال الشاعر :

وإن أمكت فرصة في السدود () فلا يكُ همك إلا بها
فإن تك لم تلب من بابها أنك عدوك من بابها
وإياك من ندم بعدها وتأميل أخرى ، وأنى لها ..؟

(١١٥)

الأصل :

مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهَى ، وَالسُّمُّ النَّافِعُ فِي جَوْفِهَا ؛ يَهْوَى إِلَيْهَا
الْفِرُّ الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ .

• • •

الشرح :

قد تقدم القول في الدنيا مرارا ، وقد أخذ أبو القاسم هذا المعنى فقال :
إِنَّمَا الدُّهْرُ أَرْقَمُ لَيِّنُ الْمَسِّ وَفِي بَإِهِ السَّقَامُ الْمَعَامُ

(١١٦)

الأصل :

وقال عليه السلام : وَفَدَّ سُيْلٌ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ :
أَمَّا بَنُو مَخْرُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ ، نُحَيْبٌ حَدِيثَ رَجَالِهِمْ ، وَالنُّكَاحُ فِي نِسَائِهِمْ .
وَأَمَّا نَسُو عِنْدَ شَمْسٍ فَأَتَمَدَّهَا رَأْيًا ، وَأَسْمَهَا لِمَا وَرَاءَ طُمُورِهَا ، وَأَمَّا نَحْرُ فَأُبدِلَ لِمَا
فِي أَيْدِيهَا وَأُسْمِعُ عِنْدَ الْمَوْتِ سُبُوسِيًا ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَمْكَرُ ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ
وَأَنْصَحُ وَأَصْنَحُ .

الْبَرْخُ :

[فصل في نسب بى مخروم وطرف من أخبارهم]

قد تقدم القول في مُعَاخَرَةِ هَاشِمٍ وَعَمْرِ شَمْسٍ ، فَأَمَّا بَنُو مَخْرُومٍ فَأَتَمَدَّ هَدْيُ الْبَيْتَيْنِ
الْحُرُّ قُرَيْشٍ وَأَعْظَمُهَا شَرْفًا .

قال شيخنا أبو عثمان : حطيتُ مَخْرُومًا ، لِأَشْعَارٍ ، فَأَشْرَطَ لَهَا صِبْتُ عَظِيمٍ بِهَا ، وَاتَّفَقَ
لَهُمْ فِيهَا مَا لَمْ يَتَّفَقْ لِأَحَدٍ ، وَدَلَّكَ أَنَّهُ يُصَرَّبُ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي الْبِرِّ وَالْمَنْعَةِ وَالْجُودِ وَالشَّرَفِ
وَأَوْضَعُوا فِي كُلِّ غَايَةٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سِيحَانِ الْحُسْرَى حَلِيفِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي كَلْمَةِ لَهُ :

* وَحِينَ يَنْأَغِي الرَّكْبُ مَوْتَ هَشَامِ *

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا تَقُولُهُ مَخْرُومٌ فِي التَّارِيخِ حَقٌّ ، وَدَلَّكَ أَنََّّهُمْ قَالُوا : كَانَتْ قُرَيْشٌ
وَكُنَانَةٌ وَمِنْ الْإِلَهِ مِنَ النَّاسِ يُوْرِّخُونَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : كَانُوا يَقُولُونَ : كَانَ ذَلِكَ زَمَنَ

مَبْنَى الكعبة ، وكان ذلك من عَمَى المِيل ، وكان ذلك عامَ مَاتَ هشامُ بنُ المغيرة . كما كانت العرب تُوَرِّخُ فتقول : كان ذلك رَمَسَ بَيْضِجِل ، وكان ذلك زَمَنَ الحَيَّاس ، وكان ذلك زَمَنَ الحِجَارَةِ ، وكان ذلك عامَ الحِجَاف ، والرُّوَاةُ تَعْمَلُ صَرْبَ المَثَلِ من أعظمِ المَعَاخِرِ ، وأظهرَ الدلائلَ . والشُّعْرُ - كما علمت - كما يَرَفَعُ بَصْعَ ، كما رَفَعَ من بَنَى أُنْفَ اساقفة قول الخطيئة :

قومٌ لهم الأُنْفُ والأَدْنَابُ عِزُّهُمْ ومن بسوئى نَأْمٍ اساقفة الدُّنْيَا ؟
وكا وَضَعَ من بَنَى مُعْمِرٍ قولُ جَرِيرٍ :

مُعْمِرُ الطَّرَفِ بِكَ من مُعْمِرٍ فلا كَمْنَا بَلَمْتَ ولا كِلَامَا
فلقيتُ مُعْمِرَ من هذا البيت ما لَقِيتُ .

وجعلهم الشاعر مثلاً فيمَسَ وَضَعَهُ المَجْهَاءُ ، وهو يَهْجُو قوماً من العرب :

وسوف يَرِيدُكُمْ صَنَةً عَمَانِي كما وَضَعَ المَحْصَاءُ بَنَى مُعْمِرٍ
وَمُعْمِرٌ قَبِيلٌ شَرِيفٌ ، وقد كَلَّمَ في شَرَفِهِمْ هذا السَّيِّدُ .

وقال ابنُ عَرَالَةَ الكِنْدِيُّ ؛ وهو يَمْدَحُ بَنَى شَنْسَلٍ ولم يَكُنْ في موضعِ رَغْبَةٍ إلى بَنَى مَخْزُومٍ ، ولا في موضعِ رَهْبَةٍ :

كَأَنِّي إِذَا حَطَّطْتُ الرَّحْلَ فِيهِمْ نَمَكَةً حِينَ حَلَّ بِهَا هِشَامُ
فَضْرَبَ بِهِشَامَ المَثَلُ .

وقال رَحْلٌ من بَنَى حَرَمٍ أَحَدُ بَنَى سَعْيٍ ، وهو يَمْدَحُ حَرْبَ بَنَى مَعَاوِيَةَ الحَفَاحِيَّ وحَفَاحَةً من بَنَى عُقَيْلٍ :

إِلَى حَزَنِ الحَزُونِ تَحْتُ رِكَابِي بَوَابِلُ حَنْفِهَا عَسَلَانُ جَيْشِ

فلما أن أُنْتُتُ إلى دُرَاهُ أَمِنْتُ قَرَّاشِي مِنْهُ رِيْشُ
تَوَسَّطَ بَيْنَهُ فِي آلِ كَعْبٍ كَبِيتَ بَنِي مَغْبِرَةَ فِي مَرِيْشِ
فَضْرَبَ الْمَثْلَ بَيْنَهُمْ فِي قَرِيْشِ .

وقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم :

مَارَسْتُ أَكْبَسَ مِنْ سِي قَطَطٍ صَبَّ الذَّرَا مَتَمَّعَ الْأَرْكَانِ
بَنِي طَمَعْتُ بِفَخْرٍ مِنْ لَوْ دَامَهُ آلُ الْمُصِيرَةِ أَوْ بَنُو دَكْوَانِ
مَلَأْنَاهَا حَيْلًا نَصَبَ لُثَاثُهَا مِثْلَ الدَّمَاءِ وَكَوَايِصِ الْعِقَابِ
مِنْهُمْ هِشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَعِندَهُمْ وَأَبُو أُمَيَّةَ تَمَرَعُ الرُّكَّانِ
فَضْرَبَ الْمَثْلَ بِآلِ الْعَبْرَةِ .

وأما سود كَوَانِ فهو نَذْرٌ مِنْ عَمْرِو بْنِ حَوِيَّةَ بْنِ دَكْوَانَ أَحَدِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ قَرَّارٍ
مِنْهُمْ خُدَعَةٌ وَحَمَلٌ وَرَهْطُهُمَا ، وَقَالَ سَالِكٌ بْنُ مَوْيِزَةَ :

أَلَمْ يَنْهَ عَنَّا حَرْبُ بَكْرِ بْنِ وَثِيلٍ هَرَبَتْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لُزَامِ
فَمِنْهُمْ يَوْمُ الشَّرِّ أَوْ يَوْمُ مَنِيْحٍ وَمَا لِحَرْعٍ إِذْ فَتَمَنَ حَتَّى عَصَامِ
أَحَدِيْثُ شَاعَتْ فِي مَعَدٍّ وَعَبْرَهَا وَحَبَّهَا الرُّكَّانُ حَتَّى هِشَامِ
فَجَعَلَ قَرِيْشًا كُلَّهَا حَيًّا لِهِشَامِ :

وقال عبد الله بن ثور الحجاجي :

وَأَصَحَّ بَطْنُ مَكَّةَ مَقْشِرًا كَانَ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ^(١)

وهذا مَثْلٌ وَفَوْقَ الْمَثَلِ .

قالوا : وقال الخروف الكلي - وقد مرَّ به ناسٌ مِنْ تَحَارِ قَرِيْشٍ يَرِيدُونَ الشَّامَ بِأَدِينِ

(١) الكامل للبهراني ٢ : ١٤٢ من غير نسبة : قال في شرحه : هو يقول : هو وإن كان مات فهو
مَدِينٌ فِي الْأَرْضِ ؟ فَقَدْ كَانَ يَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ يَأْتِيَهَا جَدْبٌ .

قشيرين - : مالكم معاشر قريش هكذا أحدثتم أم مات هشام ، فجعل موت هشام يراة
الحلب والمحل ، وفي هذا المعنى قال مسافر بن أبي عمرو :

تقول لنا الركب أن في كل منزل : أمات هشام أم أصابكم جذب ؟
فجعل موت هشام وقعد النيث سواء .

وقال عبد الله بن سلمة بن قشير :

دهيني أصطبع يابكر إني رأيت الموت نقب عن هشام^(١)
وقال أبو الطمجان القيبي - أو أخوه .

وكانت قريش لا تخون حريمها من الحواري حتى ناهضت بهشام
وقال أبو بكر بن شمو ب لقومه كطاعة :

يا قومنا لا تهلكوا بإحلاقنا

بن هشام القرشي مات

وقال خدائش بن زهر :

وقد كنت كها لم ثم كسكموا وافتد قولي بالهام هشام

وقال علي بن هرمة ؛ عم إبراهيم بن هرمة :

ومن يرثي مدحى فإن مداحي توافق عند الأكرمين سوام
توافق عند المشتري الحد بالدي تفاق بنات الحارث بن هشام

وقال الشاعر وهو يهجو رجلا :

أحسيت أن أباك يوم تستقي في الهد كان الحارث بن هشام
أولى قريش بالكارم كلها في الجاهلية كل والإسلام

(١) الكامل ١٤٣: ٢ من عبدة ؛ وكتب ، أي طوف حتى أصاب هشاماً وانظر سبقرش ٣٠١

وقال الأسود بن يعفر النهملي :

إن الأكرام من قريش كلها شهدوا فراموا الأمر كل مرام
حتى إذا كثرت التحاذل بينهم حرم الأمور الحارث بن هشام
وقال ثبات قطبة - أوكب الأشقرى - لمحمد بن الأشعث بن قيس :

أنوعدي بالأشعثي ومالك ونعجرحه لئلا نوسيط انطعاطهم
كانك بالطعنة ندمر حارثا وحده سيف الذي بين الألاحم

وقال الحرامى في كلمته التي يذكر فيها أبا أحيحة :

له سرّة سلعاء وسعد والترى ولا كهنشام الخير والقلب مردى

وسأل معاوية صبيحة بن موحان الجدي عن مائل قريش ، فقال : إن ملك ، عصمتهم ،
وإن سكتنا عصمتهم ، فقال : أقسمت عليك ، قل : فيمن يقول شاعر كذا :

وعشيرة كلهم سيّد آباء سادات وأباؤها
إن يسألوا يعطوا وإن يمددوا ببص من مكة يعطواؤها

وقال عبد الرحمن بن سباع النخري حبيب بن أمية وهو يهجو عبد الله بن مطيع

من بني عدي :

حرام كتنى رمى نوء وأدكر صاحبي أبدا بدام^(١)
لقد أصرمت ودّ بني مطيع حرام الدهر للرجل الحرام
وإن حيف الزمان مددت حنلا متيبا من حبال بني هشام
وربني عودهم أبدا رحيب إذا ما اهتزت عيدان الكرام

(١) الأمان ٢ : ٢٥٥ مع اختلاف في الرواية .

وقال أبو طالب بن عبد المطلب وهو يَخْرُجُ بحاليه : هشام والوليد على أبي سفيان
ابن حرب^(١) :

وحالي هشامُ بنُ المعيرة ثامبُ إذا همَّ يوما كالحسامِ المهندي
وحالي الوليدُ اعدلُ عالي مكاهُ وحالي أبي سفيان عمرؤ بنُ مرثد

وقال ابن الزنجرى فيهم :

لهم مشيةٌ ليست تَبِينُ بعيرهمُ إذا اخذو دَبَّ الذرور في السَّنة الخدب

وقال شاعر من بني هوارٍ ، أحد بني أُمِّ اسافه حين سَمَّى ابنه عبد الله بن أبي أمية
الخزومي بعد أن منعه الزُّرقان من بدو :

أتدري من ممت سبيل حَوْضٍ سبيل حصارمِ سموا المطاحا
أراد الرك نفع أم هشاماً ودا الرعس أمهم سبلا
همُ سموا الأباطح دُونِهم ومن بالحب والبلد الكناحا
بضربِ دُونِ بِيضهم طَلَحِ^(٢) إذا الدهوى لاد بهم وصاحا
وما تدري بأبيهم تلاق صدورَ الشرقة والرماحا

فقال عبد الله ابن أبي أمية بحباليه :

لعمري لأت المرء يحسن بادياً وتحسن عودا شيمه ونصفا
عرفت لقوم عدهم وقديمتهم وكنت لما أسدت أهلاً وموضعا

قالوا : وكان الوليدُ بن المعيرة يحبس بني الحجار فيحكم بين العرب أيام عكاظ
وقد كان رجل من بني عامر بن نؤي رافق رجلاً من بني عبد مناف بن قصي ، عري
بينهما كلام في جبل ، فعلاه بالعصا حتى قتله ، فكاد دمه يُطْلَق ، فقام دونه أبو طالب

ابن عبد الملك وقدمه إلى الوليد ، فاستخفّه خسين يمينا أنه ما قتله ، فني ذلك يقول
أبو طالب :

أرمن أحلّ جبلٍ دى رِمامٍ علونه عتاةٌ قد جاء حلّ وأحلّ^(١)
هلمّ إلى حُكم ابن صخرة إنّه سيحكم فيما يسا ثمّ يعسّل

وقال أبو طالب أيضا في كلمة له :

وحُكمك يُنقّ الحير بن عزة أمره تحمّط واستعلّى على الأصعب الفرد

وقال أبو طالب أيضا يرثي أبا أمية راد الرّك وهو حاله :

كان على دمرّاضٍ قصّ وحذل من اليس أو تحت الفراش الماهر^(٢)
على حرّ حادٍ من فعدّ وناعل إذ دحيرُ برحى أو إذا الشرّ طيرُ
ألا إن راد الرّك عسيرُ مدافع يسرو سحّيم غيخته المقابرُ
نادوا بأن لا سيد اليومَ منهم وقد صفع الحيات كفت أو عامرُ
وكان إذا يأتى من الشام قافلا تقدّمه قل الدوّر البشارُ
فيصح آل الله بيصا ثيابهم^(٣) وقدما خباهم والعيون كواسرُ
أحو حصة لا تدرّج الدهر عدما مُحَنّمة تَدْمى وشكّ وافرُ
صروث بصل السيف سوق صمانها إذا أرسلوا يوما فإسك عارُ
ميا لك من راعٍ دُميت نالة شراعية تنحصر منه الأظافرُ

وقال أبو طالب أيضا يرثي حاله هشام بن أميرة :

(١) ديوانه ١٤٢ . (٢) ديوانه ٧٧ .

وكان حنه نخرج ناهرا إلى الشام ثبات بموضع طال له سرد سقيم .

(٣) الديوان : « كأنما » .

(٤) الديوان : « كمنهم حيرا ريده ومما » .

فقدنا عميد الحى والركن حاشع^(١) كعقد أبي عثمان واليثة والحجر^(٢)
 وكان هشام بن المغيرة عصمة^(٣) إذا عرك الناس المحاوى والفر^(٤)
 بأبياته كانت أرامل فورية نود وأيتام العشيرة والفر^(٥)
 فودت فريش لو قد نته شطرها وقن لعمري لو قد واه الشطر^(٦)
 تقول لعمرو أنت منه وإنا لترحوك في حل الميمات ما عمرو

عمرو هذا هو أبو جهل بن هشام ، وأبو عثمان هو هشام .

وقالت ضاعة بنت عامر بن سلمة بن قرط ثريته :

إن أبا عثمان لم أسه وإن صبرا عن نكاه نحوب^(٧)
 تعافدوا من مشير ما لهم أى دبوب صوبوا في القبيب^(٨)
 وقال حسان بن ثابت وهو يهجو أبا جهل ، وكان نكح أبا الحكم^(٩)
 الساس كونه أبا حكمهم والله نكاه أبا جهل^(١٠)
 أبقت رياسته لأشترته لثوم الفروع ودية الأصل^(١١)
 فأعترف له بالرياسة والتقدم .

وقال أبو عبيد معمر بن النخعي : لما تمارى هارم بن الطعيل وعنفمة بن علاته
 إلى هريم بن قطنة وتوارى عنهما ، أرسل بهما : عليكما ، لفتى الحديث اسن ، الحديد
 الذهن ؛ فصارا إلى أبي جهل ، فقال له ابن الرعمري :

فلا تحكم بذاك أى وحاب وكى كلأ حاكم آل عمرو

(١) ديوانه ٨٠ .

(٢) ديوانه ٣٤٤ ، وروايه :

صماء مشرأ أبا حكمهم والله صماء أبا جهل

(٣) الديوان :

أبقت رياسته لعشيرته عصب الإله وذلة الأصل

أَبَى أَنْ يَحْكُمَ ، فَرَجَعَا إِلَى هَرَمٍ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْرٍ :

هَرَبَقًا مِنْ دُمُوعِكُمَا سِحَامًا سُبَاعٌ وَحَرِيٌّ مَوْحًا قِيَامًا
فَمَنْ لِلرَّيْثِ إِذَا حَاءُوا طُرُوقًا وَهَقَّتْ أَسْيُوتُ فَلَاحِ هِشَامًا
وَقَالَ أَيْضًا فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

وَمَا وَلَيْتَ نَسَاهُ بَنِي زُرَّارٍ وَلَا رَشَّحَنَ أَكْرَمَ مِنْ هِشَامٍ
هِشَامُ بْنُ الْمَعْبِثَةِ خَيْرٌ فَهَرَّ وَأَصْلُهُ مِنْ سَقَى صَوَّبَ النَّهَامِ
وَقَالَ عُمَارَةُ بْنُ أَبِي طَرَفَةَ الْهَدَلِيّ ، سَمِعْتُ أبا حُرَيْجٍ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : هَلَّاكَ سَيِّدُ
الْبَطْلَحَاءِ بِالزُّهَافِ ؟ قُلْتُ : وَمَنْ سَيِّدُ الْبَطْلَحَاءِ ؟ قَالَ : هِشَامُ بْنُ الْمَعْبِثَةِ .
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «لَوْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الْحِمَةَ لَدَخَلَهَا هِشَامُ
أَبْنُ الْمَعْبِثَةِ ، كُلُّ أُنْدَسْجَمٍ لِمَعْرُوفٍ ، وَأَحْمَلُهُمُ لِلْكَفْلِ
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، لَا قَلِيلٌ فِي اللَّهِ ، وَلَا كَثِيرٌ فِي عِزِّ اللَّهِ . وَلَوْ بِالْحُلُقِ الْحَزَلِ
وَالْعَمَالِ الدُّثْرُ ، تُنَالُ النَّوْثَةُ لَنَالَهَا هِشَامُ بْنُ الْمَعْبِثَةِ ، وَلَكِنْ تَوْحِيدُ اللَّهِ ، وَالْجِهَادُ
فِي سَبِيلِهِ .

وَقَالَ حِشْدَاشُ بْنُ رَهْبِيعٍ فِي يَوْمِ شَمْعَةَ^(١) ، وَهُوَ أَحَدُ أُنَامِ الْعِجَارِ ، وَهُوَ عَدُوُّ قُرَيْشٍ
وَحَصْنُهَا :

وَبَلَّغَ ابْنُ بَلَّغَتَ بَنَاهِشَامًا وَدَا أَرْثَمَحِينَ بَلَّغَ وَالْوَلِيدَا^(٢)
أُولَئِكَ إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ جُودًا هَبْ لَدَيْهِمْ حَسَبًا وَحُودَا
هُمْ خَيْرُ الْعَاثِرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَوْرَاهَا إِذَا قَدَحُوا زُودَا

(١) لَقَبُ عَلِيٍّ كُنَانُهُ وَقُرَيْشٍ . وَشَمْعَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ عَكَاظِ .

(٢) أُنَامُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ٣٣٢ .

وقال أيضا وذكرهما في تلك الحروب :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَّ ذُنَا عِبْرَ كَادِيَةٍ عَلَى مَخِيَّةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ^(١)
إِذَا تَقَعْنَا هِشَامًا بِالْوَكِيدِ وَلَوْ أَنَا تَقَعْنَا هِشَامًا شَأَتْ الْحَدَمُ
وَدَكَّرْهُمْ أَنِ الزُّبَيْرِي فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ فَقَالَ :

أَلَا لَشَرِّ قَوْمٍ وَ لَدَتْ أَحْتُ بَيْتِي مَهْمُ^(٢)
هِشَامٌ وَأَبُو عَبْدٍ مَنَافٍ مِذْرَةَ الْحَصَمِ
وَذُو الرِّعَيْنِ أَشَدُّ مِنْ انْقَوَّةٍ وَالْحَزَمِ^(٣)
فَهَذَا بَرٌّ يَدُودِي وَدَا عَنْ كَشْبٍ يَرْمِي
وَمَنْ يَوْمَ عُكَاظٍ كَمُوا النَّاسَ مِنَ الْهَزَمِ
مَحَاوَا طَحُورٍ فَخَسَفَ الْقَوَائِسَ كَالْعُثْمِ
أَسْوَدٌ تَزِدُّهُ لِيْلَةٌ نَ مَسَاعُورٍ لِلْعَصَمِ^(٤)
فَإِنْ أَحْلَفَ وَيَمُنُّ بِاللَّهِ لَا أَحْلَفُ عَلَى إِيْمٍ
وَمَا مِنْ إِحْسَافٍ حُرُوبِ الشَّامِ وَالرُّدَمِ
بِأَذَى مِنْ بَيْتِي رَيْطُ أَوْ أُرْشَرُ مِنْ حِلْمِ

رَيْطَةُ ، هِيَ أُمُّ وَلَدِ الْمَيْرَةِ ، وَهِيَ رَيْطَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ مَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَاشِمٍ
ابْنِ كَعْبٍ ، وَأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ هُوَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنِ نُفَيْرَةَ ، وَيُعرفُ رَادَ الرِّكَكِ ، وَاسْمُهُ خُدَيْمَةُ ،
وَأَتَّعَاهُ لَهُ : زَادُ الرِّكَكِ لَا تَهْ كُلُّهَا إِذَا حَرَّحَ مَسَافِرًا لَمْ يَرْوُدْ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَكَانَتْ

(١) الْأَعْنَى ١٩ : ٧٦ ؛ مِنْ أَمَاتِ أُرَيْطَةَ ، وَالدُّرُ فِي سَبْقَرِيشِ ٣٠١ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَاتِ .

(٢) الْأَعْنَى ١ : ٩٢ ، الْأَمَلُ ٣ : ١٩٦ ، ١٩٧ (عَمَّةُ دَارِ الْكُتُبِ) .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَشَال » ، صَوَّبَهُ مِنَ الْأَمَلِ ٢ : ٢٠٨ . قَالَ ، يُقَالُ : أَشَالُ مَعْلَانًا ؛ كَمَا يُقَالُ
حَمَاكَ مَعْلَانًا ؛ وَأَشَدُّ اللَّتِ .

(٤) الْأَعْنَى : « مَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الْحَرَمِ » .

عنده عاتكة بنت عبد المطاب بن هشام ، وأما ذو الرمثين فهو أبو ربيعة بن النخيلة
واسمه عمرو ، وكان النخيلة يسكني بأسم أبيه الأكر ، وهو هاشم ، ولم يُعقب إلا من
حنيفة ابنته ، وهي أم عمر بن الخطاب .

وقال ابن الزبير يمدح أبا جهل :

| | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| رُبَّ تَدِيمٍ مَاحِدٍ الْأَصْلِ | مَهْدِبِ الْأَعْرَاقِ وَالْمَجَلِ |
| مَنْهُمْ أَبُو عَبْدِ مَنْابٍ وَكَمْ | سَرِبَتْ بِالصَّخَمِ عَلَى الْقَدْلِ |
| تَمْزُو الدِّي ذَاكَ وَأَشْيَاعُهُ | مَا شَفَتْ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ فِعْلٍ |

وقال الوردي بن حلاس الشهمي : منهم أهلة تمدح الوليد .

| | |
|---|---------------------------------------|
| إِذَا كُنْتُ فِي حَيٍّ جَدِيمةً ثَارِيًا | فَمَدَّ عَظِيمُ الْقَرْنَيْنِ وَلِيدُ |
| فَذَاكَ وَحِيدُ الرَّأْيِ مَشْرُكُ الدِّي | وَعِصَّةٌ مَلُوفٌ الْجَنَانِ تَمِيدُ |

وقال أيضا :

| | |
|---|---|
| إِنَّ الْوَلِيدَيْنِ وَالْأَسَاءَ صَاحِبِي | وَالْحَقَّ فِي الْمَيُورِ وَالْمُسْرِ |
| هُمْ الْعِيَاتُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَفْرُقُهُ | عِزُّ الدَّلِيلِ وَعِظُّ الْحَاسِدِ الْوَعْرِ |

وقال :

ورَهْطُكَ يَا ابْنَ الْعَيْثِ أَكْرَمُ مَحْتَدٍ وَأَمْسَحُ لِلْحَارِ اللَّهْمِ الْمَهْمُ
قالوا : العيث لقب النخيلة ، وحمل الوليد وأباه هشاماً رآني زهامة كما قال لبيد بن
ربيعة في حذيفة بن ثعلبة .

وَأَهْلَكَ يَوْمَ أَرَبُ كِنْدَهُ وَأَسَهُ وَرَبِّ مَعْدِي بَيْنَ حَبْتٍ وَغَرْغَرٍ^(١)
فَجَعَلَهُ رَبٌّ مَعْدًا .

قالوا : يدلّ على قدر محروم ما رأينا من تعظيم القرآن لشأنهم دون غيرهم من سائر قريش ، قال الله تعالى مُخْرِجاً عَنِ الْعَرَبِ : إِيَّاهُمْ قَالُوا : ﴿لَوْلَا أَرْزُلُ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ عَلَى رَحُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّ عَظِيمٍ﴾^(١) فأخذ الرّحلبين العظيمين بلا شك الوليد بن المغيرة ، والآخَر مَخْتَفٍ فِيهِ ؛ أَمُّو عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أُمُّ حَدُّ الْمُحْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ .

وقال سبحانه في الوليد : ﴿دَرَيْ وَمَنْ حَلَقْتُ وَحِيداً * وَحَمَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً وَبَيْنَ شُهُوداً...﴾^(٢) الآيات .

قالوا : وفي الوليد نزلت : ﴿أَمَّا مَنْ سَتَمَّى فَأَتَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾^(٣) .

وفي أبي جهل نزلت : ﴿دَقْ إِنْكَ أَنْتَ أَلَمِيرُ الْكَرِيمِ﴾^(٤) .

وفيه نزلت : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٥) .

وفي محروم : ﴿وَدَرَيْ وَأَلْمُكْدَرِي أُولَى اسْمَةٍ﴾^(٦) .

وفيه نزلت : ﴿مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ طُهُورِكُمْ﴾^(٧) .

ورغم اليعطريّ أبو اليقطين وأبو الحسن أن الحجاج سأل أعشى همدان عن بيوتات مريض في الحاهلية ، فقال : إِنِّي قَدْ آتَيْتُ أَلَا أَمَرَ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ ، وَلَكِنْ أَهْوَلُ وَتَسْمَعُونَ ، قالوا : فَقُلْ . قال : مِنْ إِيَّاهُمُ الْهَبُّ فِي أَهْلِهِ ، الْمَوْرُحُ بِدِرْكَرِهِ ، مُحَلَّى الْكُفَّةِ ، وَصَارِبُ الْقَفَّةِ ، وَالْمَلَقَبُ بِالْخَيْرِ ، وَصَاحِبُ الْعَبْرِ وَالْعَمْرِ ؟ قالوا : بَلَى : بَنَى مُحْرُومٌ ، قَالَ : مِنْ أَتِيهِمْ ضَجِيجُ بَسْبَاسَةٍ ، وَالْمَنْحُورُ عَنْهُ أَلْفُ نَافَةٍ ، وَرَادُّ الرِّكَبِ ، وَبَيِّضُ الْبَطْنَاءِ ؟ قالوا : مِنْ بَنَى مُحْرُومٌ ، قَالَ : فَمِنْ أَتِيهِمْ كَلُّ الْقَسْعِ فِي حُكْمِهِ ، وَالْمَقْدُ وَصِيَّتُهُ عَلَى تَهْكُمِهِ ، وَعَدْلُ الْجَمِيعِ فِي الرِّقَادَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ وَصَعَ أَسَاسَ انْكَمِهِ ؟ قالوا : مِنْ بَنَى مُحْرُومٌ ، قَالَ : فَمِنْ

(٢) سورة المدثر ١١ - ١٣ .

(٤) سورة النجم ٤٩ .

(٦) سورة الرمل ١١ .

(١) سورة الزخرف ٢١

(٣) سورة عبس ٥ ، ٦

(٥) سورة الفلق ١٧

(٧) سورة الأنعام ٩٤ .

آتيهم صاحب الأربكة ، ومُطِمْ الحرية ، فنوا من بني محروم ؛ قال فين آتيهم الإخوة العشرة ،
الكرام البررة ؟ قالوا من بني محزوم ، قال : فهو ذلك ؛ فقال رجل من بني أمية ، آتيها
الأمير ، لو كان لهم مع قديمهم حديث إسلام ؛ فان الحجاج : أو ما علمت بأن منهم رداد
الردة ، وقاتل مسيلمة ، وآسير طبيعة ، وسدرك بالطائفة ، مع الفتوح المطام والأيدى
الحسام ! فهذا آخر ما ذكره أبو عثمان .

ويمكن أن يراد عليه فيقال : قالت محزوم ما أصف من أفتصر في ذكر ما على أن قال :
محروم ربحانة قريش ، تحت حديث رحلهم ، والسكاح في نسائهم ، ولما في الهاهلية والإسلام
أثر عظيم ، ورجال كثيرة ، ورؤساء شهيرة ، فيما المعيرة بن عبد الله بن عمرو بن محروم ،
كان سيد قريش في الهاهلية ، وهو الذي منعه امرأة من ألح لها عبر حشيش بن لاي
المراري ، ثم السمعى فوما من قريش إتيهم يأخذون ما ينحروه العرب من الإبل في
الموسم ، فقال حشيش لما منع من الجمع :

يَا رَبِّ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ عَقِيرَةٍ أَصْبَحُ مَالِي وَأَذْغُ نَجِيرَةٍ
فَإِنَّ مَنَا مَانِعَ النُّصِيرَةِ وَمَا بِي بَعْدَ مَنِي بَثِيرَةٍ
• وَمَا بَيْنَكَ أَنْ أُرْوَرَهُ •

منا بيو المعيرة العشرة أمهم ربيعة ، وقد تقدم ذكر نسبها ، وأمها عائكة بنت عبد
المزني بن قصي ، وأمها الحطيتا بنت كعب بن سعد بن نيم بن مرة ، أول امرأة من
قريش ضربت قباب الأدم بذي الحار ، ولها يقول الشاعر :

مَصَى بِالصَّالِحَاتِ بِوَالْحُمَيَّا وَكَانَ نَسَبُهُمْ يُغْنِي الْعَمِيرُ

فمن هؤلاء . أعني الحطيتا - الوليد بن المعيرة أمه صخرة بنت الحارث بن عبد الله

ابن عبد شمس القُشَيْرِيّ ، كان أبو طالب من عند لطلب يفتتح بأبيه خاله ، وكفاك من رجل
يفتح أبو طالب بمحلولته ! ألا ترى إلى قول أبي طالب .

وخالي الوليد قد عرفتم مكانه وحالي أبو العاصي إياس بن معد

ومنهم حص بن المغيرة ، وكان شريفا . وشبان بن المغيرة . وكان شريفا . ومنهم
السيد المطاع هشام بن المغيرة ، وكان سيد قريش عبر مدافع ، له يقول أبو بكر بن الأسود
ابن شعوب يرثيه :

دريسي أصطيح ما سكر إني رأيت الموت نقب عن هشام .

تخبره ولم يعدل سواء وديم المره بالسلح الحرام !

وكت إذا أليفه كأتى بالمرحرم وفي شهر حرام

وود بو المغيرة لو فلوله بالهـ [مقابل] وبالف رام

وود ذو المعرة لو قدوة بالف من رجال أو سوام

فكبه ضاع ولا على هشاماً به عيث الأنام

ويقول له الحارث بن أمية الصُفْرِيّ :

ألا هلك القناس والحامل اتقلا ومن لا يص عن عشرته فصلا

وحرب أبا عثمان أطفأت نارها ولولا هشام أوقدت خطا جرلا

وعان تريك يمتكين ليلته فككت أبا عثمان عن ندره الملا

ألا لست كاهلكي فتكى بكاءم ولكن أرى الملاك في جده وعلا

عدا عدت تسكي ضاعة عيشنا هشاماً وقد أعات تمهيكه صخلا

ألم تريا أن الأمانة أصعدت مع النش إذ ولي وكان لها أهلا !

وقال أيضاً يكيه ويرثيه :

وأصبح بطن مكة مقشراً شديد المحل ليس به هشام
يروح كأنه أشلاء سوط وفوق رجلاه شحم ركام
فلا كراء أكمل كيف شاءوا ولولدان قم واغتنام
فكيه مباع ولا تمكى يغال الناس إن قحط المأم
وإن بنى النبرة من قریش هم الرأس القدم والسام

وضاعة التي تذكرها الشعراء زوجة هشام ، وهي من بنى قشير .

قال الزبير بن بكار : فلما قال الحارث : « ألا لست كالحكي . . » البيت ،
قطعت ذلك على بنى عبد مناف فاعزوا به حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي
حليف بنى عبد شمس ، وكاتب قريش رضيت به وامتثلته على سيفائها ، ففر منه
الحارث ، وقال :

أفر من الأباطح كل يوم مخافة أن ينكل بي حكيم

فهدم حكيم داره ، فأعطاه بهو هشام دره التي مأخوذ عوصا منها .

وقال عبد الله بن ثور السكاني يرثيه :

هريق من دموعهما رجبا ضاع وحاوي نوحاً قياماً
على خير البرية لن تراه ولن تلق مواهبه العظاماً
جواد مثل سبل النيث يوما إذا علجانه يسالوا الإكاما
إذا ما كان عام ذو حرام حسنت قدوره حملا صياماً

مَنْ لَرَّكَ إِذَا سَوَا طُرُوقًا وَعُنَقَتِ الْبُيُوتُ فَلَا هِشَامًا
وَأَوْحَشَ بَطْنُ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْسَى وَعَدَّ كَانِ مِثْلَ قَدْ أَقَامَا
لَمْ أَرَ مِثْلَهُ فِي أَهْلِ تَحْدِيدٍ وَلَا فِيمَنْ يَمُوتُ بِكَ يَا هِشَامَا

قال الزبير : وكان فارس هريش في احمية هشام بن الميرة ، وأوليد بن عتبة
ابن حجرة بن عبد بن ميمص بن عامر بن لؤي ، وكان يقال لهشام : فارس السطحاء ، فلما
هلكا كان فارس قريش بعدهم عمرو بن عبد اسامري القنول يوم الخندق ، وضرار
ابن الخطّاب الحارثي العيضي ، ثم هيرة بن أبي وهب وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان .
قالوا : وكان عام مات هشام تاربعا ، كعام القيل ، وعام الفجار ، وعام يُبين الكعبة .
وكان هشام رئيس بني مخروم يوم المحل .

قالوا : ومما أُوحيه من هشام ، وسمه عمرو ، وكنته أبو الحكم ، وإنا كناه
« أبا جهل » رسول الله صلى الله عليه وآله . كان سيدا أدخله هريش دار المدوة فسوّذنه
وأجلسته فوق الخلة من شيوخ قريش ، وهو علام لم يطر شاربه ، وهو أحد من ساد
على الصفا . والحارث بن هشام أخو أبي جهل كان شريفا مدكورا ، وله يقول كعب
ابن الأشرف اليهودي الطائي :

سُئِلْتُ أَنْ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ فِي أَسَاسِ بَنِي الْمَكْرُمَاتِ وَيَجْمَعُ^(١)
لِيَزُورَ يَثْرِبَ^(٢) مَالِجُوعٍ وَإِنَّمَا يَسِي عَلَى الْحَسَبِ الْقَدِيمِ الْأَزْوَاعُ

وهو الذي هاجر من مكة إلى الشام بأهله وماله في خلافة عمر بن الخطّاب ، فتبعه
أهل مكة يَبْكُون ، فرق وَبَكَى وَفِي : يَا لَوْ كُنَّا سَنَسْدِلُ دَارًا بِدَارٍ ، وَجِزَا

(١) سب قريش ٣٠١ .

(٢) في سب قريش « أثرب » ؛ وهي لغة في « يثرب » .

بجاء ، ما أردناكم بدلا ، ولكنها النقمة إلى الله عز وجل ، فلم يرل حبسا نفسه ومن معه بالشام مجاهدا حتى مات .

قال الزبير : جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده وهو بينهما ، فحمل المهاجرون الأولون والأبصار ياثون عمر فيسخرهما ويقول : ها هنا يا سهيل ، ها هنا يا حارث ! حتى صاروا في آخر الحاس ؛ فقال الحارث لسهيل : ألم تر ما صنع بنا عمر اليوم ! فقال سهيل : أيها الرجل ، إنه لا تؤم عليه ، يدعى أن ترجع بالقوم على أنفسنا ، دعى القوم ودعينا ، فسرعوا وأبعدنا . فلما قاما من عند عمر أتياه في عدي فقالا له : قدرأيما ما صنعت بالأمس ، وعيننا أفاأنت من أنفسنا فهل من شيء ستدركه ؟ فقال : لا أعلم إلا هذا الوجه - وأشار لهما إلى نحر الروم خرجا إلى الشام ، فصاحدا بها حتى ماتا .

قالوا : ومما عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أمه طمة بنت الوليد بن المعيرة ، وكان شريفا سيذا ، وهو الذي قتل لمذوية لما قتل حنظل بن عدي وأصحابه : ابن عرب منك حلم أبي سفيان ، ألا حسنتهم في السجون ، وعرضتهم للطاعون ! فقال حين عاب عني مثلك من قومي . وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام هو الذي رعب فيه عثمان بن عفان وهو خليفة فروجه أبنته .

قالوا : ومما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، كان سيذا حوادا وفقها عالما ، وهو الذي قدم عليه بنو أسد بن حزيمة يسألونه في دماء كانت بينهم ، فاحتكم لهم أربعمائة بغير دية أرسق من القتل ، ولم يكن بيده مال ، فقال لاسه عبد الله بن أبي بكر : اذهب إلى عمك المعيرة بن عبد الرحمن فاسأله العومة ، فذهب عبد الله إلى عمه فذكر له ذلك ، فقال المعيرة : لقد أكر عيب أبوك ، فأصراف عنه عبد الله وأقام أياما

لا يَدْكُرُ لَأَيِّهِ شَيْئٌ ، وَكَانَ يَقُودُ أَبَاهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَدْ دَهَبَ بِصَرُّهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْمًا :
أَدَهَبْتَ إِلَى عَمِّكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَسَكَتَ ، فَعَرَفَ حِينَ سَكَتَ أَنَّهُ لِي بِحَدِّ عِنْدَ عَمِّهِ
مَا يُحِبُّ . فَقَالَ لَهُ : يَا نَسَى الْأَتَّحِيرُ فِي مَأْنَى لَكَ ؟ قَالَ : أَيْعَمُّ أَبُو هَاشِمٍ - وَكَانَتْ كُنْيَةُ
الْمَغِيرَةِ - فَرَمَا قَتَلَ ، وَلَكِنْ أَعْدُو عَدَاؤِي اسْتَوْقَ فَحَدُّ لِي عِيَّةً ، فَعَدَا عَبْدُ اللَّهِ فَتَعَنَ
عِيَّةً مِنَ السُّوقِ لَأَيِّهِ وَدَعَاهَا ، فَأَقَامَ أَبَاهُ لَا يَبِيعُ أَحَدٌ فِي السُّوقِ طَعَامًا وَلَا رَيْثَ عَيْرٍ
عَدَا اللَّهُ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ تِلْكَ الْعِيَّةِ ، فَلَمَّا مَرَّ امْرَأَةً أَبُوهُ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَى الْأَسَدِيِّينَ
فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ حَصِيصًا نَعْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَالَ عَدُوُّ الْمَلِكِ لَأَيِّهِ الْوَلِيدُ لَمَّا حَصَرَتْهُ
الْهُوَّةُ : إِنَّ لِي بِالْمَدِينَةِ صَدِيقَيْنِ فَاحْتَمِلْنِي فِيهِمَا . عَدُوُّ اللَّهِ بْنُ حُمْرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ
ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ .

وَكَانَ يُقَالُ : ثَلَاثَةُ أَسَاتِ مِنْ مَرْوَانَ تَوَلَّاهُ بِشَرِّ خِمَّةٍ خِمَّةً ، وَعَدَّوْا مَعَهَا أَبَا بَكْرٍ
ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

قَالُوا : وَمِمَّا الْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، كَانَ أَحْوَدَ النَّاسِ بِالْمَالِ ،
وَأَطْعَمَهُمُ لِلطَّعَامِ ؟ وَكَانَتْ قِيَّتُهُ أُصِيبَتْ مَعَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي عَرْوَةِ الرُّومِ ، وَكَانَ
الْمَغِيرَةُ يَمَّحَرُ الْجَزُورَ ، وَيُعَلِّمُ الطَّعَامَ حَيْثُ نَزَلَ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدًا ، فَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ
فَجَلَسُوا عَلَى طَعَامِهِ ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمْ يُبَحِّثُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَغِيرَةُ : مَا لَكَ تُحَدِّثُ الْمَطَرُ
إِلَى ؟ قَالَ : إِنِّي لِيرِيئِي عَيْنُكَ وَسَبَاحُكَ بِالطَّعَامِ ؟ قَالَ : وَمِمَّ ارْتَبْتَ ؟ قَالَ : أَطْلَسْتُكَ
الدَّخَالَ ، لِأَنَّ رُؤْيَا أَنَّهُ أَعْوَرَ ، وَأَنَّهُ أَصَمُّ النَّاسِ لِلطَّعَامِ ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : وَيَبْحَثُ ! إِنَّ
الدَّجَالَ لَا تُصَابُ عَيْنُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَالْمَغِيرَةُ يَقُولُ الْإِفْشَرُ الْأَسَدِيُّ لَمَّا قَدِمَ الْكَوْفَةَ
فَمَحَّرَ الْجَزَرَ وَكَسَطَ الْأَطْعَامَ وَأَطْعَمَ النَّاسَ ، وَصَارَ حَيِّثُ فِي الْمَرْبِ :

أَمَّاكَ التَّحَرُّ طَمَّ عَلَى قَرِيشٍ مُعِيرَتِي فَقَدْ رَاعَ ابْنُ يَشِيرٍ^(١)
 وَرَاعَ أَخَذَنِي جَدِّي اسْتَمَّ لَمَّا رَأَى الْمَرْوُوفَ مِنْهُ عَيْرَ تَرِيرٍ
 وَمَنْ أَوْتَارَ عُثَّةَ قَدْ شَعَانِ وَرَهَطَ الْخَاطِبِيَّ وَرَهَطَ صَخْرٍ
 فَلَا يَنْفِرُكَ حُسْنُ الزَّيِّ مِنْهُمْ وَلَا مَرْحَ تَرْيُونَ وَعَمْرٍ^(٢)

فابن يشر ، عبد الله بن يشر بن مروان بن الحكم ، وحَدَّثني التَّيْم : حماد بن عمران
 ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وأوتار عُثَّة يعني أولاد عُثَّة بن أبي مُعيط ، والخاطبي
 لقمان بن محمد بن حاطب الخثعمي ، ورهط صخر : هو أبي سُفْيَان بن حَرْب بن أُمَيَّة ، وكل
 هؤلاء كانوا مشهورين بالكوفة ، فعن قدمي الميرة أحمل ذكرهم ، والميرة هذا هو
 الذي تَلَمَّه أن سُلَيْم بن أَمْلَح مولى أبي أيوب ، لأنصارِي أراد أن يبيع النزل الذي نزل
 فيه رسول الله صلى الله عليه وآله مَقْدَمَه للندسة على أبي أيوب بمحمسة ديار ، فأرسل
 إليه ألف دينار ، وسأله أن يبيعه إِيَّاه ، فباعه ، فبعت ملكه حملة صدقة في يومه .

قال الزبير : وكان يريدُ بنُ الميرة بن عبد الرحمن يهدى به بالكوفة على الميحل ،
 وكان يَحَرِّق كلَّ يوم خرورا ، وفي كلِّ جمعة خرورين . ورأى يوما إحدى حَفَنَاتِه
 مُكَلَّمة بالسَّام تكليلا حَسَمًا ، فأعجبه ، فسأل فقال : من كَتَبَهَا ؟ قيل : أَلَيْسَ أَبُوك ؟
 فسرَّ ، وأعطاه ستين دينارًا .

وصدَّ إبراهيم بن هشام على بُرْدَةِ الميرة وقد أشرقت على الجفنة ، فقال لعبد من صيد
 الميرة : يا علام ، على أي شيء نصبتُم هذا التريد على العمدة ؟ قال : لا ، ولكن على أعضاء
 الإبل ، فبغ ذلك المغيرة ، فأعتق ذلك الغلام .

والمعيرة هو الذي مرَّ بِحَرَّةِ الْأَعْرَبِ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا هاشم ، قد فاض

(١) سب قريش ٣٠٥ .

(٢) (البريون ، فالظم : السدس ، وقيل ابن يري : هو رقيق الديباح .

معروفك على الناس ، فما مالنا أشتى الخلق بك ! قال : إنه لا مالَ معي ، ولكن خذوا هذا الغلام فهو لكم ، فأخذوه ، فكى الغلامُ فقال . يا مولاي ، خدمتي وخدمتي ا فقال : أتبيعوني إياه ؟ قالوا : نعم ، فاشتراه منهم بخمسة أعتقه ، وقال له : والله لا أعرضك لشيء أبدا ، اذهب فانت حر ، فلما عاد إلى السكوة حمل ذلك المال إليهم

وكانت الميرة بأمر بالسكر والخمر فيدقن ويطعمهما أصحاب الصفة الساكنين ، ويقول : إنهم يشتهون كما يشتهي غيرهم ولا يمكنهم ، فخرج الميرة في سمر ومعه جماعة فوردوا عديراً ليس لهم ماء غيره - وكان ماحدا - فامر يقرب القمل فشقت في اندير وخيصة بمائه ، فاشرب أحدتهم حتى راوحوا ، لا من قرب الميرة .

وذكر الزبير أن أبا هشام بن عبد الملك كان يسوم امرأة ماله بالكان المسمى بـ دما ، فلا يبيعه ، فعرا ابن هشام أرض الروم ومنه النفيرة ، فأصاب الناس جماعة في عراهم ، فناء الميرة إلى ابن هشام فقال : إنك كنت تسومني مالي بدينار^(١) ، فأتى ابن أبيكمه ، فأشهر الآن متى يصقه بشر بن أبي دينار . فأصعب الميرة بها الناس ، فلما رجع ابن هشام بالناس من عروته تلك وقد بلغ هشاماً الخمر قال لاه : قبح الله رأيك أنت أمير الحش ، وابن أمير المؤمنين ، يصب الناس منك جماعة فلا يطعمهم حتى يبيعك رجل سوفة ماله ، ويعلم به الناس ! ويحك أحشيت أن نفتقر أن أطعمت الناس !

قالوا : ولنا عكرمة بن أن حبل الذي قام له رسول الله صلى الله عليه وآله قائما ، وهو بعد مشرك لم يسلم ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل داخل عليه من الناس شريف ولا مشرف ، إلا عكرمة ، وعكرمة هو الذي احتد في نصرة الإسلام بعد أن كان شديد العداوة ، وهو الذي سأله أبو بكر أن يقبل منه معونة على الجهاد فآبى ،

(١) بدين : ماء عليه نجيل وعدون طرية يقرب وادي القرى . ياقوت .

وقال : لا آخذ على الجهاد أجراً ولا مئونة ، وهو الشهيد يوم أحنأدين ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يسألني اليوم شيئاً إلا أعطيتك » ، فقال : فإني أسألك أن تستغفر لي ؛ ولم يسأل غير ذلك ، وكلّ فريش غيره سألوا الدالّ ، كنهيش بن عمرو وصفوان بن أمية وغيرها .

قالوا : ولنا الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن الميرة ، كان شاعراً محبداً كثيراً ، وكان أميراً مكة استعمله عليها يزيد بن معاوية .

ومن شعره :

مَنْ كَلَبَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَرَلْنَا هَلْ أَقْضَوْنَا مَتَا مَرَلْ قَمِينُ^(١)
إِذْ مَلَسَ الْعَبِشَ غَصًّا لَا يُكْدَرُهُ قَرَبُ الْوُشَاءِ وَلَا يَنْبُوْنَا الزَّمَنُ
وَأَخُوهُ عِكْرَمَةُ بْنُ خَالِدٍ كَانَ مِنْ وَحْوِيٍّ فَرِيشٍ ، وَدَوَى الْحَدَثِ ، وَدَوَى عَمِهِ .

ومن ولد خالد بن العاص بن هشام بن الميرة خالد بن إسماعيل بن عبد الرحمن ، كان جواداً متلافاً ، وفيه قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَحْدَ مَا عَاشَ حَدُّهُ عَلَى الْعُزْرِ مِنْ دَى كَدَةِ لُقْمِ
وَتَدَى الدِّطَاحِ الْبَيْضِ مِنْ جُودِ خَالِدٍ وَيُحْنِصِ حَتَّى نَهْنٍ عَمِيمُ
قالوا : ولنا الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن الميرة ، كان قاضياً مكة ، وكان فيها .

قالوا : ومن قدماء المسلمين عبد الله بن أمية بن الميرة أخو أم سلمة زوج رسول الله

(١) نسب فريش ٣٩٣ ، معجم البلدان ١ : ٣٠٩ من غير نسخة . والأقحوانة موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ بحيرة طبرية .

صلى الله عليه وآله ، كان شديد الخلاف على المسلمين ، ثم خرج مهاجراً ، وشهد فتح مكة وحنين ، وقُتل يوم الطائف شهيداً .

والوليد بن أمية ، هجر رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ، فسمّاه المهاجر ، وكان من صلحاء المسلمين .

قالوا : ومنا رهير بن أبي أمية بن المعيرة ، ونَجَّير بن أبي ربيعة بن معيرة ، هجر رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ، فسمّاه عند الله ، كما سماه أشراف قريش ، وعباس بن أبي ربيعة ، كان مشرباً .

قالوا : ومنا الحارث القُمام ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كان أميراً الحِمْيَر ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، المشهور دى الرمل والشمس .

قالوا : ومن ولد الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الفقيه المشهور ، وهو المعيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ، كان فقيهاً المدينة بعد مالك بن أنس ، وعرض عليه الرشيد حاضرة أروسة آلاف دينار ، فامتنع ولم يتقبله انصاء .

قالوا : ومن يمد ما نمدّه محروم ولها خالد بن الوليد بن المعيرة سيف الله ! كان مشاركاً ، ميموناً البقية شجاعاً ، وكان له أخته الحليل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهد معه فتح مكة ، وخرج يوم حنين ، فمات رسول الله صلى الله عليه وآله على حرّحه فبرأ ، وهو الذي قتل مُسَيِّدة وأمر طليحة ومهّد خلافة أبي بكر ؛ وقال يوم موته : لقد تمهدت كذا وكذا رَحْطاً ، وما في حسدى موضع إلتصاع إلا وفيه طعة أو صرمة ، وهاندا أموت على فراشي كما يموت العير ، فلا تمت أعينُ الحناء ! وصرا عمر بن الخطاب على دُور بنى محزوم والنساء يمدّبن حالداً ، وقد وصل خبره إليهم

وكان مات بحمص ، فوقف وقال : ما على النساء أن يدُنَّ أبا سليمان ، وهل تقوم حُرّة
عن مثله ! ثم أشد :

أَبْكَى مَا وَصَلَتْ بِهِ النَّدَى وَلَا تَبْكِي فِرْلَسَ كَالْجِبَالِ
أُولَئِكَ إِنْ نَكَيْتَ أَشَدُّ قَقْدًا مِنْ الْأَسَامِ وَالْمَكْرِ الْحَلَالِ^(١)
تَمَيَّ نَعْدَهُمْ قَوْمٌ مَدَاهِمُ مَا بَنَسُوا لِنَبَاتِ الْكَالِ

وكان عمرُو مُنْصَبًا لَخَالِدٍ ، ومعه عنه ، ولم يمنعه ذلك من أن صدق فيه .

قالوا : ومما الوليد بن الوليد بن المغيرة ، كان رجلٌ مِدْقٌ من مُلَحَاءِ السُّلَيمِ .

ومما عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان عظيمَ اَمْدَرٍ في أهل الشام ، وحاف معاوية
منه أن يَبِيتَ على الخلافة نَعْدَهُمْ ، فسَمَّه ، أَمْرًا طَبِيبًا لَهُ يُدْعَى ابْنُ أُنَالٍ فَسَاءَ مَقْتَلُهُ .
وحالدين المهاجر بن خالد بن الوليد قاتل ابن أُنَالٍ بَعَثَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْخَالِفُ عَلَى بَنِي أُمِيَّة ،
وَالْمُنْطَعِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامَ بْنِ لَوْلِيدِ كُلِّ أَمْرٍ الْمَدِينَةِ . وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ
أَبَا هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَأَيُّوبَ بْنَ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ
قُرَيْشٍ ، وَمِنْ وَلَدِهِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَيُّوبَ وَسَلَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَلِي
شُرْطَةَ الْمَدِينَةِ .

قالوا : ومن ولد حَفْصِ بْنِ الْمَعْبِرةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمْرِ بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمَعْبِرةِ ، هُوَ
أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ حَاجٌّ بِرِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ .

قالوا : ولنا الْأَرَرَقُ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ
ابْنِ الْمَعْبِرةِ وَالْيَمِينُ لَانِ الزَّيْرِ ، وَكَانَ مِنْ أَحْوَدِ التَّزَبُّ ، وَهُوَ مَخْدُوحُ أَبِي دَهْبَلٍ
الْجَمْحِيِّ .

(١) الْمَكْرُ : مَا فُوقَ الْخَمْسَةِ مِنَ الْإِبِلِ .

(٢) وَ د : ه النَّاسُ .

قالوا : ولنا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو عبد الله بن السائب بن أبي السائب ، واسم أبي السائب صتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن محروم ، كان شريك النبي صلى الله عليه وآله في الجاهلية ، فجاءه يوم الفتح فقال له : أتعرفني ؟ قال : أليست شريكى ؟ قال : بلى ، قال : لقد كنت خير شريك ، لا تُشارى ولا تُمارى .

قالوا : ومنا الأرقم بن أبي الأرقم الذى استتر رسول الله فى داره بمكة و. أول الدعوة ، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن محروم .

ومنا أبو سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، وهو روح أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ، شهد أبو سلمة بدرًا ، وكان من صلحاء المسلمين .

قالوا : لنا هبيرة بن أبي وهب ، كان من الفرسان المذكورين ؛ وابنه جمدة بن هبيرة ؛ وهو ابن أخت علي بن أبي طالب عليه السلام ، أمه أم هانىء بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله ابن جمدة ابن هبيرة هو الذى فتح القمند وكثيرا من خراسان ، فقال فيه الشاعر :

لولا ابن جمدة لم تفتح قمندركم ولا خراسان حتى ينفخ الصور

قالوا : ولنا سميد بن السيب الفقيه المشهور . وأما الجواد المشهور فهو الحكم بن المطلب ابن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن محروم .

وقد اختصرتنا واقتصرنا على من ذكرناه ، وتركنا كثيرا من رجال محروم خوف الإسهاب .



ويبينى أن يقال فى الجواب : إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل هذا الكلام احتقارا لهم ، ولا استصمارا لشأنهم ، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر همة يوم المعاصرة أن يفاخر بنى عبد شمس لما بينه وبينهم ، فلما ذكر غزوهما بالمرض قال فيهم ما قال ، ولو كان يريد معاشرتهم لما اقتصر لهم على ما ذكره عنهم ، على أن أكثر هؤلاء الرجال إسلاميون بعد عصر علي عليه السلام ، وعلي عليه السلام إنما يذكر من قبله لا من بعده .

فإن قلت : إذا كان قد قال في بني عبد شمس إنهم أمتع لما وراء ظهورهم ، ثم قال في بني هاشم : إنهم أمتع عند الموت بنوهم ، فقد تناقض الوسمان .

قلت : لا مناقصة بينهما ، لأنه أراد كثرة بني عبد شمس ، فبالكثرة تمنع ما وراء ظهورها ، وكان بنو هاشم أقل عددا من بني عبد شمس ، إلا أن كل واحد منهم على انفراده أشجع وأمتع بنفسه عند الموت من كل واحد على انفراده من بني عبد شمس ، فقد بان أنه لا مناقصة بين القولين .

(١١٧)

الأصل :

شَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ ؛ عَمَلٍ تَذْهَبُ لَدَيْهِ ، وَتَنْقَى تَبِعَتُهُ ؛ وَعَمَلٍ تَذْهَبُ
مَوَدَّتُهُ ، وَيَبْقَى أَجْرُهُ .

• • •

الشرح :

أخذ هذا المعنى بعضُ الشُّعْرَاءِ ، قَالَ :
نَفَى اللَّذَادَةَ يَمْنُ مَالُ بُنْيَتِهِ مِنْ الْحَرَامِ وَسَقَى الْإِثْمُ وَالْمَارُ
نَقَى عَوَاقِبَ سَوْءٍ فِي مُنْتَهَاهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

(١١٨)

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ نَسِعَ حَارَةً فَسَمِعَ رَحَلًا يَمْصَحُكَ ، قَالَ :
كَانَ الْمَوْتُ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَرُّ الْحَقِّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ ، وَكَانَ
الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَعْرًا مِمَّا قَلِيلٌ مِنَّا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أُجْدَانَهُمْ ،
وَنَأْكُلُ تُرَائِهِمْ ، كَأَنَّا مُعَدِّدُونَ تَعْدَهُمْ ، فَذُنُوبُهُمْ كُلٌّ وَأَعْطِ وَأَعْطِ ، وَرُمِيًا
بِكُلِّ جَانِحَةٍ .

طَوَى لِمَنْ دَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَطَاةَ كَتَبَهُ ، وَصَنَعَتْ مَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ حَقِيقَتُهُ ،
وَأَتَقَى الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَغَرَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ،
وَوَسَمَتُهُ الشُّبَّةُ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بَدْعَةٍ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَقُولُ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

البيان :

الأشهر الأكثر في الرواية أن هذا الكلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه
ومثل قوله : « كَانَ الْمَوْتُ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ » قول الحسن عليه السلام : مَا رَأَيْتُ حَقًّا
لَا بَاطِلَ فِيهِ أَشَدَّ بَاطِلًا لَا حَقَّ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي بَعْدَهُ وَاضِحَةٌ لَيْسَ فِيهَا
مَا يُشْرَحُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَظَائِرِهَا .

(١١٩)

الأصل :

عَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ ، وَعَيْرَةُ الرَّحْلِ إِيمَانٌ .

الشرح :

المرجع في هذا إلى الثقل والتماسك ، فمتى كان الرجل أعقل وأشدّ تماسكاً كانت عَيْرَتُهُ في موضعها ، وكانت واجبةً عليه ، لأنّ الدّهي عن السكر واجب ، وفعل الواحات من الإيمان ، وأما المرأة فلما كانت أُنْقَصَ عقلها وأدبُها صَدُرَ كُفْرُ عَيْرَتِهَا على أَوْهَمِ الباطل والخيال غير المحقق ، فكانت قبيحةً لوقوعها غير موضعها ، ومماها عليه السلام كُفْرًا لمشاركتها الكُفْرَ في القُبْحِ فأحرى عليها اسمه .

وأبصارُ فإنّ المرأة قد تؤدّي بها اسيرةً إلى ما يكون كُفْرًا على الحقيقة كالسّحر ، فقد ورد في الحديث المرفوع أنه كُفْرٌ ، وقد يُعصى بها الصّبح والقلق إلى أن تتسحط وتشتّم وتتلطف بالفاظٍ تكون كُفْرًا لا محالة .

(١٢٠)

الأصل :

لَأَسْبِقَ الْإِسْلَامَ بِسِتَّةَ لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي . الْإِسْلَامُ هُوَ النَّسْلِيمُ ، وَالنَّسْلِيمُ هُوَ
الْيَقِينُ ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ ؛ وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ ، وَالْأَدَاءُ
هُوَ الْعَمَلُ .

الشرح :

خلاصة هذا الفصل تقتضي صحة مدقّق أصحابنا المعرّلة في أن الإسلام والإيمان عبادتان
عن معبر واحد ، وأن العمل داخل في مفهوم هذه اللفظة ، ألا تراه حمل كل واحدة من
اللفظتين قائمة مقام الأخرى في إعادة المفهوم ، كما نقول : النبيث هو الأسد والأسد هو السبع ،
والسبع هو أبو الحارث ! فلا شبهة أن النبيث يكون أبا الحارث ؛ أي أن الأسماء مترادفة ،
فإذا كان أول اللفظتين الإسلام ، وآخرها العمل ، دلّ على أن العمل هو الإسلام ؛ وهكذا
يقول أصحابنا : إن تارك العمل وتارك الواجب لا يسمى مسلماً .

فإن قلت : هب أن كلامه عليه السلام يدل على ما قلت ، كيف يدل على أن الإسلام
هو الإيمان ؟

قلت : لأنه إذا دلّ على أن العمل هو الإسلام وجب أن يكون الإيمان هو الإسلام لأن
كل من قال : إن العمل داخل في معنى الإسلام ؛ قال : إن الإسلام هو الإيمان ،

فالقول بأن العمل داخل في مسمى الإسلام ، وليس الإسلام هو الإيمان ، قول لم يقل به أحد ؛ فيكون الإجماع واقفا على نُطْلَانه .

فإن قلت : إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل كما تقوله المعتزلة ، لأن المعتزلة تقول : الإسلام اسم واقع على العمل وغيره من الاعتقاد ، والنطق باللسان ، وأمير المؤمنين عليه السلام حمل الإسلام هو العمل فقط ، فكيف ادّعت أن قول أمير المؤمنين عليه السلام يطابق مذهبهم ؟

قلت : لا يجوز أن يريد غيره ، لأن لعط العمل يشمل الاعتقاد ، والنطق باللسان ، وحركات الأركان بإسادات ، إذ كل ذلك عمل وفعل ، وإن كل نمعه من أعمال القلوب ، ونمعه من أفعال الحوارج ، ولو لم يرد أمير المؤمنين عليه السلام ما شرّحناه لكان قد قال : الإسلام هو العمل بالأركان خاصة ، ولم يمتصّر فيه الاعتماد العلوي ، ولا المطلق اللطفي ، وذلك مما لا يقوله أحد .

(١٢١)

الأصل :

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَحِلُّ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَقُوتُهُ الْفَنَى الَّذِي إِنَاءُ
 طَلَبَ ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ ،
 وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ طُفَّةً ، وَبِكَوْنُ عَدَا حِيَمَةً ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ
 شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى حَقَّ اللَّهِ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ ،
 وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى ، وَعَجِبْتُ لِمَا مِر
 دَارَ الْفَنَاءِ ، وَتَارِكِ دَارَ الْبَقَاءِ .

الشرح :

قال أعرابي : الرُّقُوقُ الواسِعُ لَنْ لَا يَسْتَمِيعَ ، بِمَعْرِةِ الطَّعَامِ الْمَوْضُوعِ عَلَى قَبْرِ .
 ورأى حكيمٌ رجلاً مُتَرَمِّماً يَأْكُلُ حُرّاً وَهَيْئَةً ، فَقَالَ : لِمَ تَعْمَلُ هَذَا ؟ قَالَ : أَحَدُ الْفُقَرَاءِ ،
 قَالَ : فَقَدْ تَعَجَّلْتَهُ . فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْكِبَرِ وَتَنِيهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ ؛ وَقَالَ
 ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : مَا نَاءَ عَلَى أَحَدٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ، أَحَدَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ
 فَقَالَ وَأَحْسَنَ :

هَذِهِ مِنْكَ فَإِنْ عُدْتُ تَ إِلَى الْبَلْبِ فَنُتِي

وقد تقدم من كلامنا في بطائر هذه الأنماط المذكورة ما يفني عن الإطالة ها هنا .

(١٢٢)

الأُصْلُ :

مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ ، ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ .

التَّبَيُّنُ :

هذا محصورٌ بأصحاب اليقين ، والاعتماد الصحيح ، فإنهم الذين إذا قَصَرُوا
في العمل ابْتُلُوا بِالْهَمِّ ، فَمَا عَرُّهُمْ مِنْ مُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَدَوَى النَقْصِ فِي الْيَقِينِ
وَالاعْتِمَادِ ، فَإِنَّ لَهُمْ لَهْمَ يَتَزَوَّمُونَ فِي قَصَرِهِمْ فِي الْعَمَلِ ، وَهَذِهِ السَّكَاةُ عَدَّ خَرَّتْهَا
مِنْ أَصْيَا عَوَّحَدْنَا بِمُصَدِّقَاتِهَا وَاضْمَحَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مَا إِذَا أَحَلَّ مَرِيضَةُ الطَّهْرِ
مَثَلًا حَتَّى يَغِيْبَ الشَّمْسُ وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ بِهَا لَمُدَّرَ وَحَدَّ ثِقَلًا فِي نَفْسِهِ وَكَسَلًا
وَقِلَّةَ نَشَاطٍ ، وَكَأَنَّهُ مُشْكُولٌ بِشِكَاكِ أَوْ مُقَيَّدٌ بِقَيْدٍ ، حَتَّى يَفْصِيَ تِلْكَ الْقَرِيصَةَ ،
فَكَأَنَّمَا أُشِيطَ مِنْ عِقَالٍ .

(١٢٣)

الأصل :

لَا حَاجَةَ لِلَّهِ بِمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ .

الشرح :

قد جاء في الخبر الرفوع : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَدَاً أَتَلَّاهُ فِي مَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ » .
وحاء في الحديث الرفوع . « لِلَّهِمْ فِي أَعْوَادِكَ مِنْ حَسَدٍ لَا يَمْرُصُ ، وَمِنْ
مَالٍ لَا يُصَابُ » .

وروى عبد الله بن أنس عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَصِحَّ فَلَا
يَسْقَمُ ؟ » ، قالوا : كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « أُمُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالْحَمْرِ الصَّائِلَةِ ؟ أَلَا تُحِبُّونَ
أَنْ تَكُونُوا أَصْحَابَ بِلَابٍ وَأَصْحَابَ كَغَارَاتٍ ' وَآلِدَى نَعْنَى بِالْحَقِّ إِنَّ الرَّحْلَ لَتَكُونُ لَهُ
الدَّرَجَةُ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَسْلُمُ شَيْءٌ مِنْ تَحْتِهِ فَيَتَلِيهِ اللَّهُ لِيُثْلِقَهُ اللَّهُ دَرَجَةً
لَا يَسْلُمُهَا بِعَمَلِهِ » .

وفي الحديث أيضا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمْرُضُ مَرَضًا إِلَّا حَتَّ اللَّهُ بِهِ حَطَايَاهُ كَمَا تَحْتُ
الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » .

وروى أبو عثمان السَّهْدِيُّ قال : دخل رجل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وآله
فوجدته عظيم ، فقال له : مَتَى عَهْدُكَ بِالْحَقِّ ؟ قال : مَا أَهْرَفُهَا ، قال : بِالصُّدَاعِ ،

قال : ما أدري ما هو ؟ قال : فأُصِيتَ بِكَ ؟ قال . لا ، قال : فرُرْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام : « إِنْ اللَّهُ لَيَكْرَهُ أَنْ يُغْفِرَ اسْمُ أَبِيكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ فِي وَلَدِهِ وَلَا يُصَابُ فِي مَالِهِ » .

وحاء في بعض الآثار : « أَشَدُّ النَّاسِ حُبًّا لِلصَّحْبِ الْفَارِغُ » .
وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ أَقْرَأَ يَوْمَ لَمِيتُ لَيَوْمٍ لَا أَجِدُ فِيهِ طَعَامًا ، صَحَّتْ رِسْوَلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ لَيَتِمَّ عَهْدُ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ بِإِسْلَامِهِ كَمَا يَتِمَّ عَهْدُ الْوَالِدِ وَلَدَهُ بِالطَّعَامِ ، وَإِنْ اللَّهُ لَيَحْيِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ كَمَا يَحْيِي أَحَدُكُمْ الْمَرِيضَ مِنَ الطَّعَامِ » .

وفي الحديث المرفوع أيضا : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عِبْدًا أَتَتْهُ ، فَبَدَأَ أَحَبَّهُ الْخُبُّ الدَّالِمُ أَفْتَاهُ » قالوا : وما أَفْتَاهُ ؟ قال : « أَلَّا يَتْرُكُهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا » .

مرَّ موسى عليه السلام رجل كان يَمُرُّهُ مَطِيْعًا فَقَدْ مَرَّقَتْ السَّاعُ لَحْمَهُ وَأَسْلَعَتْهُ ، وَكَبِدُهُ مَلَقًا ، فَوَقَّفَ مُتَعَجِّبًا فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ ، عَبْدُكَ الْمَطِيْعُ لَكَ أَتَيْتَهُ عَمَّا أُرَى ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّهُ سَأَلَنِي دَرَجَةً لَمْ يَنْصُفْهَا لِعَمَلِهِ ، فَصَحَّتْ لَهُ عَمَّا تَرَى سَبِيلًا إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ .

وحاء في الحديث : « إِنْ رَكِبْتَ لَمْ يَرْكَبْ يَوْمَ وَلَدَتْ بِحَبِيٍّ مَعْمُومًا ، كَيْفَا مَشْعُولًا نَفْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ طَلَبْتُ مِنْكَ وَلَدًا أَتَمِيعَ بِهِ مَرَرْتُ قَتِيْبَهُ لَا تَنْفَعُ لِي فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ طَلَبْتَهُ وَائِيًّا ، وَالْوَلِيُّ لَا يَكُونُ إِلَّا هَكَذَا ، مِسْقَامًا فَقِيرًا مَعْمُومًا .

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : كَانُوا لَا يَعْدُوْنَ الْعَقِيْبَةَ فَخِيْبًا مِنْ لَا يَنْدُ الْبَلَاءُ رِيْعَةً وَالرِّخَاءُ مُصِيْبَةً .

حَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَرْفَعُهُ : « يَوْمَ أَهْلِ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ لَحُومُهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ لَمْ يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ » .

(١٢٤)

الأصل :

تَوَقَّوْا انْبِرَادَ فِي أَوَّلِهِ ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كِفَعِهِ
فِي الْأَشْجَارِ ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ ، وَآخِرُهُ يُورِقُ .

الشرح :

هذه مسألة طبيعية قد ذكرها الحكماء ، قالوا . لما كان تأثير الحريف
في الأبدان ، وتوليد الأمراض كالزكام وسعال وعبرهما أكثر من تأثير الربيع ،
مع أنهما جميعا فصلان اعتدال ، وأحاطوا بشئ برّد الحريف يفتح الإنسان وهو معتاد
لحر الصيف ويكأ فيه ، ويسد مسام دماغه ، لأن البرد يكثف ويسد المسام
فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى حين بارد .

فأما المنقل من الشتاء إلى فصل الربيع فإنه لا يكاد يرّد الربيع يؤدبه ذلك الأذى
لأنه قد اعتاد حسمه برّد الشتاء ، فلا يصرف من برّد الربيع إلا ما قد اعتاد ما هو
أكثر منه ، فلا يظهر لبرّد الربيع تأثير في مراحه ، فأما لم أوردت الأشجار وأرهرت
في الربيع دون الحريف ؟ فلما في الربيع من الكيفيتين اللتين هما منبغ النمو والتفسي النائية ،
وهما الحرارة والرطوبة وأما الحريف فحين من هاتين الكيفيتين ومستبدل بهما ضدهما ،

وهما البرودة واليبس المافيان للشواء وحيث الحيوان والسمات . فأما لم تكن الحريف
باردا يابسا والريبع حارًا رطبا مع أن نسبة كل واحد منهما إلى الفصلين الخارجين
عن الاعتدال وهما الشتاء والصيف ستة واحدة ؟ فإن تعليل ذلك مذكور
في الأصول الطبية ؛ والكتب الطبيعية ، وليس هذا الموضع مما يحسن أن يشرح فيه
مثل ذلك .

(١٢٥)

الأصل :

عُظُمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْثِهِ .

التَّيْسُ :

لا يسهل للمخلوق إلى الخالق أصلا وخصوصا البشر ، لأنهم بالنسبة إلى فلك القمر كالذرة ، ونسبة فلك القمر كالذرة بالنسبة إلى قرص الشمس ، بل هم^(١) دون هذه النسبة مما^(٢) يمجّر الحاسب الخارق عن حساب ذلك ، وفلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ، ونسبة الفلك المحيط إلى الناري سبعة كسرة القدم المخص والتي الصرف إلى الموحود البائن ، بل هذا القياس أيضا غير صحيح ، لأن المعلوم يمكن أن يصير موحودا بانما ، والفلك لا يتصور أن يكون صانع العالم اواح الوحد لذاته .

وعلى الجملة فالأمر أعظم من كل عظيم ، وأحل من كل حائل ، ولا طاقة للعقول والأذهان أن تعبر عن حلاله ذلك الحجاب وتعصيته ، بل لو قيل ؛ إنها لا طاقة لها أن تعبر عن حلال مصنوعاته الأولى المتقدمة عليها بالرتبة العقلية والزمانية لكان ذلك القول حقا وصيحا ، فمن هو المخلوق ليقال : إن عظم الخالق يصغره في العين ؛ ولكن كلامه عليه السلام محمول على مخاطبة العامة الذين نصيب أفهامهم عند ذكره .

(١) ساقط من ا ، ب . (٢) ب : د ج ا .

(١٢٦)

الأصل :

وقال عليه السلام ، وقد رجع من صبيح فاشرف على القبور بظاهر السكوفة :
يا أهل الديار الموحشة ، والمحن المقيرة ، والقبور المظلمة . يا أهل التربة ،
يا أهل العربة ، يا أهل الوحدة . يا أهل الوحشة ، أنتم لنا قرط سابق ، ونحن
لكم نزع لاحق ، أما الدور فقد سكنت ، وأما الأرواح فقد سكنت ،
وأما الأموال فقد قُسمت ، هذا حبر ما عهدنا ، فما حبر ما عهدكم ؟

ثم اتفت إلى أصحابه فقال :

أما والله لو أذرت لهم في الكلام ، لأخبروكم أن حبر الزاد التقوى .

• • •

الشرح :

القرط : المتقدمون ؛ وقد ذكرنا من كلام عمر ما يناسب هذا الكلام ، لما طعن
في القبور وطأ إلى أصحابه أحر الوجه ، ظاهر المروق ، قال : قد وقفت على قبور الأحنه
فتأديتها الحديث . . . إلى آخره ، فقيل له : فهل أحبتك ؟ قال : نعم ، قالت : إن حبر
الزاد التقوى .

وقد جاء في حديث القبور وعماطيتها وحديث الأموات وما يتعلق بذلك شيء كثير
يتجاوز الإحصاء .

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله أبا ذر رضي الله عنه : رُءِ القُورَ تَذَكَّرْ بِهَا الآخِرَةَ
ولا تَرُرها لَيْلاً ، وَغَسِّلِ المَوْتى يَتَحَرَّكَ فَلَئِكَ ، فَإِنَّ الجَسَدَ الحَاوِيَّ (١) عِطَّةٌ بَلِيْعَةٌ ، وَصَلِّ^١
عَلَى المَوْتى فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ ، فَإِنَّ الحَزِينَ فِي طَرَفِ اللَّهِ .
وَجِدْ عَلَى قَبْرِ مَكْتُوباً :

مَقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ حَلْفَهُ لِقَاؤُكَ لَا يُرْحَى وَأَنْتَ رَقِيبٌ
تَرِيدُ بَلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيْلَةٍ وَتُنْسَى كَمَا نَسَى وَأَنْتَ حَبِيبٌ

وقال الحسن عليه السلام : ماتَ صَدِيقٌ لَنَا صَالِحٌ ، مَدَقْنَا وَمَدَدْنَا عَلَى الفِرَ ثَوَاءً ، فَجَاءَ
مِيلَةُ بْنُ أَشِيمٍ ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوبِ وَنَادَى : يَا فُلَانُ :
إِنْ تَنَحَّ سَهَا تَسْعُ مِنْ دِي قَطِيعَةٍ وَإِلَّا فَإِنَّ لَا إِحَالَكَ مَاحِيَا
وفي الحديث المرفوع ، أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِذَا نَبِغَ الْحَمَارَةُ أَكْثَرَ الصَّهَاتِ (٢) ؛ وَرَأَى
عَلَيْهِ كَآبَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَأَكْثَرَ حَدِيثِ النَّكْثَةِ
سَمِعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَحَلاً يَقُولُ فِي حَمَارَةٍ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَنْتُ ، فَإِنْ
كَرِهْتَ فَأَنَا .

سَمِعَ الحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَاةً تَسْكِي حَلْفَ حَمَارَةٍ ، وَتَقُولُ : يَا أَتَاهُ ، مِثْلَ يَوْمِكَ لَمْ
أَرَهُ إِذْ قَالَ : بَلْ أَبُوكَ مِثْلَ يَوْمِهِ لَمْ يَرَهُ .
وَكَانَ مَكْحُولٌ إِذَا رَأَى حَمَارَةً قَالَ : لَعْدُ بِنْتِ رَاحِمُونَ .

وقال ابن شَوَّاذٍ : أَطْلَعْتُ أَمْرَاةً صَالِحَةً فِي لَحْدٍ فَقَالَتْ لِأَمْرَأَةٍ مَعَهَا : هَذَا كُنْدُوحُ
الْعَمَلِ - بِمَعْنَى خِزَانَتِهِ . وَكَانَتْ تُعْطِيهِ الشَّيْءَ مَدَامَ شَيْءٍ . فَأَمَرُهَا أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ ، فَتَقُولُ :
أَدْعِي فَصْنِي هَذَا فِي كُنْدُوحِ الْعَمَلِ .

شاعر :

أَجَارِعَةُ رُدْبَةٍ أَنْ أَنَهَا تَمْسِيَّ أَمْ يَكُونُ لَهَا أَصْطَبَارُ !
إِذَا مَا أَهْلُ قَبْرِي وَدَعُونِي وَدَاخُوا وَالْأَكُفَّ بِهَا عُبارُ
وَعُودِرَ أَعْظَمِي فِي الْحَدِّ قَبْرِ تُرَاوِحُهُ الْمَنَائِبُ وَالْقِطَارُ
تَهْبُ الرِّيحُ فَوْقَ مَحَطِّ قَبْرِي وَدَرَعِي حَوْلَهُ اللَّهَقُ النَّوَارُ^(١)
مَقِيمٌ لَا يُكَلِّمُنِي صَدِيقُ بَقَرٌ لَا أَزُورُ وَلَا أَزَارُ
فَدَاكَ الدَّيُّ لَا أَهْجُرَانُ حَوْلًا وَحَوْلًا ثُمَّ تَحْتَمِعُ الدِّيَارُ

وقال آخر :

كَأَنِّي بِأَحْوَانِي عَلَى حَامَتِي قَبْرِي يَهْلُونَهُ فَوْقِي وَأَدْسُهُمْ تَجْرِي
فَيَأْتِيهَا النَّدْرَى عَلَى طَوْبِهِ سَتُرِضُ فِي يَوْمٍ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي
عَمَّا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ تَكُونُ كَاوِيًا لَهَا وَلَا أَذْرِي وَأَجْنِي فَلَا أَذْرِي

وحاء في الحديث المرفوع . « مَا رَأَيْتُ مَسْطَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَمْطَعُ مِنْهُ » .

وفي الحديث أيضا : « الْقَبْرُ أَوَّلُ مَعْرِفٍ مِنْ مَنَارِلِ الْآخِرَةِ ، مَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ ،

وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ » .

(١) اللهق بالتحريك : الثور الأبيض ، والنوار : النازر .

(١٢٧)

الأصل:

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا :

أُشِيهَا اللَّهُ أُمَّ لِلدُّنْيَا ، الْمُتَمَرُّ بِمُرُورِهَا ، الْمُسْحَدُ بِأَطْيَابِهَا ؛ أُنْعَتِقُ بِهَا ثُمَّ تَدُمُّهَا !
أَنْتَ الْمُتَحَرِّمُ عَلَيْهَا أُمَّ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ! مَتَى اسْتَهْوَوْتُكَ ، أَمْ مَتَى غَرَّكَ !
أَعَصَّارِعُ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى ، أَمْ عَصَاجِعُ أُمَّهَاتِكَ نَحْتَ التَّرَى ! كَمْ قَلَّتْ بِكَفِّكَ ،
وَكَمْ مَرَضَتْ بِبَيْدِكَ ، تَذَنَّى لَهُمُ الشَّهَاءُ ، وَنَسْتَوَيْتُ لَهُمُ الْأَطْيَاءُ ؛ عِدَاءٌ لَا يُفِي
عَنَّهُمْ دَوَائِكَ ، وَلَا يُحْدِي عَنْهُمْ نُكَالُكَ !

لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِنْصَافُكَ ، وَلَمْ نُسْعِفْ فِيهِ بِطَبِيبِكَ ، وَلَمْ تَذْفَعْ عَنْهُ بِمَوْتِكَ ،
وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ فِي الدُّنْيَا نَفْسُكَ ، وَعَصْرُ عِرْ مَصْرَعِكَ .

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ حَيْدٍ لِمَنْ حَذَقَهَا ، وَدَارُ عَذَابٍ لِمَنْ قَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ عَنَى لِمَنْ
تَرَوَّدَ مِنْهَا ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ انْمَعَطَ بِهَا . مَسْجِدُ أَحْيَاءِ اللَّهِ ، وَمُعَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ ،
وَمَهْمِطُ وَحَى اللَّهِ ، وَمَتَعَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، اسْتَنْبُوا فِيهَا الرِّحْمَةَ ، وَرَبَّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ،
فَمَنْ دَا يَدُمُّهَا ، وَقَدْ آدَتْ رَيْبُهَا ، وَذَادَتْ بِعِرَاقِهَا ، وَنَسَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَتَنَّتْ
لَهُمْ بِبَلَائِهَا النَّلَاءَ ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى الشُّرُورِ !

رَاحَتْ بِمَافِيَةٍ ، وَابْتَكَّرَتْ بِفَجِيعَةٍ ، تَرْهَبُهَا وَتَرْهَبُهَا ، وَتَحْزِينُهَا وَتَحْذِيرُهَا ،

فَدَمَّهَا رِجَالُ غَدَاةِ الْغَدَامَةِ، وَجِدَّهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، دَكَّرَتْهُمْ الدُّنْيَا فَذَكَّرُوا؛
وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَّظَتْهُمْ فَأَتَمَّطُوا.

البُخ :

تَحَرَّمتُ عَلَى فُلَانٍ : ادَّعَيْتُ عَلَيْهِ حُرْمًا وَدَسًا ؛ وَأَسْتَهْوَاهُ كَدَا : اسْتَرْلَهُ .

وقوله عليه السلام : « فَنُشِتْ لَهُمُ بِلَانُهَا الْبَلَاءُ » ، أى بِلَاءُ الْآخِرَةِ وَعَذَابُ أَحْزَمٍ ،
وَشَوَّ قَتْلَهُمْ سُرُورَهَا إِلَى السُّرُورِ ، أى إِلَى سُرُورِ الْآخِرَةِ وَسُجُودِ الْحَقَّةِ .

وهذا الفصل كله مدح الدنيا ، وهو ينسبُ عن اقتداره عليه السلام على ما يريد من المائى ،
لأنَّ كَلَامَهُ كُلَّهُ فِي دَمِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ الْآنَ يَمْدَحُهَا ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي ذَلِكَ وَفِي هَذَا ؛ وَقَدْ حَاءَ
عَنِ اسْمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَلَامٌ تَتَضَمَّنُ مَدْحَ الدُّنْيَا أَوْ قَرِيبًا مِنَ الْمَدْحِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ حَصِيرَةٌ ، فَمَنْ أَحْدَثَهَا بِحَقِّهَا تَوَلَّى لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا » .

وَأَحْتَدَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُنْزَرِ (١) حَدَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدْحِ الدُّنْيَا فَقَالَ فِي
كَلَامِهِ : الدُّنْيَا دَارُ التَّأْدِيبِ (٢) وَالْتَعْرِيفِ ، الَّتِي تَعَكَّرُ وَهِيَ تَوْصِلُ إِلَى مَحَبُوبِ الْآخِرَةِ ، وَمَصْبَارِ
الْأَعْمَالِ ، السَّافَةِ مَصْحَابَهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَدَرَجَةِ الْمَوَارِثِ الَّتِي يَرْتَقِي عَلَيْهَا الْمُتَّقُونَ إِلَى دَارِ الْخُلْدِ ،
وَهِيَ الْوَاعِظَةُ لِمَنْ عَقَلَ ، وَالْمُحَاجَّةُ لِمَنْ قَلِيلٌ ، وَبَسَاطَةُ الْمَهَلِ ، وَمَيْدَانُ الْعَمَلِ ، وَفَاصِمَةُ الْخَبَائِرِ ،
وَمُكْثِفَةُ الرِّثَمِ مَعَاطِسُ التَّكْبَرِ ، وَكَاسِيَةُ التُّرَابِ أَبْدَانُ الْمُحْتَالِينَ ، وَصَارِعَةُ الْمُنْزَرِينَ ،
وَمَعْرِقَةُ أَمْوَالِ الْبَاحِلِينَ ، وَقَاتِلَةُ الْفِتَانِ ، وَامْعَادِلَةُ بِالْمَوْتِ عَلَى جَمِيعِ الْعَامِينَ ، وَنَاصِرَةُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَمُؤَبِّرَةُ الْكَافِرِينَ . الْحَسَنَاتُ فِيهَا مَصْدَعَةٌ ، وَالسَّيِّئَاتُ بِآلَامِهَا مَحْجُوزَةٌ ، وَمَعَ قُسْرِهَا
يُسْتَرَانُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَمَّنَ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا ، وَأَقْسَمَ فِي كِتَابِهِ بِمَا فِيهَا ، وَرَبُّ طَيْبَةِ

(١) د : « المعبرة » . (٢) د : « التأديب » .

من نعيمها قد حمد الله عليها فتلقاها أيدي الكتبة ووجبت بها الجنة ؛ وكم نائبة من نوائبها ، وحادث من حوادثها ، قد راصت القهزم ، وتبعت العطنة ، وأذكت القريحة ، وأفادت فضيلة الصر ، وكثرت دحار الأخر .

ومن الكلام المنسوب إلى علي عليه السلام : الماس أباء الدنيا ، ولا يلام المرء على حب أمه ، أحده محمد بن وهب الحميري قال :
ومن بنو الدنيا حلقنا لغيرها وما كمت منه فهو شيء محبب

(12A)

الأصل :

إِنَّ لِلَّهِ مَعَكُمْ يُتَدَىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُؤَا لِّلْمَوْتِ ، وَاحْمَمُوا لِّلْعَمَاءِ ، وَابْتِنُوا
لِلْخَرَابِ .

الشرح :

هذه اللام عند أهل العربية تدعى لام العاقبة ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ ^أ

أَلْ فِرْعَوْنُ يَكُنْ لَكُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا ﴾ ^(١) ، ليس أنهم التقطوه لهذه السلة ، بل التقطوه فكان عاقبة التقاطهم إيماء العداوة والحزن ، ومثله :

• فَلَاحَمَوْتُ مَا تُبَادُ الْوَالِدَةُ •

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ۝٢٠﴾ ؛ ليس أنه ذرأهم ليعذبهم في جهنم ، بل ذرأهم وكان طاعة ذرئهم أن صاروا فيها ، وهذا الحرف يحصل الجواب عن كثير من الآيات المتشابهة التي تتعلق بها المجيزة .

وأما فحوى هذا القول وحلاسته فهو التنبية على أن الديار دارُ غمٍّ وعطَبٍ ، لا دارُ بقاء وسلامة ، وأن الولد يموت ، والدار تحترق ، وما يجمع من الأموال يفسى .

(١) سورة القصص ٨٠ . (٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(١٢٩)

الأصل :

الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ ، لَا دَارُ^(١) مَقَرٍّ ، وَلِنَاسٍ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ
فَأَوْبَقَهَا ، وَرَجُلٌ ابْتَعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا .

الشرح :

قال عمر بن عبد العزيز يوماً لحصانه : أخبروني من أحق الناس ؟ قالوا : رجل
باع آخرته بدُنياه ؛ فقال : ألا أنتم بأحق منه ؟ قالوا : بلى ؛ قال : رجل باع آخرته
بدُنيا غيره .

قلتُ : لقائل أن يقول له : ذلك باع آخرته بدُنياه أيضا ، لأنه لو لم يكن له دُنة
في بيع آخرته بدُنيا غيره لما باعها ، وإذا كان له في ذلك دُنة ، فإذن إنما باع آخرته بدُنياه ،
لأن دُنياه هي دُنته .

(١) في د « إلى دار » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(١٣٠)

الأصل :

لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ : فِي نَكْبَتِهِ ، وَعَيْنَتِهِ ، وَوَقَارَتِهِ .

الشرح .

قد تقدم لنا كلام في «الصديق والصداقة» وأما النكبة وحفظ الصديق فيها فإنه يقال :
في الخبوس^(١) مقابر الأحياء ، وشماتة الأعداء ، وتحرمة الأصدقاء .

وأما النية فإنه قد قال الشاعر :

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ حَسْبُ مَوَدَّةٍ فِي الْقُرْبِ مَاعَفَا عَلَى الْمُعَدِّ

وأما الموت فقد قال الشاعر :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَاتَّزَبُّ بَيْنَنَا كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ يَرَانِي

ومن كلام علي عليه السلام . الصديق من صدق في عينته .

قيل لحكيم : مَنْ أَعَدَّ النَّاسَ سَفَرًا ؟ قال : مَنْ سَافَرَ فِي انْتِغَاءِ الْأَحْصَاخِ .

أبو العلاء المعري :

أُرِدْتُ بِكُمْ بِأَدْوَى الْأَلْبَابِ أُرْمَةً يَبْرُكُ أَحْلَامُكُمْ تَهْتَبُ الْجَهْلَاتِ

وَذَا الصَّدِيقِ ، وَعِلْمُ الْكَيْمِيَاءِ ، وَأَخْ كَامُ التَّحْوِمِ ، وَتَفْسِيرُ النَّامَاتِ

قيل للثوري : دُلَّنِي عَلَى حِلْسٍ أَحْلَسَ إِلَيْهِ^(٢) ؟ قال : تِلْكَ صَالَةٌ لَا تُوَحَّدُ .

(١٣١)

الأصل :

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ انْقِرَاطُهَا ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَعْمَرَةُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزَّيْدَةُ .

قال الرضوي رحمه الله تعالى : وتصدق ديت في كتاب الله تعالى ؛ قال في الدعاء : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(١) .

وقال في الاستغفار : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُخْرِجْهُ مِنْهُ عَلَى رِزْقٍ كَثِيرٍ ﴾ ^(٢) .

وقال في الشكر : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) .

وقال في التوبة : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ^(٤) .

الشرح :

في بعض الروايات أن ما نسب إلى الرضوي رحمه الله من استقساط هذه المعاني من الكتاب العزيز من متن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وقد سبق القول في كل واحدة من هذه الأربع مُستقصى .

- | | |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة غافر ٦٠ . | (٢) سورة النباء ١١٠ . |
| (٣) سورة إبراهيم ٧ . | (٤) سورة النباء ١٧ . |

(١٣٢)

الأصل :

الصَّلَاةُ قُرْآنُ كُلِّ نَفْسٍ ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ،
وَزَكَاةُ الْمَدَنِ الصَّوْمُ ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حَسَنُ التَّعْمَلِ .

الْبَيِّنَةُ :

قد تقدم القول في الصلاة والحج والصدقات ، فإما أن جهاد المرأة حسن العمل ،
فمنها حسن معاشرته بعلها وحفظ ماله وعمره ؛ وإطاعته فيما يأمر به ، ورك العروة
فإنها باب الطلاق .

[نُبذ من الوصايا الحكيمة]

وأوصت امرأة من ساء العرب بِنْتَهَا لَيْلَةً إهدائها^(١) فقالت لها : لو تركتُ
الوصية لأحدٍ لِحُسْنِ أدبٍ وكرمٍ حسَبٍ ، لتركْتُها لكِ ، ولكنها تذكركُ للغافل ،
ومَثْوًةٌ للعاقل . إنك قد خلقتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجَتٌ ، والوَكْرُ الذي منه حَرَاجَتٌ ،
إلى منزلٍ لم تعرفيه ، وقريرٍ لم تألميه ، فكوني له أُمَةً ، يكنْ لكِ عَبْدًا ، واحفظي عني
خِصَالًا عَشْرًا :

(١) ليلة إهدائها ، أي ليلة رواجها ؛ يقال هدى العروس بن بعلها وأهداها هداً وإهداء .

أما الأولى والثانية، فحُسْنُ الصَّحَابَةِ بِالنَّفْعَةِ، وَجَمِيلُ الْمَاشِرَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَفِي حُسْنِ الصَّحَابَةِ رَاحَةُ الْقَلْبِ، وَفِي جَمِيلِ الْمَاشِرَةِ رِصَالُ الرَّبِّ.

والثالثة والرابعة، التَّعَقُّدُ لِمَوَاقِعِ عَمِّيهِ، وَالتَّهَيُّدُ لِمَوَاضِعِ أَيْهِ، فَلَا تَقِيعُ عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَجِدُ أَمْرُهُ مِنْكَ خَبِيثَ رِيحٍ، وَاعْتَمَى أَنْ اسْكُحْلَ أَحْسَنُ الْحَسَنِ الْمَقُودِ، وَأَنْ الْمَاءُ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمَوْحُودِ.

والخامسة والسادسة، الْخَفْظُ لِمَالِهِ، وَالْإِرْءَاءُ عَلَى حَشْمِهِ وَعِيَالِهِ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَصْلَ الْاِحْتِفَاطِ بِالْمَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ، وَأَصْلُ الْإِرْءَاءِ عَلَى الْحَشْمِ وَالْعِيَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ. والسابعة والثامنة، التَّهَيُّدُ لَوَقْتِ طَعْمِهِ، وَالْهَدُّوُّ وَلِسَانُ عَيْدِ مَسَامِهِ، فَحَرَارَةُ الْجُوعِ مِثْلُهُ، وَتَنْفِيصُ النَّوْمِ مَغْضِبُهُ.

والثامنة والعاشرة: لَا تَمْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِيَنَّ لَهُ أَمْرًا، فَإِنَّكَ أَنْ أَفْشَيْتِ سِرَّهُ لَمْ تَأْمِي عَدْرَهُ، وَإِنْ عَصَيْتِ أَمْرَهُ أَوْعَرْتِ سَدْرَهُ.

وَأَوْصَتْ امْرَأَةٌ ابْنَتَهَا وَقَدْ أَمَدَّتْهَا إِلَى نَعَامِهَا، فَقَالَتْ: كُونِي لَهُ فِرَاشًا، يَكُنْ لَكَ مَعَاشًا، وَكُونِي لَهُ وَطَاءً، يَكُنْ لَكَ عِطَاءً، وَبَيْكًا، وَالْاِكْتِثَابُ إِذَا كَانَ قَرِحًا، وَالْفَرَحُ إِذَا كَانَ كَثِيًّا، وَلَا يَطْمَنَّ مَعَكَ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَشْمَنَّ مَعَكَ إِلَّا طَيِّبَ رِيحٍ^(١).

وَرَوَّجَ عَمْرُ بْنُ الطَّرِيبِ ابْنَتَهُ مِنْ ابْنِ أُخِيهِ، فَلَمَّا أَرَادَ تَخْوِيلَهَا قَالَ لَأَمَّهَا مَرِي ابْنَتُكَ أَلَّا تَنْزِلَ مَغَازَةً إِلَّا وَمَعَهَا مَاءٌ، فَإِنَّهُ لِلْأَعْيَى حِلَاءٌ، وَلِلْأَسْفَلِ نَقَاءٌ، وَلَا تُكْثِرْ مُصَاجَعَتَهُ، فَإِذَا مَلَ الْبَدَنُ مِنَ الْقَلْبِ، وَلَا تَحْمِهْ شَهْوَنَهُ، فَإِنَّ الْخَطْوَةَ فِي الْمَوَاقِفِ فَلَمْ يَلِثْ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى حَادَتْهُ مَشْجُوحَةٌ، فَقَالَ لَابْنَ أُخِيهِ: مَا بُيِّنَ أَرْفَعُ عَمَّاكَ عَنْ بَسْكَرَتِكَ،

فإن كان من غير أن تنفر بك فهو الداء الذي ليس له دواء ؛ وإن لم يكن بينكما وفاق ففراق ،
الجمع أحسن من الطلاق ، وإن ترك أهلك ومالك .

فرد عليه صداقها ، وخلصها منه ، فهو أول حُلْمٍ كان في العرب ^(١) .

وأوصى امرأته السكلى ابنته ثائلة حين أهداها إلى عثمان ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، إنك
تقدمين على نساء من نساء قريش هن أفدرُ على أطيب منك ، ولا تُعنين على حصنتين ؛
السُّكُلُ والماء . تطهرى حتى يكون ريح جديك ريح شمسٍ أمامه مطر ، وبيتاك والنيرة على
بِعْلِكَ ، فإنها مفتاح الطلاق .

وردى أبو عمرو بن العلاء قال : أنكح عمرو بن عمرو الضى ابنته من معد
ابن زُرارة ، فلما أحرحها إليه قال : يا بُنَيَّةُ ، أمسكي عبيك النصلين : فصل العُلْمَةُ ،
وفصل الكلام .

قال أبو عمرو : وضرار هذا هو الذي رفع عقبرته نُكْاطَ ، وقال : ألا إن شرَّ حائل ^(٢)
أمّ ، فزُوحوا الأمهات ؛ قال : وذلك أنه صُرِعَ بين الرماح ، فأشبل عليه إخوته لأمه
حتى استعدوه .

وأوصت أعرابية انتها عهد إهدائها ، فمات لها : اقضى رُجَّ رُحْمِهِ ، فإن أقرَّ فاقطعى
سِيانه ، فإن أقرَّ فاكسرى العظام بسيمه ، فإن أقرَّ فاقطعى اللحم على رُوسه ، فإن أقرَّ
فقصى الإكاف على ظهره ، فإنما هو حمار .

وهذا هو قُشْعُ التَّسْعِلِ ، وذكرناه نحن في باب حسن النعل ، لأنَّ الصَّدَّ يُدْكر بصدّه .

(١) يقال : حلح الرجل امرأته وحالها إذا احتسب منه بما لم يملكها وأبى من حسه

(٢) الحائل : إلى لا تحبل .

(١٣٣)

الأصل :

اسْتَرْتَرُوا الرُّرُقَ بِالصَّدَقَةِ .

• • •

الشرح :

حاء في الحديث المرفوع - وقيل : إنه موقوف على عثمان : « تاحروا الله بالصَّدَقَةِ تَرَبَّحُوا » .

وكان يقال : الصَّدَقَةُ صَدَاؤُ الْجَمَّةِ .

وفي الحديث المرفوع : « ما أحسن عبد الصَّدَقَةِ ، إلا أحسن الله الخلافة على مُخَلَّفِيهِ » .

وعنه صلى الله عليه وآله : « ما من مسلم يَكُومُ مسلماً ثوماً إلا كان في حفظ الله ما دام منه رُقْمَةٌ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : الصَّلَاةُ تَدْفَعُ نَصَبَ الطَّرِيقِ ، والصَّوْمُ يَلْمُكَ بَابَ الْمَلِكِ ، والصَّدَقَةُ تَدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

(١٣٤)

الأصل :

وَمَنْ أَقْبَنَ بِالْحَلْفِ حَدَّ الْمَطِيَّةِ .

الشرح :

هذا حق ، لأن من لم يؤمن بالحلف ويحتوف الفجر يصير بالمطية ، ويعلم أنه إذا أعطى ثم أعطى استغنى ماله ، واحتاج إلى لمس لا تقطاع ماله ؛ وأما من يؤمن بالحلف ، فإنه يعلم أن الجود شرفٌ يصاحبه ، وأن الجواد ممدوح عند الناس ، فقد وُحِدَ الداعي إلى السماح - ولا صارف له عنه - لأنه يعلم أن مادته دائمة غير منقطعة ، فالصارف أي يحافه من قدما ذكره مفعول في حقه ، فلا حرّم أنه يحو بالمطية !

(١٣٥)

الأمنل :

تَرِلُ الْمُعَوَّةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤَوَّةِ .

البُئخ :

جاء في الحديث الرفوع : « مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ ، وَكَلَّمَا كَثُرَ الْمِيَالُ كَثُرَ الرِّزْقُ » .
وكان على مصر الوسير بن رسوم جماعة من الفقراء يَدْعُهَا إِلَيْهِمْ كُلَّ سَنَةٍ ،
فاسْتَكْتَرَهَا ، فَأَمَرَ كَاتِبَهُ بِمَطْمِهَا ، فَرَأَى فِي الْمَدَمِ كَأَنَّ لَهُ أَهْوَاءَ كَثِيرَةً فِي دَارِهِ ،
وَكَأَنَّهَا تَصْنَعُهَا أَعْوَامٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ يَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ
رِزْقِي رِزْقِي أَفْقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا رِزْقُكَ هَذِهِ لَتَصْرِفَهَا فِيهَا كَسَتْ تَصْرِفَهَا فِيهِ ، فَإِذَا قَطَعْتَ ذَلِكَ
وَفَضَلْنَاهَا مِنْكَ ، وَحَمَلْنَاهَا لِفَيْرِكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرَ كَاتِبَهُ بِإِعَادَةِ تِلْكَ الرَّسُومِ أَجْمَعِ .

(١٣٦)

الأجل :

مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ .

اليسخ :

ما حال ، أى ما احتقر ، وقد تقدم لنا قول مُقع في مدح الاقتصاد .

وقال أبو التلاء :

وإن كنتَ تهوى العيشَ فابغِ نَوْحًا ففندك التَّعَاهى بِقَصْرِ الْمُتَطَاوِلِ^(١)

تَوَقَّى الدُّورُ النِّصَّ وَهِيَ أَهْنٌ وَيُدْرِكُهَا التَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

وهذا الشعر وإن كل في الاقتصاد في المراتب والولايات ، إلا أنه مدح للاقتصاد

في الجملة ، فهو من هذا الباب .

وسمع بعض الفضلاء قول الحكماء : التَّديِيرُ نصفُ العِيشِ ، فقال : بل العِيشُ كُلُّهُ .

(١٢٧)

الأصل :

قِلَّةُ الْمَيْالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ .

• • •

الْبَنْحُ :

اليسار الثاني كثرة المال ؛ يقول : إن حيلة العيال مع الفقر كاليسار الحقيقي مع
كثرتهم .



ومن أمثال الحكماء : العيال أَوْحَشُ الْمَالِ .

(١٣٨)

الأصل :

التودُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ .

الشرح :

دخل حبيب بن شُوْدَب على حمطر بن سليمان بالبصرة ، فقال : يَمُّ المرء حَبِيب
ابن شُوْدَب ! حَسَن التودُّد ، طَيِّب الثَّناء ، نَكَرَةُ الزَّيَّارة المتصلة ، والقِعدة المَسِيَّة .
وكان يقال : التودُّد طاهرٌ حَسَن ، ولمعاملة بين الناس على الطاهر ، فأما البواطن
فقال عالم الخفيات .

وكان يقال : قَلَّ مَنْ تودَّدَ إِلَّا صار محمواً ، والمحسوب مستورُ العيوب .

(١٣٩)

الأصل :

والهم نصف الهرم .

الشرح :

من كلام بعض الحكماء : الهم شيب القلب ، ويضم القتل ، فلا يتولد منه رأى ،
ولا تصدق معه روية .

وقال الشاعر :

هموم قد أبت إلا التياض ^{كمرقبت} الشيب في رأس الوليد
وتقدم قائما يتسجعا حشأ وتطلق للقيم حيا القمود
وأصغت حشعا منها زرار مركبة الزواجر في الحدود

وقال سفيان بن عيينة : الدنيا كلها هموم وغموم ، فما كان منها سرور فهو ربح .

ومن أمثالهم : الهم كافور الفلحة .

وقال أبو تمام :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فصل شيب العواد^(١)
وكذلك القلوب في كل يؤس ونسيم طلائع الأجساد
طال إنكارى البياض ولو عمر^(٢) ت شيب أسكرت لون السواد^(٣)

(١) ديوانه ١ : ٣٦٠ . (٢) الديوان : « وإن عمرت » .

(١٤٠)

الأصل :

يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الضَّعْفِ ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ
حَبِطَ أَجْرُهُ .

الشرح :

قد مضى لنا كلام شافى في الصبر ؟ وكان الحسن يقول في قصصه : الحمد لله الذي
كلّفنا مالهو كلّما غيره . نصبرنا فيه إلى معصيته ، وآحرنا على مالهنا لنا منه ؟ يقول :
كلّما الصبر ، ولو كلّفنا الحرج لم نمسكه أن نعيم عليه ، وآحرنا على الصبر ولا بد لنا من
الرجوع إليه .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، كل يقول عند التمزية : عليكم بالصبر ، فإن
يأخذ الحازم ، ويمود إليه الجازع .

وقال أبو جراح الهدلي يذكر أياه عروة :

تقول أراء بعد عروة لاهباً وذلك رزاً لو علمت حليل^(١)

فلا تحسبي أني تناسيت عهداً ولكن صرى يا أميم حميل

وقال عمرو بن معد يكرب :

كم من أحمر لي صالح لو أنه بيدي لخذ^(٢)

(١) ديوان الهدليين ٢ : ١١٦ . (٢) ديوان الحماسة ١ : ١٧٤ ، ١٧٥ - بشرح التبريزي .

أَلَيْسَتْهُ أَكْفَاهُ وَحُفَّتْ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

وكن يقال : من حدث نفسه بالبقاء ، ولم يُوطِّئها على المصائب ، فهو عاجزُ الرأي .

وكن يقال : كفى باليأس مُعزِّيًا ، وبانقطاع الطمع راحرا !

وقال الشاعر :

أَيَا عَمْرُو لَمْ أَصِرْ وَلِيْ فَيْكَ حِيلَةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي الْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى الْمَبِيرِ
تَصَبَّرْتُ مَنُوبًا وَإِنِّي لَمَوْحِمٌ كَمَا مَسَّ بِرِ الْقُطَّانُ فِي الْبَلَدِ الْقَمَرِ

(١٤١)

الأفضل :

كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالطَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ . حَبِّدَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ !

الشرح :

الأكياس هاهنا العلماء العارفون ؛ وذلك لأنَّ عباداتهم تقع مطابقةً لمقتضى الصحيح ، فتسكون هروعا راحةً إلى أصرِّ ثابت ، وليس كذلك الخاهلون بالله تعالى ، لأنهم إذا لم يعرفوه ولم تكن عبادتهم متوجهةً إليه هم تكن مقبولةً ، ولذلك فسدت عبادة المصارى واليهود .

وفيهم ورد قوله تعالى : ﴿ حَامِلَةٌ نَامِيَةٌ ﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ^(١) .

(١٤٢)

الأصل :

سُؤُوا بِعَمَلِكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَحَسَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالرِّكَاتِ ، وَادْفَعُوا أَمْوَاحَ النَّاسِ
بِالدُّعَاءِ .

• • •

الشرح :

قد تقدم الكلام في الصدقة والزكاة والذمائم ، فملا معنى لإعادة القول في ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٤٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي :

قال كميل بن زياد : أحد يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
فاخرجني إلى الحنان ، فلما أصررت نفس الصعداء ، ثم قال :
يا كميل بن زياد ؛ إن هدير القوب أوعية فحيرها أوعاها ، فاحط عني
ما أقول لك .

الناس ثلاثة : فاليم دكاني ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهم راع أئاع
كل ناعو يميلون مع كل ريع ، لم يستعشوا سور العلم ، ولم ينجسوا إلى
دكن وريق .

يا كميل ، العلم خير من المال ؛ العلم يخرسك وأنت تخرس المال .
والمال تنقصه المقة ، والعلم يزكو على الإفا ، وصبيح المال يزول برواله .
يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يبدان به ، به يكسب الإنسان الطاعة
في حياته ، وحصيل الأخدوتة بمد وقته . ولعلم حاكم ، وأمال تحكم عليه .
يا كميل بن زياد ؛ هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي
الدهر ؛ أعيانهم مفودة ، وأمالهم في القوب موجودة . ها إن هاهنا ليلما جم
وأشار إلى صدره . لو أسنت له حنة ! بلى أصيب لقنا غير مأون عليه ،
مستعملا آلة الدين للدينا ، ومستطهرا بسم الله على عايد ، ويحججه على أوليائه ،

أَوْ مُنْقَادًا لِحَقْلَةِ الْحَقِّ ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَخَذِهِ ؛ بِنَقْدِ الشُّكِّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ
عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةٍ . أَلَا لَاذَا وَلَا ذَاكَ ، أَوْ مَنُومًا بِاللَّذَّةِ ، سَلَسَ الْفِكَارِ لِلشَّهْوَةِ ،
أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُغَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شُبُهًا بِهِمَا
الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

اللَّهُمَّ بَلِّ ؛ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا ،
وَإِمَّا خَائِفًا مَمْنُورًا ، لَسَلَا تَنْظُرُ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ .

وَكَمْ ذَا وَأَيْنَا ! أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقْنُونَ عَدَدًا ، وَالْأَقْطَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدَرًا ،
يَحْجُطُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَّتَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهُمْ نُطْرَاءَهُمْ ، وَيَزَرَعُوهَا فِي قُلُوبِ
أَشْبَاهِهِمْ . هَعَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، وَاسْتَلَانُوا
مَا اسْتَوْفَرَهُ الْمَرْهُومَ ، وَأَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُمُ انْحَاهِلُونَ ، وَمَسَحُوا الدُّنْيَا بِأَيْدَانِ
أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةٍ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ؛ أُولَئِكَ خُلَعَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَاللَّذَّةُ إِلَى رَبِّهِ ،
أَوْ آوَشُونَ إِلَى رُؤُوسِهِمْ !

انصرفت يا كَمِيلُ إِذَا شِئْتَ .

الشنج :

الجبَّان والجبَّانة : الصحراء .

وتنفس الصَّعداء ، أى تنفس تمدودًا طويلاً .

قوله عليه السلام : « ثلاثة » قسمةٌ صحيحة ، وذلك لأن الشر باعتبار الأمور الإلهية :

إِمَّا عَالِمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَمَا شَارَعَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ بَعْدَ فِي السَّفَرِ إِلَى اللَّهِ
يَطْلُبُهُ بِالتَّعَلُّمِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْعَالَمِ ، وَإِمَّا لَا دَا وَلَا ذَاكَ ؛ وَهُوَ الْعَاتِي السَّاقِطُ الَّذِي

لَا يَمْبَأُ اللَّهُ . وَصَدَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنَّهُمْ تَهَجَّجَ رَعَاعُ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ ، أَلَا تَرَاهُمْ يَنْتَقِلُونَ
مِنَ التَّقْلِيدِ لِشَخِصٍ إِلَى تَقْلِيدِ الْآخَرِ ، لِأَدْنَى حَيْلٍ وَأَضْعَفِ وَهْمٍ !

ثُمَّ شَرَعَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَتَقْضِيهِ عَلَى الْمَالِ ، فَقَالَ : « الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ،
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ » ، وَهَذَا أَحَدُ وَجُوهِ التَّفْصِيلِ .

ثُمَّ ابْتَدَأَ فَذَكَرَ وَجْهًا ثَانِيًا ؛ فَقَالَ : الْمَالُ يَنْقُصُ بِالْإِنْفَاقِ مِنْهُ ، وَالْعِلْمُ لَا يَنْقُصُ
بِالْإِنْفَاقِ بَلْ يَزِيدُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِفَاقَةَ الْعِلْمِ عَلَى التَّلَامُذَةِ تَقِيدُ الْمُتَعَلِّمَ رِمَادَةَ اسْتِعْدَادٍ ،
وَتُغْرِرُ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعُلُومَ الَّتِي أَهْلُهَا عَلَى تِلَامُذَتِهِ وَتَتَّبِعُهَا وَتَرِيدُهَا رَسُوخًا .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَصَبِيحُ الْمَالِ يَزُولُ بِرَوَالِهِ » ، فَصَحَّتْ سِرًّا دَقِيقُ حِكْمَتِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَالَ
إِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ وَتَقَعُهُ فِي الْأُمُورِ الْحَسَبِيَّةِ وَالْمَلَادَةِ التَّهْوِيَّةِ ، كَالنِّسَاءِ وَالْحَيْلِ وَالْأُتْبِيَةِ
وَالْمَأْكَلِ وَالشَّرَبِ وَالْمَلَأْسِ وَمَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَهَذِهِ الْأَنْبَارُ كُلُّهَا تَزُولُ بِرَوَالِ الْمَالِ أَوْ بِرَوَالِ
رَبِّ الْمَالِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا رَالَ الْمَالُ اخْضَرَّتْ سَاحِبَتُهُ إِلَى بَيْعِ الْأُتْبِيَةِ وَالْحَيْلِ وَالْإِيمَاءِ ،
وَرَفَصَتْ تِلْكَ الْعَادَةُ مِنَ الْمَأْكَلِ التَّهْوِيَّةِ وَالْمَلَأْسِ الْبَهِيَّةِ ! وَكَذَلِكَ إِذَا رَالَ رَبُّ الْمَالِ
بِالْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ تَزُولُ آثَارُ الْمَالِ عِندَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ أَكِلًا شَارِبًا لَا بَسًا ، وَأَمَّا آثَارُ
الْعِلْمِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَزُولَ أَبَدًا وَالْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنِ الدُّنْيَا ؛ أَمَّا فِي الدُّنْيَا
فَلِأَنَّ الْعَالِمَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَمُودُ جِهْلًا بِهِ ، لِأَنَّهُ اتَّقَاهُ الْعُلُومَ الْبَدِيعِيَّةَ عَنِ الدَّهْنِ
وَمَا يَلْزَمُهَا مِنَ أَلْوَاظِمَ بَعْدَ حَصُولِهَا مُحَالٌ ، فَإِذَا قَدْ صَدَقَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ
الْمَالِ وَالْعِلْمِ : « إِنَّ صَبِيحَ الْمَالِ يَزُولُ بِرَوَالِهِ » ، أَيْ وَصَبِيحُ الْمَالِ لَا يَزُولُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ
يَقُولَ « يَزُولُ » لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَصَبِيحُ الْمَالِ يَزُولُ ، لِأَنَّ الْمَالَ يَزُولُ ؛ وَأَمَّا بَعْدَ خُرُوجِ
الْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ صَبِيحَ الْعِلْمِ لَا يَزُولُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ صَبِيحُ الْعِلْمِ فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ
الْقَدَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّائِمَةِ لِدَوَامِ سَبَبِهَا ، وَهُوَ حَصُولُ الْعِلْمِ فِي حَوْثِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ مَمَشُوقٌ

النفس مع أشتاء ما يُشغلها عن التمتع به ، والتلذذ بمصاحبتة ؛ والذي كل يشغلها عنه في الدنيا استغرائها في تدبير البدن ، وما تُورده عليها الحواس من الأمور الخارجية ، ولاريب أن العاشق إذا خلا بمعشوقه ، وانفتحت عنه أسباب الكدر ، كان في لذة عظيمة ، فهذا هو سرُّ قوله : « وصبيح المال يزول بزواله » .

فإن قلت : ما معنى قوله عليه السلام : « معرفة العلم دينٌ يُدانُ به » ، وهل هذا إلا بمنزلة قولك : معرفة المعرفة أو علم العلم ! وهذا كلامٌ مضطرب .

قلت : تقديره : معرفة فصل العلم أو شرف العلم ، أو وُحوب العلم دينٌ يُدانُ به ، أي المعرفة بذلك من أمر الدين ، أي ركن من أركان الدين وأحد مروض .

ثم شرّح عليه السلام حال العلم الذي ذكر أنه معرفة وحُبه أو شرفه دينٌ يُدانُ به ، فقال : « العلم يسكب الإنسان الطاعة في حياته » ، أي من كان طالما كلَّه الله تعالى عطية ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

ثم قال : « وجيل الأحداث بعد وفاته » ، أي الذي ذكر الجليل بعد موته .

ثم شرع في تفصيل العلم على الدل من وجه آخر ، فقال : « العلم حاكم ، والمال محكومٌ عليه » ، وذلك لعلمك أن مصلحتك في إفاق هذا المال تُفقه ، ولعلمك بأن المصلحة في إمساكه تمسكه ، فليسلم بالمصلحة دافع ، وبالمصرة صارف ؛ وهما الأمران الحاكمان بالحرَكات والتصرفات إقداما ، وخجاما ، ولا يكون الفساد قادرا عتدا إلا باعتبارهما ؛ وليس إلا عبارة عن العلم أو ما يجري تحري العلم من الاعتقاد والظن ، فإذا قد بان وظهر أن العلم من حيث هو علمٌ حاكم ، وأن المال ليس بحاكم ، بل محكوم عليه .

ثم قال عليه السلام : « هَلَك خُزَّانُ أَسْلُوبِهِمْ أَحْيَاءٌ » ، وذلك لِأَنَّ الْمَالَ الْخُزُون لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّخْرَةِ الْمَدْفُونَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ ، حَذَرُهُ هَالِكٌ لَا نَحَالَةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَلْتَذَّ بِإِقْبَاقِهِ ؛ وَلَمْ يَصْرِفْهُ فِي الْوَحْوَهِ أَلَّا تَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا ؛ وَهَذَا هُوَ الْهَلَاكُ الْمَعْنَوِيُّ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْهَلَالِ الْحَقِيقِيِّ .

ثم قال : « وَالْعُلَمَاءُ بِأَقْوَنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ » ؛ هَذَا السَّكَلَامُ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ ، فَظَاهِرُهُ قَوْلُهُ : « أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ » ، وَأَمْسَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْحُودَةٌ ، أَيِ آتَارُهُمْ وَمَادَوْنُوهُ مِنَ الْعُلُومِ ، فَكَأَنَّهُمْ مَوْحُودُونَ ، وَبَاطِنُهُ أَنَّهُمْ مَوْحُودُونَ حَقِيقَةً لَا تَحَارًا ، عَلَى قَوْلٍ مِّنْ قَالَ يَبْقَاءُ الْإِنْسُ ، وَأَمْسَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ كَمَايَةٌ وَلُتْرٌ ، وَمَسْنَاءُ دَوَانِهِمْ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُّوسِ ؛ وَالْمُشَارَكَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقُلُوبِ ظَهْرَةٌ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَعْنِيَّ الَّذِي يَشْتَعِلُهُمَا هُوَ الشَّرَفُ ، فَكَأَنَّ تِلْكَ أَشْرَفُ عَالَمِهَا ، كَذَا الْقَلْبُ أَشْرَفُ عَالَمِهِ فَاسْتَبْرَأَ أَحَدُهُمَا وَغُبَّرَ بِهِ عَنِ الْآخَرِ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « هَا إِنِّ هَذَا كَلِمَةٌ سَوِيَّةٌ بِبَيْتِهِ إِلَى مَدْرَةٍ » ، هَذَا عَدَى إِشَارَةً إِلَى الْمِرْقَانِ وَالْوُصُولِ إِلَى الْقَامِ الْأَشْرَفِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَدُّ مِنَ الْعَالَمِ مِمَّنْ قُدَّ تَعَالَى فِيهِ سَرٌّ ، وَلَهُ بِهِ اتِّصَالٌ .

ثم قال : « لَوْ أَصْبَحْتَ لَهُ كَحَنَةً ! » وَمَنْ أَسَى يُطِيقُ كَحَنَهُ إِبْلِيسَ الَّذِي يُطِيقُ فَهْمَهُ فَضْلًا عَنْ كَحَلِهِ !

ثم قال : « بَلَى أَسِيبُ » .

ثم قسمَ الَّذِي يَصِيبُهُمْ حَسَةً أَقْسَامَ :

أَحَدُهُمْ : أَهْلُ الرِّيَاءِ وَالشُّعْمَةِ ؛ الَّذِينَ يَطْهَرُونَ الدِّينَ وَالْعِلْمَ وَمَقْصُودُهُمُ الدُّنْيَا ، فَيَجْعَلُونَ النَّامُوسَ الدِّيْنِي شَكَّةً لَا قِتْنَاصَ الدُّنْيَا .

وَنَائِبُهَا : قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لَيْسُوا بِدَوِيٍّ يَصِيرُ فِي الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ الْفَاسِضَةِ ،

فيخاف من إفشاء السرّ إليهم أن تنفدح في قلوبهم شبهة بأدنى خاطر ؟ فإن مقام المرفة مقام خطر صلب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرجال ، الذين أيدوا بالتوفيق والعصمة .

وثالثها : رجل صاحب لذات وطرب مشتهر بقضاء الشهوة ، فليس من رجال هذا الباب .

ورابعها : رجل عرف بمخمس المال ودخاره ، لا يذمقه في شهواته ولا في غير شهواته ، فحكمه حكم القسم الثالث .

ثم قال عليه السلام : « كذلك يموت العلم بموت حميديه » ، أى إدامت ملت العلم الذى في صدرى ، لأنى لم أحد أحدا أحفظه إليهم ، وأورثته إيتاء . ثم استدركه فقال : « اللهم على ، لا تحملوا الأرض من قائم بحجة الله تعالى » كيلا يحلوا الزمان بمن هو مهين لله تعالى على عبادته ، ومسيطر عليهم ؛ وهذا يكاد يكون نصريحا بمذهب الإمامية ، إلا أن أصحابه يحملونه على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأحبار النبوية عنهم في الأرض سائحون ، فمنهم من يعرف ، ومنهم من لا يعرف ، ومنهم لا يعرفون حتى يودعوا السر ، وهو اليرقان عند قوم آخرين يقومون مقامهم .

ثم استدرجهم فقال : « وكم ذا ! » أى كم ذا القليل ! وكم ذا الفريق !

ثم قال : « وأين أولئك ! » استبهم مكاسمهم ومحنهم .

ثم قال : « هم الأقنون عددا ، الأعظمون قدرا » .

ثم ذكر أن العلم بهم على حصفة الأمر ، وأنكشف لهم المستور المقطى ، وباشروا راحة اليقين وبردة القلب وتفتح السلم ، واستلأوا ماشق على المترفين من الناس ، ووعر عليهم نحو التوحد ورفض الشهوات وحسونة العيشة .

قال : « وأنسوا بما أَسْتَوَحَّشَ منه اأدهون » ، يعنى العُرْلَة ومُحَابَبَة الناس ، وطول الصمت ، وملازمة الخُلُوة ؛ ونحو ذلك مما هو شعار القوم .

قال : « وصَحِّحُوا الدنيا بأرواحِ أبدانها معنقةً بِالْحَلِّ الأعلَى » ، هذا مما يقوله أصحاب الحكمة من تعلق النفوس المهرَّدة بمبادئها من العنول المارقة ، فمن كان أركى كان سلقه بها أنتم .

ثم قال : « أولئك حُلَاءُ الله فى أرضه ، والدعاة إلى دِينه » ، لا شبهة أن بالوصول يستحق الإنسان أن يسمى خليفة الله فى أرضه ، وهو الذى يقوله سبحانه للملائكة ﴿ أَأَنْتَ حَاصِلٌ فى الأَرْضِ حَيِيَّةٌ ﴾ ^(١) ، ويقول : ﴿ هُوَ الَّذِى حَمَلَكُمْ حُلَافٍ فى الأَرْضِ ﴾ ^(٢) .

ثم قال : « آءِ آءِ شَوْقًا إِلَى رؤيتهم ؟ » ، هو كهلج السلام أحق الناس من يشاق إلى رؤيتهم ، لأن الجسدية حلة الصم ، والشئ يشاق إلى ما هو من سِخِّهِ وَسُوسَتِهِ وطبيعته ، ولما كان هو عليه السلام شيخ العرب وسيدهم ، لا حرَم . اشتاقت نفسه الشريفة إلى مُشاهدة أبناء حليته ، وإن كل كل واحد من الناس دون طبقة .

ثم قال لِتَكْمِيل : « انصرف إذا شئت » ، وهذه الكلمة من محاسن الأدب ، ومن لطائف الكلام ، لأنه لم يقتصر على أن قال : « انصرف » كيلا يكون أمرا وحكنا بالانصراف لا محالة ، فيكون فيه نوعٌ عُلُوٍّ عليه ، فأتبع ذلك بقوله : « إذا شئت » ليُخْرِجه من ذلِّ الحكم وقهر الأمر إلى عِزَّة المشيئة والاختيار .

(١٤٤)

الأصل :

المرء غشوا تحت لسانه .

البُزج :

قد تكرر هذا المعنى مرارا ، فها هذه اللمعة فلا بطير لها في الإبحار والدلالة على المعنى ،
وهي من الفاظه عليه السلام الممدودة .

وقال الشاعر :

وكان ترى من صامت لك مُعجِب زبائنه أو تقصه في التكلم^(١)
لسانُ القبي نصف وصف فؤاده فم يبق إلا صورة اللحم والدم
وتسكلم عبدُ الملك بن عُمر وأعرابي حصر ، فقيل له : كيف ترى هذا ؟ فقال :
لو كان كلامٌ يؤتدَم به لكان هذا الكلامُ مما يؤتدَم به .

وتسكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فاستهوا في القول ، ولم يصنعوا
شيئا ، ثم أفرع النطق رجل من أحرابهم ، فحمل لا يخرج من فن إلا إلى أحسن منه ،
قال مسلمة : ما شئت كلامَ هذا بعقب كلام هؤلاء^(٢) ، إلا بسحايف لبثت عجاجة .
وسمع رجلٌ ممشدا يشد :

وكان أحلائي يقولون مرَحًا فصا رأوني مُقترًا مات مرَحَبُ

(١) يسان لرهير ، من مملوكة ٩٤ بشرح الزورى . (٢) سدا و د : « ألهاه » .

فقال : أخطأ الشاعر ، إنَّ مرجبا لم يمت ، وإنما قتله عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام !
وقال رجل لأعرابي : كيف أهلك ؟ قال : صبا إن شاء الله .

وكان مسلمة بن عبد الملك يمرض الحنْد ؛ فقال لرجل : ما اسمك ؟ فقال : « عبد الله » ،
ونخض ، فقال : ابنُ من ؟ فقال : ابنُ « عبد الله » ، وفتح ، فأمر بضربه ، فجعل يقول :
« سبحانُ الله ، ويصم » ، فقال مسلمة : وبحكم ! دعوه فإنه محمولٌ على اللحن والخطأ ،
لو كان تاركاً للحن في وقتٍ تركه وهو تحت الشَّيط .

(١٤٥)

الأصل :

هَلَكَ أَمْرُؤُا لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

التبريح :

هذه الكلمة من كلماته المندودة . وكف الممان بن عبد الله إلى القاسم بن عبيد الله كتاباً يُدِلُّ فيه بخِدْمَتِهِ ، ويستريد في رِزْقِهِ ، موقع على ظهره : رَحِمَ اللهُ اصْرَأْ عَرَفَ قَدْرَهُ ! أنتَ رجلٌ قد أَمَحَّتْكَ مَسْكُ فُلْتِ تَعْرِفَهَا ، فإن أَحَسْتَ أَنَّ أَعْرَفَكَهَا عَرَفْتُكَ . فكتب إليه الممان : كَتَبْتُ كَتَبْتُ إِلَى الْوَرِيرِ أَعَزَّهُ اللهُ كِتَاباً اسْتَرِيدُهُ فِي رِزْقِي ، موقع على ظهره تَوَمِّعَ صِجْرِهِ لَمْ يَجْرَحْ فِيهِ مَعَ صَنْجَرِهِ عَمَّا أَيْقَنَهُ مِنْ حِمَاظَتِهِ وَخُسْرٍ لَطَرِهِ ، هَال : إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ لَعَنَدَهُ نَحْبَ نَعْمِيهِ ، وَقَدْ صَدَّقَ - أَعْلَى اللهُ قَدْرَهُ - لَقَدْ شَرَّفَنِي الْوَرِيرُ بِخِدْمَتِهِ ، وَأَعْلَى دَكْرِي بِحَمِيلِ دِكْرِهِ ، وَنَهَ عَلَى كَمَا بَنِي بِأَسْتَكْمَانِهِ ، وَرَضَى وَكَثُرِي (١) عِنْدَ نَفْسِي ، فَإِنْ أَعِجْتُ فَبِعَمِّيَةِ عَمْدِي ، وَحَمِيلِ تَطَوَّلِهِ عَلَيَّ ، وَلَا نَحْبَ ، وَهَلْ خَلَا الْوَرِيرُ مِنْ قَوْمٍ يَصْطَلِعُهُمْ نَعْدَ مَلَكَةٍ وَيَرْفَعُهُمْ نَعْدَ حُمُولٍ ، وَيُحَدِّثُ لَهُمْ هِمًّا رَفِيعَةً وَأَتَقَا عَلِيَّةً ، وَفِيهِمْ شَاكِرٌ وَكَعُودٌ ، وَارْحُو أَنْ أَكُونَ أَشْكَرَهُمْ لِلنَّعْمَةِ ، وَأَقْوَمَهُمْ بِحَقِّهَا . وَقَدْ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ : إِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ وَإِلَّا عَرَفَهُ إِيَّاهَا ، وَهِيَ نَفْسُ أَشَاتِهَا نَعْمَةُ الْوَرِيرِ وَأَحَدَتْ فِيهَا مَا لَمْ يَرَلْ تُحْدِثُهُ فِي نَظَرَاتِهَا مِنْ سَائِرِ عِبِيدِهِ وَخِدْمَتِهِ ؛ وَاللَّهُ يَسْتَمُّ مَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ حُدْمَةِ مَوْلَاهُ وَوَلِيٍّ لِنَعْمَتِهِ ، إِمَّا مَادَّةً وَدُرَّةً وَإِمَّا تَذَاباً وَهَيْبَةً ، وَإِمَّا شُكْرًا وَاسْتِدَامَةً لِلنَّعْمَةِ .

فلما قرأ القاسمُ بنُ عبيد الله كتابه استحسنه ، وراد في رِزْقِهِ .

(١) ب : « كثرني » .

(١٤٦)

الأصل :

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يمظنه :

لَا تَكُنْ يَمْنُ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِمِثْرِ عَمَلِهِ ، وَبِرَّخُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ؛
يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ ، وَيَتَمَلَّ بِهَا يَتَمَلَّ الرَّاعِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا
لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مِيعَ مِنْهَا لَمْ يَنْتَفِعْ ، يَنْجِرُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَنْتَعِي الزَّيَادَةَ
فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَعِي ، وَيَلْمِزُ النَّاسَ بِمَا لَمْ يَأْتِ .

يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَتَمَلَّ عَمَلَهُمْ ، وَيَنْقِصُ الْمَذِينِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، يَكْرَهُ
الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ دُؤُوبِهِ ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَحْلَاهِ ، إِنْ سَقَمَ طَلَّ بِأَدَمًا ،
وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَا هَيَا . يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا قُوِيَ ، وَيَقْطَعُ إِذَا ابْتَلِيَ ؛ وَإِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ
دَقَا مُضْطَرًّا ، وَإِنْ ذَلَّهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُنْتَرًا ، تَمْلِئُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَطُؤُ ، وَلَا يَفْلِسُهَا
عَلَى مَا يَسْتَتِقِنُ ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ دِينِهِ ، وَبِرَّخُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ .
إِنْ اسْتَعْنَى تَطَرَّ وَفِينَ ، وَإِنْ افْتَرَقَ قَطَعَ وَهَنَ ، يُقْصِرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيَبَالِغُ إِذَا سَأَلَ ؛
إِنْ عَرَصَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ ، وَسَوَّى التَّوْبَةَ ، وَإِنْ عَرَنَتْ رِجْنَةً انْفَرَحَ
عَنْ شَرَائِطِ الْعِلَّةِ .

يَصِفُ الْمِرَّةَ وَلَا يَفْتَرِ ، وَيُسْرِعُ فِي أَمْوِطَةٍ وَلَا يَتَمِطُ ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ
وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ .

يُنَافِسُ فِيمَا يَهَى ، وَيَسَارِعُ فِيمَا يَسْتَى ؛ يَرَى الْقَسَمَ مَغْرَمًا ، وَالْفُرْمَ مَعْنَاً ،
يَحْشَى الْمَوْتَ ، وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ ، يَسْتَمِطُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرُ مِنْهُ

مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَكْبِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يُحَقِّرُهُ مِنْ حَافَةِ غَيْرِهِ ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَائِعٌ ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ .

اللَّهُوَ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ كَرِيٍّ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ ، يُرْشِدُ نَفْسَهُ وَيُنْزِلُ غَيْرَهُ^(١) ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَقْصَى ، وَيَسْتَوْفَى وَلَا يُؤْفَى ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ .

قال الرُّحْمَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا هَذَا الْكَلَامُ لَكُنِي بِمَوْعِظَةٍ نَاحِيَةٍ وَحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ، وَبَصِيرَةٍ لِمُنْصِيرٍ ، وَغَيْرَةٍ لِطَائِفٍ مُفَكَّرٍ .

الْبَزْجُ :

كثير من الناس يَرَحُونَ الْآخِرَةَ بِعَمَلٍ قَمَلٍ ، ويقولون : رَحِمَهُ اللَّهُ وَاسِعَةٌ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ التَّلَفُّطَ بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ كَافٍ فِي دُحُولِ الْحَقِّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسُوِّفُ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ ، وَيَرْجِي الْأَوْقَاتَ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى عَدَدٍ ، وَقَدْ يُحَرِّمُ عَلَى عِرَّتِهِ فِيمَوْتُهُ مَا كَانَ أَمَلَهُ ، وَأَكْثَرُ هَذَا الْفَصْلِ لِلنَّهْيِ عَنْ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ وَاعْطَا لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَسْلَمْهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٢) .

فَأَوَّلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ هَذَا الْفَصْلِ قَوْلُهُ : « يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاحِبِينَ » .

(١) د « يرشد غيره وينصو نفسه » . (٢) سورة البقرة ١٤٤ .

ثم وَصَفَ صاحبَ هذا الذهب وهذه الطريقة فقال : « إِنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَشْبَعْ » ، لأنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ مَحْمُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْإِرْدِيَادِ ، وَإِنَّمَا يَقْهَرُهَا أَهْلُ التَّوْفِيقِ وَأَرْبَابُ الْمَزْمُ الْقَوِي .

قال : « وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْصَحْ » ، بِمَا كَانَ وَصَلَ إِلَيْهِ قَبْلَ الْمَنَعِ .

ثم قال : يَمَحُورُ عَنْ شُكْرِ مَا كَانَ أُسَمِّ بِهِ عَلَيْهِ ، لَيْسَ بِمَعْنَى الْعَجْزِ الْحَقِيقِيِّ ، بَلِ الْمُرَادُ تَرْكُ الشُّكْرِ ، مَسْمًى تَرْكُ الشُّكْرِ تَحْزَنُ ، وَيَحْجُورُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، أَيْ أَنْ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوَّلَى مِنَ التَّمَنَّى لَا تَنْتَهَى قُدْرَتُهُ إِلَيْهِ ، أَيْ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَجَلَ وَأَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُقَامَ بِوَاحِدٍ شُكْرُهَا .

قال : « وَيَبْتَدِئُ الزِّيَادَةَ فَيَا بَقِي » ، هَذَا رَاحِعٌ إِلَى السَّحْرِ الْأَوَّلِ .

قال : « يَسْعَى وَلَا يَنْتَهِي وَيَذْمُ الْبَاسَ بِمَا لَا يَأْتِي » ، هَذَا كَمَا تَقَدَّمَ .

قال : « يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَمَلُّ تَحَمُّلَهُمْ » ، إِلَى قَوْلِهِ : « وَهُوَ أَحَدُهُمْ » ، وَهُوَ الْمَدْنِيُّ

الْأَوَّلُ بَيْنَهُ .

قال : يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَكَثْرَةِ دُنُوبِهِ ، وَيُحِبُّ عَلَى الذَّنُوبِ ، وَهَذَا مِنَ الْمَجَانِبِ

أَنْ يَكْرَهُ إِسَارَ شَيْئًا ثُمَّ يُقِيمُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ الْمُرُورُ وَتَسْوِيفُ النَّفْسِ بِالْأَمَانِيِّ .

ثم قال : « إِنْ سَقِمَ طَلَّ نَادِمًا ، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِبًا » ، (فَادَارَكَوْا فِي الْعُلُكِ

دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ^(١) . . . الْآيَاتِ .

قال : « يُعْجَبُ نَفْسِهِ إِذَا قُوِيَ ، وَيَقْطَعُ إِذَا انْهَلَى » (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَغَاهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَغَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِيقَهُ

فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) ^(٢) ، وَمِثْلُ الْكَلِمَةِ الْآخَرَى : « إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ » ، وَ « إِنْ مَالَهُ

وَحَاءٌ » .

ثم قال: « تنبه نفسه على ما يظن، ولا يفتن بها على ما يستيقن »، هذه كلمة جديلة عظيمة يقول: هو يستيقن الحساب والثواب والعقاب، ولا يغلب نفسه على محابة ومتاركة ما يفضي به إلى ذلك الخطر العظيم، وتنبيه نفسه على السى إلى ما يظن أن فيه لذة عاجلة؛ فواجباً ممن يرجع عنده جانب الظن على جانب العلم وما دأب إلا لصعب يقين الناس وحس العاجل.

ثم قال: « يخاف على غيره نأدى من دونه، ويرجو لنفسه أكثر من عمله »، ما يزال يرى الواحد ما كذلك يقول: إني لحائف على فلان من الذنوب الفلاني وهو مقیم على أحسن من ذلك الذنب، ويرجو لنفسه النجاة، لا تقوم أعماله الصالحة بالمصير إلى النجاة به، نحو أن يكون يصلي ركعات في الليل أو يصوم أياماً بسيرة في الشهر، ونحو ذلك.

قال: « إن أستمعني أطر وفتر، وإن افتقر قبط ووهن » قبط بالفتح يقبط بالكسر، قبطاً مثل حلس يحبس حلوساً، ومجور قبط يقبط بالصم مثل قعد يقعد، وفيه لمة ثالثة: قبط يقبط قبطاً، مثل تب تب ثماً وقاطة فهو قبط، وبه قرئ: ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ ﴾^(١)، والفتنوط الفتن. ووهن الرجل يهين، أي ضعف وهذا المعنى قد تكرر.

قال: « بقصر إذا عميل، ووباليع إذا سئل »، هذا مثله ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله الأنصار: « إنكم لتكثرون عند الفرج، وتفتنون عند الطمع ».

قال: « إن عرست له شهوة أسف المصيبة، وسوف التوبة، وإن عرته رحمة أفرح عن شرائط الملة »، هذا كما قيل: أمدحهُ تذاً وبشبي نسيته، وأفرح عن شرائط الملة، قال: أو فعل ما يقتضي الخروج عن الدين؛ وهذا موجود في كثير من الناس إذا عرته الرحمن كفروا أو قال: ما يقارب الكفر من التسلط والتدبر والنقص.

(١) سورة الحجر ٥٥، وهي قراءة الأعشى ويحيى بن ولادة، وأما تفسير القرطبي ١٠ - ٣٦.

قال : « يَصِفُ الْبِرَّةَ وَلَا يَمْتَرُ ، وَبُنَائِغٌ فِي الْوَعِظَةِ وَلَا يَتَمَظَّ » ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى
الْأَوَّلُ .

قال : « هُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ ، وَمِنْ السَّمَلِ مُقِلٌّ » ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى أَيْضًا .

قال : « يَنَافِسُ فِيهَا يَمْسَى » ، أَيْ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا ، وَ « يُسَارِمُ فِيهَا يَتَقَى »
أَيْ فِي الثَّوَابِ .

قال : « يَرَى النُّفْسَ مَغْرَمًا ، وَالْمَرْءَ مَعْنَمًا » ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا .

قال : « يَحْتَشَى الْمَوْتَ ، وَلَا يُنَادِرُ الْمَوْتَ » ، قَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي هَذَا الْفَصْلِ ،
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « يَسْتَعِظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ... » ،
وإِلَى آخِرِ الْفَصْلِ كُلِّ مَكَرَّرِ الْمَعْنَى وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَلْفَاظُ ، وَذَلِكَ لِإِفْتِدَارِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلَى الْبَيَانَةِ ، وَسَمِعَ مَادَّةَ الْمَطْنِ عِنْدَنَا .

(١٤٧)

الْأَمَلُ :

لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ .

الْبَيْزُ :

هكذا قرأناه ووجدناه في كثير من النسخ ، ووجدناه في كثير منها « لكل أمر عاقبة » ، وهو الآتي ، ومثل هذا المعنى هو لهم في مثل : لكل سائل قرار ، وقد أخذ الطائي فقال :

فكأن لوعة ثم استغفرت كذالة لكل سائل قرار^(١)

وقال السكيت في مثل هذا :

فألآن حيرت إلى أمية —ة والأمر إلى مصاب^(٢)

فأما الرواية الأولى وهي : « لكل أمر عاقبة » مطاوعها في القرآن كثيرة ، نحو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُذِرَتْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْآخِرَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقْدَمَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ الْآخِرَى﴾^(٤) ، وغير ذلك من الآيات .

(١) ديوانه ٢ : ١٥٣ - (٢) الأغانى ١ : ١١١ (سأى) .

(٣) سورة هود ١٠٥ . (٤) سورة والتارفات ٣٥ - ٤١ .

(١٤٨)

الأصل :

الراضى يفعل قوم كالداحل فيه معهم ، وعلى كل داحل في باطل إثم : إثم
العمل به ، وإثم الرضا به .

البرج :

لا فرق بين الرضا بالعمل وبين المشاركة فيه ؛ ألا ترى أنه إذا كان ذلك العمل قبيحا
استحق الرضى به الذم كما يستحقه الفاعل له ! والرضا بعسر على وجهين : الإرادة ، وترك
الأعراض ، فإن كان الإرادة فلا ريب أنه يستحق الذم لأن مريد القبيح فاعل للسيئ ، وإن
كان ترك الأعراض مع العذر على الأعراض فلا ريب أنه يستحق الذم أيضا ، لأن تارك
المعنى عن السكر مع ارتفاع الواجب يستحق الذم .

فأما قوله عليه السلام : « وعلى كل داحل في باطل إثم » ، فإن أراد الداحل فيه
بأن يفعله حقيقة فلا شبهة في أنه يأثم من جهةين :
إحداها من حيث إنه أراد القبيح .

والأخرى من حيث إنه فعله ، وإن كان قوم من أصحابنا قالوا : إن عقاب المراد هو
عقاب الإرادة .

وإن أراد أن الراضى بالقبيح فقط يستحق إثمين : أحدهما لأنه رضى به ، والآخر
لأنه كالفاعل ، فليس الأمر على ذلك ، لأنه ليس بفاعل للقبيح حقيقة ليستحق الإثم من
جهة الإرادة ومن جهة الفعلية جميعا ، فوَحَبَ إِذْنُ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى
الْوَحْدِ الْأَوَّلِ .

(١٤٩)

الأصل :

يَكُنُّ مُقِيلًا إِذْ بَارَهُ ، وَمَا أَذِيرَ فَكُنُّ لَمْ يَكُنْ .

الشرح :

هذا معنى قد استعمل كثيرا جدا ، فنه المثل :

مَا طَارَ طَعْرٌ وَارْفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

وقول الشاعر :

بِذَرِ الثَّلَاوُ يَكُونُ الْهَوَاطُ وَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَةَ

وقال بعض الحكماء : حركة الإقفل بطيئة ، وحركة الإدبار سريعة ، لأن القفل

كالصاعد إلى مرآته ، ومرتبة الدر كالقذوف ، من علو إلى أسفل ، قال الشاعر :

فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي هَذَا الرُّوَاقِ عَلَى هَذِي الْوَسَادَةِ كَلَنَ الْمَرْءُ مَا تَرَضَا

آخر :

إِنَّ الْأُمُورَ حَادَتْ زَوَاهَا صَلَاحُهُ الْإِدْبَارُ فِيهَا تَطَهَّرُ

وفي الخبر الرفوع : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العصباء لا تسبق ،

فجاء أعرابي على قعود له فسقطها ، فاشتد على الصحابة ذلك ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وآله : « إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَصَّعَهُ » .

وقال شيخ من همدان : بمعنى أهي في الجاهلية إلى ذى الكلالع بهدايا ، فكنت

تحت قصره حولا لا أصل إليه ، ثم اشرف إثرافه من كوة له نفرة له من حول
العرش سجدا ، ثم رأيت بعد ذلك بحمص فقيرا يشتري اللحم ويسمطه ^(١) خلف دابته ،
وهو القائل :

أفٌ لديّ إذا كنت كذا أما ما في هوم وأذى
إن صاع عيش أصرى في صبحها حرّته مميا كئس القذى
ولقد كنت إذا ما قيل من أتمّ العالم عيشا ؟ قيل : ذا

وقال بعض الأدباء في كلامه : بينا هذه الدنيا ترصع بدرتها وتصرّح ^(٢) بربدتها ، وتلحف
فصل حناها ، وتمرّ بركود رباحها ، إذ عطفت عطف الصروس ، وصرحت صراح ^(٣)
الشموس ، وشنت عارة الهوم ، وأرافت ما حلت من النعم ، فالسعيد من لم يمتّر شكاجها ،
واستمدّ لو شك طلاقها .

شاعر — هو إهاب بن همام بن حنيفة الهاشمي ؛ وكان عبايا :

لمرّ أليك فلا تكدين لقد ذهب الخير إلا قليلا
وقد فتق الناس في دينهم وحلى ابن عفا شرا حويلا

وقال أبو المتاهية :

يمرّ بيت بحراب سن يمشي حتى يراى ميتين

وقال أس بن مالك : ما من يوم ولا ليلة ولا شهر إلا والذي قبله خير منه ،
سمعت ذلك من نبيكم عليه السلام ، فقال شاعر :

ربّ يوم نكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

(١) يسقطه ، أي يلقه . (٢) ب : « تصرّخ » ، تحريف .

(٣) ب : « صرحت » تحريف .

قيل لبعض عطاء الكتاب بعد ما صُوِّد : ما تُفَكِّر في زوال رِعْمَتِكَ ؟ فقال : لا بدَّ
من الزوال ، فلأنَّ زَوْلَ وأَبْقَى حيزٌ من أبِ أَرَوْلَ ونبقى .
ومن كلام الجاهلية الأولى : كلٌّ مقيمٌ شحيحٌ ، وكلٌّ زائدٌ ناقصٌ .
شاعر :

إنما الدنيا دُولٌ فراحِلٌ قِيلَ زَوْلٌ
• إذا نازلٌ يَـقِيلُ رَحَلٌ •

لما فَتَحَ خالدُ بنُ الوليدِ عينَ التمرِ سألَ عن الحُرَّةِ بنتِ السَّمانِ بنِ المنذرِ ، فأتاها
وسألها عن حالها ، فقالت : لقد طلعتُ على الشمسِ وما من شيءٍ يَدِيَتْ تحتَ الحَوَرِ نَقِ
إلا وهو تحتَ أَيْدِيها ، ثم غَرَبَتْ وقد رَحِمْنَا كُلَّ مَنْ يُلِمُّ به ، وما بيتٌ دخلته حَبْرَةٌ ،
إلا استدخله عَنزَةٌ ، ثم قالت :

مَنْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إذا حَبِى فِيهِمْ سَوْفَةٌ يَنْصَعُ
فَاتٍ لَدُنْيَا لَا يَدْوُمُ نَفْسِهَا ثَغْلٌ تَارَاتِ بِنَا وَتَصْرَفُ

وجاءها سعدُ بنُ أبي وقاصٍ مرَّةً ، فبدا رَأَاهَا ، قال : قَاتِلِ اللَّهَ عَدِيَّ بنَ زَيْدٍ ، كَأَنَّهُ
كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حَيْثُ قَالَ لِأَبِيهَا :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَرْعَةً فَاحْذَرْنَهَا لَا تَقِيقَنَّ قَدَامَيْتَ الدَّهْوَرَا^(١)
قَدْ بَنَيْتُ الْفَتَى مُعَاوِيَةَ فَيَرْدَى وَلَقَدْ كَانَتْ آمِيًّا مَرْوَرَا

وقال مطرُفُ بنُ الشَّخِيرِ : لا تَمْطُرُوا إِلَى حُمْضِ عَيْشِ الْمُلُوكِ وَلَيْنَ رِيَّاشِهِمْ ، وَلَكِنْ
انْطَرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظَعْمِهِمْ وَسَوْءِ مُقَلَّبِهِمْ ، وَإِنْ هُمْرًا قَصِيرًا يَسْتَوْرِحُ بِهِ صَاحِبُهُ النَّارَ
لَعْمَرٍ مُشْتَوْمٍ عَلَى صَاحِبِهِ .

لما قَتَلَ عَامِرُ بنُ إِسْمَاعِيلَ مَرْوَانَ بنَ مُحَمَّدٍ وَقَعَدَ عَلَى فَرَّاشِهِ ، قَالَتْ أَسَةُ مَرْوَانَ لَهُ :
يَا عَامِرُ ، إِنَّ دَهْرًا أَتَزَلَّ مَرْوَانَ عَنِ فُرُشِهِ وَأَقْعَدَكَ عَلَيْهَا كَمَا بَغَى فِي عِطَّتِكَ إِنْ عَقَلْتَ .

(١٥٠)

الأصل :

لا يَمْتَدُّ الصَّبْرُ الظُّفْرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ .

الشيخ :

قد تقدم كلامنا في الصبر .

وقالت الحكماء : الصبرُ صِرْبَان : جسمي ونسي ، فالجسمي تحمُّلُ المشاق بقدر

القوة البدنية ، وليس ذلك بفضيلة نامة ، ولهذا قال الشاعر :

والصبرُ بالأدواحِ يُعرفُ فضله صبرُ الملوكِ وليس بالأخسامِ

وهذا النوع إما في الفعل كالشي ورَّقع الحجر أو في دفع الاعمال كالصبر على المرض واحتمال الصرب المَقطِّع . وأما النسي فيه سملق القصيلة ، وهو صِرْبَان : صبرٌ عن مشتى ، ويقال له : عِنة ، وصبرٌ على تحمل مكروه أو محب . وتختلف أمتاؤه بحسب اختلاف مواقعها ، فإن كان في زول مصيبة لم يتعدَّ به اسم الصبر ، وبصاذه الخزع والهلح والحرث ، وإن كان في احتمال المني سمي صبراً نفس ، وبصاذه البطر والأثر والرفع وإن كان في محاربة سمي شجاعة وبصاذه الحس ، وإن كان في إمساك النفس عن قضاء وطر العصب سمي حُلماً ، وبصاذه التصر والاستشاطعة ، وإن كان في بائنة مضجرة سمي سعة صدر ، وبصاذه الصخر وصيق العظن والتمزق ، وإن كان في إمساك كلام في الصمير سمي كتمان السر ، وبصاذه الإفشاء ، وإن كان عن فصول العيش سمي قناعة ورهدا وبصاذه الحرص والشره . فهذه كلها أنواع الصبر ، ولكن اللغز العرقي واقع على الصبر الجسدي ، وعلى ما يكون في زول الصائب ، وتسرده^(١) باقي الأنواع بأسماء تحصيلها .

(١٥١)

الأصل :

مَا احْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً .

• • •

الشيخ :

هذا عند أصحابنا محتملٌ باختلاف الدعوة في أصول الدين ، ويدخل في ذلك الإمامة ، لأنها من أصول الدين ، ولا يجوز أن يختلف قولان متضادان في أصول الدين فيكفوا صولاً ، لأنه إن عني بالصواب مطابقة الاعتقاد للخارج ؛ فتحيل أن يكون الشيء في نفسه ثابتاً منفياً ، وإن أراد بالصواب سقوط الإثم - كما يحكي عن عبيد بن الحسن القنري - فإنه حمل اجتهد المتهدين في الأصول مُدْرَإً ، فهو قولٌ مسروق بالإجماع .

ولا يحمل أصحابنا كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام على عموميه ، لأن المتهدين في فروع الشريعة وإن اختلفوا ونصادت أقوالهم بسوا ولا واحد منهم على ضلال ، وهذا مشروحٌ في كُتُبنا الكلامية في أصول الفقه .

(١٥٢)

الأصل :

مَا كَذَبْتُ وَلَا كُنْتُ ، وَلَا صَلَّيْتُ وَلَا صَلَّيْتُ .

الشرح :

هذه كلمة قد قالها مرارا ، إحداهن في قصة التمر وان .

وكذبت بالضم أُخِيرْتُ محذوف كذب ، أي لم يحضرني رسول الله صلى الله عليه وآله

عن المحدث حراً كاذباً ، لأن أحبارهم صلى الله عليه وآله كلها صادقة .

وصلى بي ، بالضم نحو ذلك ، أي لم يصليني مصدق عن الصدوق والحق ، لأنه كل يستفيد

في أحبارهم عن العيوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو منزه عن إضلاله وإضلال أحد

من المكلفين .

سكاته قال لما أخبرهم عن المحدث^(١) وإعطاء ظهوره لهم : أنا لم أكذب على رسول الله

صلى الله عليه وآله ، ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يكذب فيما أخبرني بوقوعه ، فإذا لابد

من ظفركم بالمحدث فاطمئنه .

(١) المحدث : فليس اليه ؛ وهو ذو اليد .

(١٥٣)

الأبْصَلُ :

لِلطَّالِمِ الْبَادِي عَدَا بَكَعَةِ عَصَّةٍ .

• • •

الْبَرْخُ :

هذا من قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَخْضُ الطُّلَمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾^(١) ، وإنما قال : « البادى » لأن من استمر بعد ظلمه فلا سبيل عليه . ومن أمثالهم : البادى أظلم .
فإن قلت : فإذا لم يكن نادياً لم يكن طالماً ، ففى حاجة له إلى الاحتراز بقوله :
« البادى » ؟

قلت : لأن العرب تطبق على ما يقع فى مُقابلة الظلم اسم « الظلم » أيضاً كقوله تعالى .
﴿ وَجَرَّاهُ سَيْتَةً سَيْتَةً مِثْلَهَا ﴾^(٢) .

(١) سورة الفرقان ٢٧ . (٢) سورة الشورى ٤٠ .

(١٥٤)

الأصل :

الرَّحِيلُ وَشَيْكُ .

• • •

التبريح :

الوشيك : السريح ، وأراد بالرحيل ^١ها هنا الرحيل عن الدنيا وهو الموت .
وقال بعض الحكماء : قل وجود الإنسان عدم لا أول له ، وسدّه عدم لا آخر له ،
وما شئت وحدّه العليل ^(١) المتناهي بين العدمين غير المتناهيين إلا بَرَقَّ يحطّط حطمة
خميّة ^(٢) في ظلام مُمتكر ، ثم يعمد ويعود الظلام كما كان .

(١٥٥)

الأصل :

مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ .

• • •

الشرح :

قد تقدم تفسيرنا لهذه الكلمة في أول الكتاب ، ومعناها : مَنْ نَادَى اللَّهَ وَحَارَبَهُ هَلَكَ ، يقال لمن حالف وكشع : قد أبدى صفحته .

تفسير

(١٥٦)

الأصل :

اسْتَمِصُوا بِالذِّمِّ فِي أَوْتَارِهَا .

الشرح :

أى فى مَظَانِّهَا وَى مَرَكْرَهَا ، أى لَا نَسْتَنِدُوا إِلَى ذِمَامِ الْكَافِرِينَ وَالْمَارِقِينَ ،
فَالِهَم لِيَسُوا أَهْلًا لِلِاسْتِمْصَامِ بِذِمِّهِمْ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوَازِينٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةٌ ﴾^(١) . وَقَالَ : ﴿ إِيَّاهُمْ لَا يُبَالِئُ بِهِمْ ﴾^(٢) .

وهذه كلمة قالها بعد انتصاء أمر الجرح وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليُبايعوه ،
منهم مروان بن الحكم ؛ فقال : وماذا أصنع ببيتك ؟ ألم تُبايعني بالأمس ! يعنى بعد
قتل عثمان ، ثم أمر بإخراجهم ورفع يده عن مبايعة أمثالهم ، وتكلم بكلام ذكر فيه
ذِمَامَ الْعَرَبِيَّةِ وَذِمَامَ الْإِسْلَامِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مَنْ لَا دِينَ لَهُ فَلَا ذِمَامَ لَهُ .

ثم قال فى أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : « اسْتَمِصُوا بِالذِّمِّ فِي أَوْتَارِهَا » ، أى إِذَا صَدَرَتْ
عَنْ ذَوَى الدِّينِ ، فَمَنْ لَا دِينَ لَهُ لَا يَهْدِيهِ .

(١٥٧)

الأصل :

عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعَدُّونَ وَجَمَالَتهِ .

الشرح :

يعنى منه عليه السلام ؛ وهو حق على الدفين جيبا ، أما نحن فنقدما أنه إمام واجب الطاعة للاختبار ، فلا يُعَدَّر أحدٌ من المكلفين والجهل بوجوب طاعته ، وأما على مذهب الشيعة فلا إمام واجب الطاعة ، فلا يُعَدَّر أحدٌ من المكلفين وسحالة إمامته ، وعندهم أن معرفة إمامته تجري بحرى معرفة محمد صلى الله عليه وآله وبحرى معرفة البارى سبحانه ، ويقولون : لا تصح لأحد صلاة ولا صوم ولا عبادة إلا بمعرفة الله والتبى والإمام .

وعلى التحقيق ، فلا فرق بيننا وبينهم فى هذا المعنى ، لأن من سحله إمامة على عليه السلام وأسكر صحتها وزومها ، فهو عند أصحاب محمد فى النار ، لا ينفعه صوم ولا صلاة ، لأن المعرفة بذلك من الأصول الكلية التى هى أركان الدين ، ولكنا لا نسمى منكر إمامته كافرا ، بل نسميه فاسقا ، وحارحيا ، ومارقا ، ونحو ذلك ، والشيعة تسميه كافرا ، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم ، وهو فى البسط لا فى المعنى .

(١٥٨)

الأصل :

مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُنْذُ أُرِيْتُهُ .

الْبَيِّنُ :

أى منذ أعلمته ، ويحب أن يُقدَّر هنا معقول محدود ، أى منذ أُريته حقاً ، لأن « أَرَى » بتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، تقول : أَرَى اللَّهَ زَيْدًا عَمْرًا خَيْرَ النَّاسِ ، فإذا سبقت للمفعول به قام واحد من الثلاثة تعدى الفاعل ووَخَبَ أن تُؤْتَى بمفعولين غيره ، تقول : أَرَيْتَ زَيْدًا خَيْرَ النَّاسِ ، وإن كلَّ أَشْرَ بِالْحَقِّ إِلَى أَمْرٍ مُشَاهِدٍ بِالْبَصَرِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذَلِكَ ، وبحور أن يعربى «لِالْحَقِّ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لأنَّ الحقَّ من أَسْمَائِهِ عَرَبٌ وَحَلٌّ ، فيقول : منذ عرفتُ اللَّهَ لَمْ أَشْكُ فِيهِ ، ونكسر الرُّوْبَةَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ ، فلا يحتاج إلى تقدير مفعولٍ آخَرَ ؛ وذلكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾^(١) ؛ أى لا تعرفونهم ، اللَّهَ يَعْرِفُهُمْ ، والمراد من هذا الكلام ذكرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأنَّهُ مِنْذُ عَرَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشْكُ فِيهِ ، أو منذ عرف الحقَّ في العقائد الكلامية والأصولية والفقهية لم يشكَّ في شيءٍ منها ؛ وهذه مَرَيَّةٌ لَهُ ظَاهِرَةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، فإنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ يَشْكُ فِي الشَّيْءِ بِمَعْنَى أَنْ عَرَفَهُ وَتَعَقُّرَهُ الشُّبْهَ وَالْوَسْوَاسَ وَيُرَانُ عَلَى قَلْبِهِ وَتَخْتَلِجُهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ أَذَى إِلَيْهِ نَظَرِهِ .

وقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وآله لما نعتَه إلى اليمن قاصياً ضربَ على صدره وقال : « اللهم اهدِ قلبه ، وتمتْ لسانه » ، فكان يقول : ما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين .

ورُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قرأ : ﴿ وَتَمِيمًا أُدْنُ وَأَعِيَّةً ﴾ ^(١) قال : « اللهم اجعلها أدنًى عليَّ » ، وقيل له : « قد أحيتُ دعوتك » .

(١) سورة الحاقة ١٢ .

(١٥٩)

الأضل :

وَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَلَّصَرْتُمْ ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ .

البُزْج :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا نُمُودُ فَبَدْبَتُهُمْ فَاسْتَحْشُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٢) .

وقال بعض السالطين : ألا إنهما نجدان الخير والشر ، فحصل نكد الشر أحب إليكم من نجد الخير .

قلت : النجد : الطريق .

واعلم أن الله تعالى قد نصب الأديلة ومكن المكاف بما أكمل له من العقل من الهداية ، فإذا صلّ فمِنْ قَبْلِ تَعْمِهِ أُنَى .

وقال بعض الحكماء : الذي لا يقدر الحكمة هو الذي صلّ عنها ليست هي الصالة عنه .

وقال : متى أحسست بأنك قد أخطأت وأردت ألا تعود أيضا فتخطئ فانظر إلى أصل في نفسك حدث عنه ذلك الخطأ ، فاحترق قلبه ، وذلك إن لم تفعل ذلك فحدث خطأ آخر . وكان يقال : كما أن البدين الخالي من النفس تفوح منه رائحة الثن ، كذلك النفس الحالية من الحكمة : وكما أن البدن الخالي من النفس ليس يحسن ذلك بالبدين

بل الذين لهم حِسٌّ يُحِسُّونَهُ بِهِ ، كذلك النفس المَدِيحَةُ لِلْحِكْمَةِ ليس تحسُّ بِهِ تلك النفس ،
بل يُحِسُّ بِهِ الحكماء ؛ وقيل لبعض الحكماء : ما بال الناس صَّارُوا عَنِ الْحَقِّ ؟ أَتَقُولُ :
إِنَّهُمْ لَمْ تُخَلِّقْ فِيهِمْ قُوَّةَ مَعْرِفَةٍ ؟ فقال : لا ، بل حَقِيقٌ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوا
تِلْكَ الْقُوَّةَ عَلَى غَيْرِ وَحْيِهَا ، وَفِي غَيْرِ مَا خُفِّتْ لَهُ ، كَالسَّيِّئِ تَدْفَعُهُ إِلَى إِنْسَانٍ لِيَقْتُلَ بِهِ
عَدُوَّهُ فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ .

(١٦٠)

الأصل :

هَاتِبُ أَخَاكَ يَا إِحْسَانَ إِلَيْهِ ، وَأَرْدُدُ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

التيسر :

الأصل في هذا قول الله تعالى : ﴿ ادْفَعُ بَاتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(١) .

ودروى المردى " الكامل " ، عن ابن عائشة ، عن رجل من أهل الشام ، قال : دخلت الدسة ، فرأيت رجلاً راكناً على سلة ، أرأى أحسنَ وجهها ولا ثوباً ولا ستمتاً ولا دابةً منه ، قال قلى إليه ، فسألت عنه ، فقل : هذا الحسن بن الحسن بن علي ، فامتلأ قلى له نفصاً ، وحسدتُ علياً أن يكون له ابن مثله ، فصرتُ به وقلتُ له : أنت ابن أبي طالب ؟ فقال : أنا ابن ابنه ، قلت : فبك وبأبيك ؟ قلنا : بفضي كلامي قال : أحسنك عريياً ؟ قلت : أجل ، قال : ففعلتُ بنا ، فإن احتججتُ إلى منزلٍ أرسلاك ، أو إلى مالٍ واستبناك ، أو إلى حاجةٍ طأوتناك .

فانصرفتُ عنه وما على الأرض أحدٌ أحبَّ إلىَّ منه^(٢) .

وقال محمود الوراق :

إني شكرتُ لعلالي طنمي وعمرتُ دأكَ له عبي يئمر
ورأيتُهُ أهدى إلىَّ بدأ لما أبانَ بمهيدٍ حنمي
رجعتُ إساءتهُ عليه وهد ساني فعاد مضاعفَ الحرَمِ

(١) سورة فصلت ٣٤ . (٢) الكامل ٢ : ٦٠٥ .

وَعَدَوْتُ ذَا أَحْمَرَ وَمَحَمَّدَ : وَعَدَا يَكْسِبُ الْقَلَمَ وَالْإِمْهَرُ
فَكَانَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسَى : إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَا زَالَ يُظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الْهَلْثِ

قال المبرد : أخذ هذا المعنى من قول رجل من فريش قال له رجل منهم : إني مررتُ
بآل فلان وهم يشتمونك شتماً رَجِمْتُكَ مِنْهُ ؛ قال : أفسمتني أقول إلا خيراً ! قال : لا ،
قال : إيتام فارحم^(١) .

وقال رجل لأبي بكر : لَا تُشْتَمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرُكَ ، فقال : سَمَكَ وَاللَّهِ
يَدْخُلُ ، لَا مَسِي^(٢) .

(١) الكامل ٢ : ٤ ، . . . (٢) الكامل ٢ : ٥ . . .

(١٦١)

الأصل :

مَنْ وَصَعَ بَعَثَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَنْوَمَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

الْبَيْزُجُ :

رَأَى بَعْضُ الْمُتَعَابَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا فِي دَرَجٍ مِنَ دُرُوبِ الْمَدِينَةِ
وَمَعَهُ امْرَأَةٌ فَسَّامَ عَلَيْهِ ، مُرَدًّا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَدَأَهُ فَقَالَ : هَلْ هِيَ رَوْجَتِي فَلَانَةٌ ،
قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْفَيْكَ يُطْرَقُ ، فَقَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْرِى مِنْ ابْنِ آدَمَ عَمْرَى
الْدَّمِ » .

وَحَدَّثَ فِي الْحَدِيثِ الرُّفُوعُ : « دَفَعَ مَا يَبْرِيْتُكَ إِلَى مَا لَا يَبْرِيْتُكَ » .
وَقَالَ أَيْضًا : « لَا يَكْمَلُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَبْرُكَ مَا لَا نَأْسَ بِهِ » .

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ فَقَالَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَلُوطُ فَقُلْ لِي هَذَا الْمُقَرَّطُ وَاقِفًا مَا يَصْعَعُ !
شَهِدْتُ مَلَاَحَتَهُ عَلَيْكَ بِرِيَّةٍ وَعَلَى الْمُرَبِّ شَوَاهِدٌ لَا تُدْفَعُ

(١٦٢)

الأصل :

مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ .

• • •

الشرح :

المعنى أن الأعداء وكلّ ملك يستأثر على الرعية بالنال والعرّ والحاء .

وتحوى هذا المعنى قولهم : مَنْ عَلَّكَ سَلَبٌ ، ومن قرأ يَرَّ .

وتحوى قول أبي الطيّب :

والعلم من شيم النفوس فإن تحدد ذا عِقَةٍ فليمتد لا يطم^(١)

(١٦٣)

الأصل :

مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّحَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

الشرح :

قد تقدم لنا قولُ كافي في المشورة مدحا وذما .

وكان عبيدُ الملك بن صالح الهاشمي يذمُّها ويقول : ما استشرتُ واحداً قط إلا تَكَرَّرَ عليّ وتصارعتُ له ، ودخلته العِزَّةُ ودخلتني الذُّلَّةُ ، فبياك والمشورة وإن صافى عليك المداهبُ ، واشتبهتُ عليك المسائلُ ، وأذاك الاستبدادُ إلى الخطأ الفادح .

وكان عبدُ الله بن طاهر يذهب إلى هذا المذهب ، ويقول : ما حكَّ حِلْدُكَ مِنْهُ ظَنَرُكَ ؛ ولأنَّ أحطى مع الاستمداد ألفَ خطأ ، أحبُّ إلىَّ من أن أَسْتَشِيرَ وأُرى بين النقص والحاجة .

وكل يقال : الاستشارة إداعة السرِّ ، وهي طرَّة بالأمر الذي ترومُّه بالمشاورة ، فربُّ مستشارٍ أذاعَ عنك ما كان فيه فسادٌ نديرك .

وأما المادِّحون للمشورة فكثير جداً . وقالوا : حاطر من استمدَّ برأيه .

وقالوا : المشورة راحةٌ لك ، وتعبٌ على غيرك .

وقالوا : من أكثر من المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا ، وعند الخطأ عافرا .

وقالوا : المستشير على طَرَف النَّجَاح ، والاستشارة مِنْ عَزْمِ الْأُمُور .

وقالوا : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُول ، ورأى الصواب .

ومن أفاضلهم البديعة : ثمرة رأى المُشِيرِ أحلى مِنْ الْأَرَى الْمُشُورِ^(١) .

وقال بشار :

إِذَا بَعِ الرِّأْيُ النَّصِيحَةَ فَاسْتَمِنْ بِمَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ مَشُورَةٍ حَازِمٍ^(٢)

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ عَاضَةً مِنْ الْخَوَافِ عُدَّةً لِلْقَوَادِمِ

(١) الْأَرَى : الصل ، والمشور : المستخرج . شرت أسل : استخرجه .

(٢) شرح مختار بشار ٣١٢ .

(١٦٤)

الأصل :

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ

الشرح :

قد تقدم القول في السر والأمر مكنانه ؛ ونذكرها هنا أشياء آخر .

من أمثالهم : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ لَحْيَيْهِ ؛

دنا رجل من آخر فساره ، فقال : إن من حس السر النداني .

كان مالك بن مسمع إذا ساره إيسار قال له : أظهره ، ولو كان فيه خير لما كان

مكتوما .

حكيم يوصي ابنه : يَا بُنَيَّ كُنْ جَوَادًا بِالسَّالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ ، صَدِيقًا بِالْأَسْرَادِ عَنْ

جَمِيعِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ أَحْمَدَ حُودِ الْمَرْءِ الْإِيفَاقُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ ، فَوَيْدَا تَكَلَّمْتُ بِهِ فَقَدْ أَرْقَنَتْهُ .

وقال الشاعر :

فَلَا تُقْسِرْ سِرَّكَ إِلَّا إِيَّاكَ هَبْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَةً

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عُوَاةَ الرَّحَالِ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا !

وقال عمر بن عبد العزيز : انقلوب أوعية الأسرار والشعاع أفعالها ، والألسن مفاتيحها

فليحفظ كل أمرى مفتاح سره .

وقال بعض الحكماء : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ الشَّامِرُونَ .

أَمَرَ رجل إلى صديق^(١) سرًّا ثم قال له : أَفْهَيْتَ ؟ قال له : بل جهلتُ ، قال :
أَحْفَظْتُ ؟ قال : بل نسيت .

وقيل لرجل : كيف كتبتك السر ؟ قال : أحصد المحير ، وأحلف للمستحير .

أنشد الأعممى قول الشاعر :

إِذَا جَاوَرَ الْإِثْمَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ بِنْتُ وَنَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قِيمٌ^(٢)
فقال : والله ما أَرَادَ بِالْإِثْمَيْنِ إِلَّا الشَّعَتَيْنِ .

(١) ١ : « صديقه » . (٢) قبي : خليف .

(١٦٥)

الأصل :

الفقر الموت الأكبر .

الشرح :

في الحديث المرفوع : « أشق الأشقياء من جوع عليه فقر الدنيا وعباب الآخرة » .
وأتى برزخهم فقر جاهل ، فقال : شبا اخضع على هذا الناس : فقر بقص ديما ،
وجهل بعبد آخره .

شاعر :

حقيق المال ويسار نفوسهم وأراى حلفت للإملاق
أنا فيما أرى مئة قوم حلقوا بعد قسمة الأرزاق
أحد السيواسى هذا المعنى ، قال في قصيدته الطويلة المعروفة بالساسانية :
ليت شعري لما بدا يقسم الأر راق في أى مطلق كنت^(١)
قرى على أحد حرسى دينار :
قومت بالشجح ونى كل ما يراد من تمتع يوحد
وعلى الجاب الآخر :
وكل من كنت له آليا فالإس والحن له أعبد

وقال أبو الذرّاء : مَنْ حَفِظَ مَالَهُ فَقَدْ حَفِظَ دِينَهُ وَغَيْرَ صَ .

بعضهم :

وَإِذَا رَأَيْتَ صَعُوبَةً فِي مَطْلَبٍ فَحَسْ صَعُوبَتُهُ عَلَى الدَّيْنَارِ
تَرَدَّدَهُ كَالظُّهْرِ الدُّلُولُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ يَلِيقُ قُوَّةَ الْأَخْصَارِ

وَمِنْ دَعَاءِ السَّلَفِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُلِّ الْفَقْرِ وَبَطَرِ الْفَقْرِ .



(١٦٦)

الأصل :

مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَفْصِي حَقَّهُ قَدَّ عَدُوَّهُ .

الشرح :

عَدُوَّهُ بالشديد ، أى أعداءه عَدُوًّا ، فقال : عَدُوَّهُ واستَعَدَّهُ بمعنى واحد ؛ والمعنى بهذا الكلام مَنْ دَخَلَ مَنْ لَا يَفْصِي حَقَّهُ ، أى من فعل ذلك بإسار فقد استعَد ذلك الإنسان لأنه لم يعمل معه ذلك مكافأة له عن حق فساء إِيَّاه ، بل فعل ذلك إساءة متعدياً ، فقد استعده بذلك^(١) .

وقال الشاعر فى تقيض هذه الحال يحاطب صاحبا له :

كُنْ كَأَنَّ لَمْ تَلَا فَنِي قَطُّ وَ اِنَّمَا سِرِّ وَلَا تَحْمِلَنِي دِكْرَايَ شَوْقَا
وَتَيَقِّنْ بِأَنِّي عَيْرُ رَاهِ لَكَ حَقًّا حَتَّى يَرَى لِي حَقًّا
وَبَأْنِي مَفْرُقُ أَلْفَ سَهْمٍ لَكَ إِنْ فَوَّقْتَ يَمِينُكَ فَوْقَا

(١٦٧)

الأصل :

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الشرح :

هذه الكلمة قد رويت مرفوعة ، وقد جاء في كلام أبي بكر : أطيعوني ما أطعت الله ؛ فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .

وقال معاوية لشداد بن أوس : قم فادكر علياً فانتقم^(١) ؛ فقام شداد فقال : الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده ، وجعل رسماً عند أهل الفسوق آثراً من رضا غيره ، على ذلك مضى أولهم ، وعليه مضى آخرهم . أيها الناس ، إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر وإن الدنيا أكل حاصر ، يأكل منها البر والفاجر ، وإن السامع الطبع لله لا حجة عليه وإن السامع العاصي لله لا حجة له ، وإنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ، وإذا أراد الله بالناس خيراً استعمل عليهم ستماء^(٢) ، وقضى بينهم قضاؤهم^(٣) ، وحمل المال في ستمائهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم ستماء^(٢) ، وقضى بينهم قضاؤهم ، وحمل المال عند تخلصهم . وإن من إصلاح الولاية أن تصلح قروها . ثم التفت إلى معاوية فقال : نصحتك يا معاوية من أسخطك بالحق ، وعشك من أرضاك بالباطل ! فقطع معاوية عليه كلامه ، وأمر بإزاله ، ثم لاطعه وأمر له بمال ، فلما فهمه قال : أنت من استمحاء الدين ذكرت ؟ فقال : إن كان لك مال غير مال المسلمين أمتته حلالاً ، وأمنته إصلاً فمهم ، وإن كان مال المسلمين احتجته دونهم أصبته اقترافاً ، وأمنته إثم ، فإن الله يقول : ﴿ إِنَّ السَّادِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٣) .

(١) ق د د وتقمه وهو مستقيم أيما . (٢) في د د عتاءهم .

(٣) سورة الإسراء ٢٧ .

(١٦٨)

· الأصل :

لَا يُعَابُ أَمْرٌ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَحَدَمَا لَيْسَ لَهُ .

· التبرُّج :

لعل هذه الكلمة قالها في جواب سائلٍ سألته . لِمَ أحرَّت الطائفةُ محقَّك من الإمامة ؟ ولا بدَّ من إضمار شيء في الكلام على قولنا ومول الإمامية ، لأنَّ محمَّداً يقول : الأمرُ حَقُّهُ بالأفصلية وهم يقولون : إنه حَقُّهُ بالصحة ، وعلى كلا التقديرين فلا بدَّ من إضمار شيء في الكلام ؛ لأنَّ لقائل أن يقول له عليه السلام : لو كان حَقُّك من غير أن يكون لكلفين فيه نصيبٌ لحار ذلك أن يؤخَّر كالدين اتدى يستحقُّ على ريد ، يجوز لك أن تؤخِّره لأنَّه حَالِصٌ لَكَ وَحْدَكَ ؛ فإمَّا إذا كان للكفين به حصة ماسة لم يكن حَقُّك وحدك ؛ لأنَّ مصالح المكلفين مَروطةٌ بإمامتِكَ دون مائةٍ غيرِكَ ، فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحةُ المكلفين ؟ فإذاً لا بدَّ من إضمار شيء في الكلام . ونقدِرُهُ : لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَانِعٌ عَنْ طَلَبِهِ ، وَيَسْتَقِيمُ أَمْنِي حَيْثُ دَرَجَ عَلَى الْمَدَّيْنِ حَيْثُمَا ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَانِعٌ جَارٍ تَقْدِيمَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ ، وَحَارَ لَهُ أَنْ يُؤَخَّرَ طَلَبَ حَقِّهِ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُسْتَقْصَى فِي نَصَائِبِنَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ .

(١٦٩)

الأفضل :

الإعجابُ يمنعُ من الأرياد .

السنخ :

قد تقدم لنا قولُ مُصَيِّعٍ في المعجب ! وبعنا قال عليه السلام : « يمنع من الأرياد » لأنَّ المعجب نفسه طائرٌ أنه قد تلع العرش . وإنما كُتِبَ الزيادةُ مَنْ يستشير التقصيرُ لا مَنْ يتحيل الكمالُ ، وحميقة العجب على الإنسان نفسه استحقاقُ معرفةٍ هو غيرُ مستحقٍّ لها ؛ ولهذا قال بعضهم لرجلٍ رآه مدحاً نفسه : بررتي أن أكون عند الناس مثلك في نفسك ، وأن أكون عند مني مثلك عند الناس ، فمعنى حقيقة ما يقدره ذلك الرجل ، ثم تمنى أن يكون عارفاً بعيوب نفسه ، كما يعرف الناسُ عيوبَ ذلك الرجل المعجب نفسه .

وقيل للحسن : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : مَنْ يرى أنه خيرٌهم .

وقال بعض الحكماء : الكاذب في مهابة سُنْدٍ من الفضل ؛ والمُرَّأى أسوأ حالاً من الكاذب ، لأنه يكذب فعلاً ، وذاك يكذب قولاً ، ويعذل آكدُ من القول ؛ فأنما المُعْجَبُ بنفسه فأسوأ حالاً منهما ، لأنهما يربيان نقصَ أنفسهما ، ويُرِيدَانِ إحصاءه ، والمُعْجَبُ بنفسه قد تمحى عن عيوب نفسه مرآها محاسنَ وبُذِيها .

وقال هذا الحكيمُ أيضاً : ثم إن الرُّبِّيَّ والكاذبَ قد يُنتفعَ بهما كملّاح حافٍ

رُكَّابُهُ الْفَرَقِ مِنْ مَكَانٍ يُخَوِّفُ مِنَ الْبَحْرِ ، فَتَشْرَهُمْ بِتَحَاوُزِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ ثَلَاثًا
يَضْطَرُّوْنَ أَفِيْتَعَجَلْ غَرَقَهُمْ .

وقد يُحَمَّدُ رِيَاءَ الرَّئِيسِ إِذَا قَصَدَ أَنْ يُتَّقَدَى بِهِ فِي فِصْلِ الْخَيْرِ ، وَالْمُعْجِبُ لَا حَظَّ لَهُ
فِي سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ التَّحْمِيدَةِ بِحَالٍ .

وَأَيْضًا فَلَأَنَّكَ إِذَا وَعَظْتَ الْكَادِبَ وَلَمَّا رَأَى فَنَفْسُهَا بَصْدَقَكَ وَتَشْلِبُهَا لِعَرْفِهَا
سَعِيَهَا ، وَالْمُحِبَّ فَيُجَاهِلُهُ بِمِثْلِ بَطْشِكَ فِي وَعْظِهِ لِأَعْيَا ، فَلَا يَنْتَعِ بِعَقْلِكَ ، وَإِلَى هَذَا
الْمَعْنَى أَشَارَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا ﴾ ^(١) ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ فَلَا تَذْهَبْ بِعَقْلِكَ عَنْهُمْ حَسْرَاتٍ ﴾ ^(٢) ، نَسِيَهَا عَلَى أَمْرِهِمْ لَا يَقْتُلُونَ لِإِعْجَابِهِمْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثَلَاثُ مُرْسِكَاتٍ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ
بِنَفْسِهِ .

وَفِي الْمَثَلِ : إِنَّ ابْنَهُ قَالَ : إِذَا عَثَرْتُ مِنْ أَسَى آدَمَ ثَلَاثَ لَمْ أَطْلُبْهُ لَمَرِّهَا : إِذَا
أَعْيَبَ نَفْسَهُ ، وَاسْتَكْبَرَ عَمَلَهُ ، وَنَسِيَ دُنُوتَهُ .

وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : كَمَا أَنَّ الْمُعْجَبَ مَرَمَهُ لَا يَرُومُ أَنْ يَسْتَنْدِلَ بِهِ غَيْرَهُ ، كَذَلِكَ الْمُعْجَبُ
بِنَفْسِهِ لَا يُرِيدُ بِحَالِهِ بَدَلًا ، وَإِنْ كَانَتْ وَدِئَةً .

وَأَصْلُ الْإِعْجَابِ مِنَ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ فَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « حُبُّكَ الشَّيْءَ
يُمِىُّ وَيُصِىمُ » ، وَمَنْ عَمِيَ وَصَمَّ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ رُؤْيَا عُيُوبِهِ وَصَحَائِهَا ، فَكَذَلِكَ وَجَبَ عَلَى
الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْسِهِ عُيُوبًا يُعْرِفُهَا عُيُوبَهُ ، بِحَوْ مَا قَالَ عُمَرُ : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى أَمْرِهِ
أَهْدَى إِلَى عُيُوبِهِ .

وَيَحِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا رَأَى مِنْ غَيْرِهِ مِثْلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَإِنْ رَأَى ذَلِكَ

موجوداً فيها نزعها ولم ينفك عنها ، فإ أحسن ما قال المتنبّي :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى^(١)

وأما التّيه وماهيته فهو قريب من المعجب ، لكنّ المعجب يصدق نفسه وها
فيما يظنّ بها ، والتّيه يصدقها قطعاً ، كثرة متخيراتيه . ويمكن أن يفرق بينهما
بأمر آخر ، ويقول : إنّ المعجب قد يُعجب بنفسه ولا يؤذي أحداً ذلك الإعجاب ،
والتّيه يصمّ إلى الإعجاب المعص من الناس والترفع عليهم ، فيسترم ذلك الأذى لهم ،
فكلّ تائم معجب ، وليس كلّ معجب تائماً .

(١٧٠)

الأفضل :

الأمر قريب ، والاصطحاب قليل .

الشرح :

هذه الكلمة تذكر بالموت وسرعة رَول الدنيا ؛ وقال أبو العلاء :

نفسى وحسنى لما استحسنا منكما شراً إلى فعل الواحد الصمد
فالجسم يعدل فيه النفس ^{بجنتها} ونفك يروهم أن الطالم الحسد
إذا هما بمد طول الصلحة افترقا فإن داك لأحداث الزمان يد
وأصبح الجوهر الحسن في يمن موصولة واستراح الآخر الجمدة

(١٧١)

الأضل :

قد أضاء المشرق لدى عيسى .

المنج :

هذا الكلام جار مجرى المثل ، ومثله :

• والشمس لا تغطى عن الأنصار •

ومثله :

• إن العرالة لا تغطى عن الصبر •

وقال ابن هانئ يمدح المعتز :

فاستيقظوا من رقدة وتنبهوا ما بالصباح عن العيون حذاء^(١)
ليست السماء الله ما ترونها لكن أرضا تحتويه سما

(١٧٣)

الأفضل :

تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَى مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ .

الْبَزْخُ :

هذا حق ، لأن ترك الذنب هو الإحجامُ عنه ، وهذا سهلٌ على من يعرف أثر الذنب على ما يكون ، وهو أسهلٌ من أن يُواقع الإنسانُ الذنب ، ثم يطلب التوبة ، فقد لا يخلص داعيه إليها ، ثم لو حُلص فكيف له محصوله على شروطها ، وهي أن يسدَمَ على المسيح لأنه قبيح ، لا لحوف العقاب ، ولا لرجاء الثواب ، ثم لا يكفيه أن يتوب من الزنا وحده ، ولا من شرب الخمر وحده ، بل لا يصح توبته حتى تكون عامةً شاملة لكل القاصح فيندم على ما قال ووجد أنه لم يفعل ، ويحرم على ألا يعاود معصيةً أصلاً ، وإن نقص التوبة عادت عليه الآثام القديمة والعقاب المستحق ولا أدى كل سقط بالتوبة على رأى كثير من أرباب علم الكلام ؛ ولا ريب أن ترك الذنب من الأتداء بمنهل من طلب توبته هذه صفتها .

وهذا الكلام جدير^(١) بحري العنل يُصرَب لم يشرع في أمرٍ يحاطر فيه ، وبرحو أن يتخلص منه فيما بعد بوجه من الوجوه .

(١٧٣)

الأسئل .

كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ تَمْتَعُ أَكْلَاتٍ .

الشيخ :

أحد هذا المعنى بلفظه الحريري فقال في المعامات : « رَبُّ أَكْلَةٍ هَاسَتِ الْآكَلِ ،
وَمَمَعَتْهُ مَا كَلَّ » ، وأحد أبو العلاف الشاعر فقال في سوره الذي يرثيه :

أرَدْتُ أَنْ تَأْكُلَ الْعِرَاحَ وَلَا يَا كُفَّكَ الدَّهْرُ أَكَلٌ مُصْطَلِحٌ^(١)
بِمَنْ لَدَيْدِ الْعِرَاحِ أَوْفَى وَيَحْكُ هَلَا قَنَعَتْ بِالْقَدِيرِ !
كَمْ أَكْلَةٍ خَاصَرَتْ حَشَا شَرِيرٍ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ الْحَسِيرِ

[نوادر المكثرين من الأكل]

وكان ابن عتياش المتوفى بمنازح المنصور أبا حنيفة فيحتمله على أنه كان جدياً كنه ؛
فقدّم المنصور لحسانه يوماً نطة كثيرة الدهن ، فأكلوا وجعل يأمرهم بالأزدياد من الأكل
لطيبها ، فقال ابن عتياش : قد علمت غرضك يا أمير المؤمنين ، إنما تريد أن ترميهم منها
بالحجاب - يعني الهيضة - فلا يأكلوا إل عشرة أيام شيئاً .

وفي المثل : « أَكْلَةُ أَبِي خَارِجَةٍ » ؛ وقال أعرابي وهو يدعو الله لياب الكعبة : اللهم

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٨ .

مَيْتَةً كَمَيْتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : أَكَلْتُ بَدَحًا - وَهُوَ الْحَمَلُ - ، وَشَرِبْتُ طَبًا مِنْ اللَّبَنِ - وَهُوَ رَوَى مِنَ التَّنِيدِ - وَهُوَ كَالْحَوْضِ مِنْ حُلُودِ بَسْدٍ فِيهِ ، وَنَامَ فِي الشَّمْسِ فَاتَتْهُ فَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ تَعَالَى شَمْعَانِ رَبَّانٍ دَفِينًا .

والعرب تعبّر بكثرة الأكل ، ونعيب بالأشبع والثراء والثم ، وقد كان فيهم قومٌ موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية ؛ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي " كِتَابِ الْأَكْلَةِ " : كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ (١) أَرْبَعَ أَكْلاَتٍ أَحْرَاهُ مِنْ عَطْمَاهُنَّ ، ثُمَّ يَتَعَشَّى سِدَّهَا بِثَرِيدَةٍ عَلَيْهَا بَصَلٌ كَثِيرٌ ، وَدُهْنٌ كَثِيرٌ قَدْ شَعَلَهَا . وَكَانَ أَكَلُهُ فَاحِشًا بِأَكْلِ فَيْطَاحٍ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ أَوْ ثَلَاثَةِ قُلُوبٍ أَنْ يَلْرُغَ ، وَكَانَ يَأْكُلُ حَتَّى يَسْتَلْقَى وَيَقُولُ : يَا غُلَامُ ، ارْقَعْ ، فَلِأَنِّي وَاللَّهِ مَا شَبِيتُ وَلَكِنْ مَلَيْتُ .

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ رَدَادٍ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ أَكْلاَتٍ أَحْرَاهُ مِنْ حَتِيَةِ نَسْلٍ ، وَيُوسِعُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِائَةَ رُغْصَةٍ الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ أَوْ يَحْدِي بِأَنَّهُ وَاحِدَةٌ .

وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَصْبِيَّةَ الْعَطْمَى فِي الْأَكْلِ ، دَخَلَ إِلَى الزَّافَةِ فَهَالَ لِمَا فِيهَا طَعَامُهُ : أَلْعِظْنَا الْيَوْمَ مِنْ حِرْمَانِ الرَّافَةِ ، وَدَخَلَ الْحَتَامُ فَأَحْطَالَ ، ثُمَّ حَرَحَ فَأَكَلَ ثَلَاثِينَ خَرُوفًا بَنِيَّانٍ رَعِيًا ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى الْمَائِدَةِ فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ كَمَا لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا .

وَقَالَ الشَّامِرُ بْنُ وَكَيْلٍ آلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : قَدِمَ سُلَيْمَانُ الْعَطْمَى وَقَدْ عَرَفَتْ أُسْتِجَابَتَهُ ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَيُّوبُ ابْنُهُ إِلَى بُسْتَانٍ هُنَاكَ يُعْرَفُ بِالرَّهْطِ فَقَالَ : نَاهِيكَ عَنَّا هَذَا لَوْلَا حِرَارُ فِيهِ ، فَنُتِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا لَيْسَتْ بِحِرَارٍ وَلَكِنَّهَا حِرَارُ الزَّيْتِ ، فَصَحَّحْتُ ، ثُمَّ حَاءَ حَتَّى أَتَى صَدْرَهُ عَلَى عُصْنِ شَجَرَةٍ هُنَاكَ ، وَقَالَ : يَا شَامِرُ ، أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ تَطِيْمُنِي ؟ وَقَدْ كُنْتُ أُسْتَمِدُّتُ لَهُ ، فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ عِنْدِي حَدِيٌّ كَانَتْ تَعْدُو عَلَيْهِ حَافِلَةٌ ، وَتَزُوجُ عَلَيْهِ أُخْرَى ، فَقَالَ : عَجَلْ بِهِ ، فَخَشَعَتْهُ

به مشوياً كأنه عُكَّة سَمْنٍ ، فَأَكَّه لَا يَدْعُو عَلَيْهِ مَرُّ وَلَا أَبْنَه ، حَتَّى إِذَا بَنَى فَخَذَ قَالَ :
يَا عَمْرُ ، هَلَمْ ، قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . ثُمَّ قَالَ : يَا شَعْرُ دُلْ ، أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، دَجَاجَاتُ
حَسٍّ كَأَنَّهُنَّ رِثْلَانِ السَّعَامِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ بِرَجُلِ الدَّجَاجَةِ حَتَّى
يُمَرِّي عِظَامَهَا ، ثُمَّ يُبْلِقِيهَا ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ : وَيَبْحَثُ يَا شَعْرُ دُلْ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟
قُلْتُ : بَلَى سَوِيقٌ كَأَنَّهُ قُرَاصَةُ الذَّهَبِ مَكْتُوتٌ بِسَلٍّ وَشَمْنٍ ؛ قَالَ : هَلَمْ ، فَجَشْتُهُ بِعُسٍّ
تَغِيبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَأَحْدَه فَطَلَمَ بِهِ جَسَّتْهُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ تَجَشَّأَ كَأَنَّهُ صَارِخٌ فِي
حُبٍّ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى طَبَاحِهِ فَقَالَ : وَيَبْحَثُ ! أُرْعَتَ مِنْ طَبِيعِكَ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : وَمَا
هُوَ ؟ قَالَ : تَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ، قَالَ : فَأَرِنِي مَا قِدْرَا قِدْرًا ، فَمَرَّضَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ
مِنْ كُلِّ قِدْرٍ لَقْمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَسْتَقْنَى عَلَى قَعَاءَ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوُضِعَتْ
الْمَوَائِدُ ، فَمَدَّ فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ كَمَا لَوْ لَمْ يَطْعَمْ شَيْئًا

قَالُوا : وَكَانَ الطَّعَامُ الَّذِي مَاتَ مِنْهُ سُلَيْمَانُ مَاتَهُ قَالَ لَدَيْرَانِي كَانَ صَدِيقَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ :
وَيَبْحَثُ ! لَا تَقْطَعْنِي الطَّافِكُ الَّتِي كُنْتَ تَمِطُّنِي بِهَا عَلَى هَذَا الْوَلِيدِ أَحَى ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا
بِزُبَيْلَيْنِ كَبِيرَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ مَسْلُوقٌ ، وَالْآخَرُ زَبْزُبٌ ؛ فَقَالَ : لَقْمِيهِ ، فَكُنْتُ أَقْشِرُ اللَّيْصَةَ
وَأَقْرُنُهَا بِالْثَّيْبَةِ وَأَلْقِيهِ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الزُّبَيْلَيْنِ ، فَاصْبَأْتُهُ حُمَةً عَطِيبَةً وَمَاتَ .

وَيُبْحَثُ أَنْ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ أَكَلَ قَنْزًا رُبَاعِيَةً وَفَرَفًا مِنْ ذُرْفٍ وَالْفِرْقُ ثَلَاثَةٌ
أَصْعَ . وَقَالَ لِأَصْرَأَتِهِ : عَلِجِي لَنَا هَذَا الْكَشَشُ حَتَّى أَرْجِعَ ، فَجَعَلْتُ نُوْقِدُ نَحْتَهُ وَتَأْخُذُ عُضْوًا
عُضْوًا فَتَأْكُلُهُ ، فَاطْلَعْتُ إِذَا لَيْسَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الْمَرْقُ ، فَصَامَتْ إِلَى كَشَشٍ آخَرَ فَذَبَحَتْهُ
وَطَبَخَتْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَمْرُو فَتَرَدَّتْ لَهُ فِي حُمَةِ الْعَجِينِ وَكَفَأْتُ الْقِدْرَ عَلَيْهَا ، فَمَدَّ يَدَهُ وَقَالَ :
يَا أُمَّ ثَوْرَ ، دَوْمَكَ الْمَدَاءُ ؛ قَالَتْ : قَدْ أَكَلْتُ ، فَأَكَلَّ الْكَشَشَ كُلَّهُ ثُمَّ اضْطَجَعَ وَدَمَاحَهَا
إِلَى الْفِرَاشِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَمَلُ ، فَقَالَتْ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَطِيعُ وَيَبْنِي وَيَبْنِي كَبْشَانِ !

وقد روى هذا الخبر عن بعض العرب ؛ وقيل : إنه أكل حوَّاراً^(١) وأكلت امرأته حائلاً^(٢) ، فلما أراد أن يدنوَّ منها وعَظَرَ قالت له : كيف تصل إليَّ ويبي وبينك بعران .

وكان الحجاج عظيم الأكل ؛ قال مسلم بن قتيبة : كنت في دار الحجاج مع ولده وأنا علام ، فقيل : قد جاء الأمير ، فدخل الحجاج فأمر بثور فنُصِبَ ، وأمر رجلاً أن يخبز له خبز الماء ، ودعا بسَمَك ، فاتَّوَّه به ، فجعل يأكل حتى أكل ثمانين جاماً من السمك بثمانين رَغِيْفاً من خمر الملة^(٣) .

وكان هلال بن أشعر المارئي موسوفاً بكثرة الأكل ، أكل ثلاثِ حِضارٍ زُيْد ، وأَسْتَقَى ، فجاهده بقرْبة مملوئة سبداً فوصوا فمها في شه حتى شربها بأسرها .

وكان هلال بن أبي بُردة أْكولاً ، قلَّ قَمُّهُ : جاءني رسولُه سحرةً فأَتَيْتُهُ وبين يديه كانوا فيه حجرٌ وتيسٌ صَحْمٌ ، فقال : دونك هذا ، تَبَسَّ هَدِجُهُ قَدِخْتُهُ وسَلَحْتُهُ ، فقال : أخرج هذا الكانونَ إلى الرَواقِ وشرَّج اللحم وكُبِّه على النار ، فصعلتُ كلما استَوَى شيءٌ قَدَمْتُهُ إليه حتى لم يبق من التيس إلا اسطام وبقعةٌ لحمٍ على الحجر ، فقال لي : كُلْهَا ، فأَكَلْتُهَا ، ثم شَرِبْتُ خَمْسَةَ أَقْداحٍ ، وماوَلَيْ قَدَحاً مشربته فهِزَّتْني ، وجاءته جاريةٌ بِزُرْمَةٍ فيها ناهضان^(٤) ودَحاحَتان وأُرْعِيَّةٌ ، فأَكَلْتُ ذلك كُلَّهُ ، ثم جاءته حاريةٌ أخرى بِقَصْصَةٍ مَظْطاةٍ لا أدري ما فيها ، فصَحَّحْتُ إلى الحارية ، فقال : وَيَحْكُ ! لَمْ يَبْقَ في بطني موضعٌ لهذا ، فصَحَّحْتُ الجاريةَ وانصرفت ، فقال لي : اَلْحَقْ بِأَهْلِكَ .

(١) الحوَّار : ولد الناقة . (٢) الحائل : الناقة التي لم تحمل .

(٣) الملة : الرماد الحار . (٤) الناهس : فرخ العقاب .

وكان عنبسة بن رباد أكلوا نهماً ، فحدث رجلٌ من ثقيف قال : دعاني عبيدُ الله الأحمر ؛ فقلت لعنبسة : هل لك يا ذُمعة - وكل هذا لقسه - في إثبات الأحمر ؟ فضيكتا إليه ، فلما رآه عبيد الله رغب به وقال للخَبَّاز : صغ بين يدي هذا مثل ما تصع بين يدي أهل المائدة كلهم ، فجعل يأنيه بقصعة وأهل المائدة بقصعة ، وهو يأنى عليها ، ثم أتاه بجدي فأكله كله ، ونهض القومُ فأكل كلٌ ما تحب على المائدة ، وخرجنا فلقينا خلف ابن عبد الله القطامي ؛ فقال له : يا خلف ، أما تمديني يوماً ؟ فقلت لحلف : ويحك ! لا تمجده مثل اليوم . فقال له : ما تشتهي ؟ قال : تمرّاً وسماً ، فأطلق به إلى ستره وجاء بحمّسٍ جلال^(١) تمرّاً وجرة سماً ، فأكل الجميع وخرج ؛ فرّ رجلٌ بسى داره ومعه مائة رحل ، وقد قدّم لهم سماً وتمرّاً ، فبصاه إلى أن أكل معهم ، فأكل حتى شكوه إلى صاحب الدار ، ثم حرج فرّ رجلٌ بلق يديه زئبيل فيه خبزٌ أرزٍ يابس يسيم وهو بيمه يحمل يساومه ويأكل حتى أتى على الزئبيل ، فأعطيت صاحب الزئبيل ثمن جتره .

وكان ميسرة الرأس أكلوا ؛ حكى عنه عبد المهدى محمد بن المصور أنه يأكل كثيراً ، فاستدماه وأحضر فيلاً ، وجعل يرمى لكل واحد منهما رعيماً حتى أكل كلٌ واحد منهما تسعة وتسعين رعيماً ؛ وامتنع الفيل من تمام المائة ، وأكّر ميسرة تمام المائة وزاد عليها .

وكان أبو الحسن التماري والد أبي بكر بن التماري الشاعر المحدث أكلوا دخل يوماً على الوريث أبي بكر محمد الميمى ، فأمر الوريث أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بماء وملح ، ثم قدّم له على مائدة الوريث ، فأكل وهو يبطه لحم

(١) الجلال : جمع جلة ، وهو وعاء التمر يصنع من الخوص .

البقر ، ويستطيعه حتى آتى عليه ، فلما حرق ليركب طلب الحمار ، فقيل له :
في جوفك .

وكان أبو العالقة أكولاً ، نذرت امرأة حامل إن آتت بدكر تشيع أبا العالقة
خبيصاً ، فولدت غلاماً ، فأحضرنه ، فأكل مبيع حيطان خبيصاً ، ثم أمسك وخرج ،
فقيل له : إنها كانت نذرت أن تشيعك ، فقال : والله لو علمت ما شبت إلى الليل .

(١٧٤)

الأمنل :

الناس أعداء ما جهلوا .

• • •

البرج :

هذه الكلمة قد تقدمت وتقدم ما ذكرنا نظائرهما . والمنة في أن الإنسان عدو ما يجهله أنه يخاف من تربيته^(١) والنقص وسدتم العلم بذلك الشيء ، خصوصا إذا ضمه نادر أو سمع من الناس فإنه تتصاعر معه عنده إذا علموا لها لا يعرفه وينقص في أعين الحاضرين ، وكل شيء آذاك ونال منك فهو عدوك^(٢) .

(١) د : « تربيته » . (٢) ا : « فهو عدوك » .

(١٧٥)

الأصل :

مَنْ اسْتَفْضَلَ وَجْهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا .

الشرح :

قد قالوا في المثل : شرّ الرأي الذي جرى .

وقال الشاعر :

وحيرُ الرأي ما استفضلت منه وليس بأن تَنَمَّه أساعا

وليس المراد بهذا الأمر مُرعة فصل الحال لأوّل حاطر ، ولأوّل رأي ، إنّ ذلك خطأ ،
وقد عاقل : دَعِ الرَّأْيَ يَنْبَ .

وقيل : كلّ رأي لم يحمرّ ويُنبت^(١) فلا حيرَ فيه .

وإنّما المعنى منه تصحيحُ الفُرْصَةِ في الرأي ، ثمّ محاولة الاستدراك بعد أن فات
وَجْهُ الرَّأْيِ ، فذلك هو الرأي الذي جرى .

(١٧٦)

الأصل :

مَنْ أَحَدٌ سَيِّئَانَ الْمَصِيبِ لِلَّهِ قَوِيٌّ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ .

الشرح :

هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والكلمة تتضمن استعارة
تدلّ على النصيحة ؛ والمعنى أن من أرفق عزمه على إكثار المنكر ، وقوى عصه
في دأب الله ولم ينجف ولم يراغب معلوما ؛ أمانه الله على إزالته المنكر ؛ وإن كان قويا
صادرا من جهة عريضة الخاف ، وعنها وقعت الكفاية بأشداء الماثل .

(١٧٧)

الأصل :

إِذَا هِئْتُمْ أَمْرًا فَفَقِعْ فِيهِ ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقُّعِهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ .

البرخ :

ما أحسن ما قال المتن في هذا المعنى .

وإذا لم يكن من الموت ثمرة
فمن العجز أن نكون حسانا
كل ما لم يكن من الصعب والآفة
فمن سهل فيها إذا هو كانا

وقال آخر :

لعمرك ما المكروه إلا لارتقابه
وأعظم مما حل ما يتوقع
وقال آخر :

صعوبة الرزق تنقذ وتوقعه
مستقبلا وانقصه الرزق أن يبقا
وكان يقال : توسط الخوف فأمن .

ومن الأمثال العامية : أم المقتول تام ، وأم المهدد لا تام .

وكان يقال : كل أمر من خير أو شر فسماعه أعظم من عيانه .

وقال قوم من أهل المية وليسوا عند أصحابنا مصيبين : إن عذاب الآخرة المتوعد به
إذا حل بمسحقته وحدوه أهون مما كانوا يسمونه في الدنيا ؛ والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١٧٨)

الأصل :

آلة الرئاسة سعة الصدر .

الشرح :

الرئيس محتاج إلى أمور ، منها الخود ، ومنه الشجاعة ، ومنها - وهو الأهم - سعة الصدر ، فإنه لا تتم الرئاسة إلا بذلك .

وكان معاوية واسع الصدر أكثر الاحتمال ، وبذلك نفع ما نفع .

[سعة الصدر وما ورد في ذلك من حكايات]

ومحّن ندكر من سعة الصدر حكايتين دتّين على عظم محنة في الرئاسة ، وإن كان مدموماً في باب الدين ، وما أحسن قول الحسن فيه وقد ذكر عند معقبيّ ذكر أبي بكر وعمر ، فقال : كانا والله خيراً منه ، وكان أسودّ منهما .

الحكاية الأولى :

وهذا أهل الكوفة على معاوية حين خطب لابنه يريد بالمهد لعمري ، وفي أهل الكوفة هاني بن عروة المرادى - وكان سيّداً في قومه - فذلّ يوماً في مسجّد دمشق والناس حوله : المحبّ لمعاوية يريد أن يفسرنا على بيعة يزيد ، وحاله حاله ، وما دالك والله بكائن ! وكان

في القوم علامٌ من قريش حالسا ، فتحتمر الكلمة إلى معاوية ، فقال معاوية : أنت سمعت هائثا يقولها ؟ قال : نعم ، قال : فأخرج فأبى حلقته ، فإذا حبّ الناسُ عنه فقل له : أيها الشيخ ، قد وصلتُ كلُّك إلى معاوية ، ولستَ في زمن أبي بكر وعمر ، ولا أحبُّ أن تتكلم بهذا الكلام فإيهم بنو أمية ، وقد عرفتُ جراتهم وإقدامهم ، ولم يدعني إلى هذا يقول لك إلا النصيحة والإشفاق عليك ، فانظر ما يقول ؛ فأنتي به .

فأقبل الفتى إلى مجلس هاني ، فدعاه من عنده دأب منه فقص عليه الكلام وأخبره عرج النصيحة له ، فقال هاني : والله يابن أخي ما بلغ نصيحتك كل ما أسمع ؛ وإن هذا الكلام لكلام معاوية أعرفه ! فقص الفتى : وما أنا ومعاوية ! والله ما يعرفني ؛ قال : فلا عليك ، إذا لفته فعل له يقول لك هاني : والله ما إلى ذلك من سبيل ، ألهض يابن أخي راشداً !

فقام الفتى فدخل على معاوية فأعانه ، فقال : يستعين بالله عليه .

ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارفعوا حوائجكم - وهاني فيهم - عرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه ، فقال : يا هاني ، ما أراك صنعت شيئا ، رد ؛ فقام هاني فلم يدع حاجة عرضت له إلا وذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب فقال : أراك قصرت فيها حديث ، رد ، فقام هاني فلم يدع حاجة لقومه ولا لأهل مصره إلا ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : ما صنعت شيئا ، رد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حاجة بقيت ، قال : ما هي ؟ قال : أن أتولي أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق ؛ قال : اعمل ، فزلتَ لمثل ذلك أهلا ؛ فلما قدّم هاني العراق قام أمير السّيمة ليزيد بمؤنة من المغيرة بن شعبة وهو الوالي بالعراق يومئذ .

وأما الحكاية الثانية :

كان مالٌ نُحِمِل من اليمن إلى معاوية ؛ فعمر بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي عليه السلام ، فأخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه ، وكتب إلى معاوية : من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإن عيراً مرت ما من اليمن نُحِمِل مالا وحللاً وعسراً وطيباً إليك لتودعها خرائن دمشق ، ونعسرها بها بعد السهل بي أهلك ، وإني احتجت إليها فأخذتها . والسلام .

فكتب إليه معاوية : من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإن كتابك ورد علي يدك أن عيراً مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللاً وعسراً وطيباً إلى تودعها خرائن دمشق ، وأعل بها بعد السهل بي أبي ، وأنت احتجت إليها فأخذتها ولم تكن جديراً بأحدها إذ نستها إلى ، لأن الوالي أحق بالمال ، ثم عليه المخرج منه ، وأتم الله فو برك ذلك حتى صار إلى ، لم أنصحك خطك منه ، واسكني قد طست يان أخى أن في رأسك مروة وبودي أن يكون ذلك في رمان فأعرف لك قدرك ، وأخوور عن ذلك ؛ ولكني والله أخوف أن تقتل عن لا يبطرك فواق نافقة ، وكتب في أسفل كتبه :

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| يا حسين بن علي يس ما | حنت بالسائع يوماً في العليل |
| أحدك السال ولم تؤمر به | إن هذا من حسين لمحل |
| قد أحرناها ولم تعصب لها | واحتملك من حسين ما فصل |
| يا حسين بن علي دا الأمر | لك بعدى وثنة لا تحتمل |
| وبودي أني شهدتها | فأليها منك بالخلق الأجل |
| إني أرتب أن تصلي بمن | عنده قد سبق السيف العدل |

وهذه سمة صدر وفراصة صادقة .

(١٧٩)

الأجمل :

أزهر المي، يثواب المحسن.

الشبرخ :

قد قال ابن هاني القرني في هذا المعنى :

لولا أبعاثُ السيفِ وهو مُسلطٌ في قتلهم قتلهمُ النماء

وأفصح به أبو المتاهية في قوله :

إذا حاربتَ بالإحسان قوماً زحرتَ المديين عن الدّواب

ما لك والناسول من يمدٍ ويمكك الناسول من قريب

(١٨٠)

الأصل :

أَحْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ ، بِقَبْضِهِ مِنْ صَدْرِكَ .

الشرح :

هذا يفسر على وجهين :

أحدهما أنه يريد : لا تُصْمِرْ لِأَحْيَاكَ سَوَاءً ، فَإِنَّكَ لَا تُصْمِرُ ذَاكَ إِلَّا يَضْمُرُ هُوَ لَكَ سُوءًا ،
لأنَّ القلوبَ بِشَعْرِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، فَإِذَا صَفَوْتَ لِوَاحِدٍ سَمَاكَ .
والوجه الثاني أن يريد : لَا تَمِطِ النَّاسَ وَلَا تَنْهَمِ عَنْ مَنْكَرٍ إِلَّا وَاتِ مُفْلِحٌ عَنْهُ ،
هَاهُنَا الْوَاعِظُ الَّذِي لَيْسَ بِزَكِيٍّ لَا يَسْتَحْجِزُ^(١) وَغَطُّهُ ، وَلَا يُؤَثِّرُ نَهْيُهُ .
وقد سبق الكلام في كلا المعنيين .

(١) : لا يتع . .

(١٨٨)

الأصل :

اللَّجَاحَةُ تُسَلُّ الرِّأْيَ .

الْبَرْخ :

هذا مشتق من قوله عليه السلام : « لا رأى لمن لا يُطاع » ، وذلك لأن عدم الطاعة هو اللجاجة ، وهو حُلُق يترك من حُلُقين : أحدهما الكثير ، والآخر الجهل بمواقف الأمور وأكثر ما يترى الولاة لما تخدمهم من العِزة بالإنهم .

ومن كلام بعض الحكماء : إذا اضطرت إلى مُصاحبة السلطان ، فابدأ بالفتن عن معتاد طبعه ، ومناوئ حُلُقهِ ، ثم استخِذ لنفسك طعنا ففرعه في قالب إرادته ، وحُلُقاً تركه مع موضع وهفه حتى تسلم معه ، وإن رأيت يَهْوَى ما من فُنون المحبوبات فأطهر هَواك لصَدِّ ذلك الفن ، يُعِدُّ عيك إرهابه ، بل ويكثر مكروهه إليك ، وإذا بدا لك منه فَمَلْ دَمِيمَ قِيَاك أن تمدأ فيه بقول ما لم يَسْتَبْدِل فيه نُصْحَكَ ، ويستدعي رأيك ؟ وإن استدعى ذلك فليكن ما تعرضه فيه بالرفق والاستعطاف ، لا بالحشونة والاستسكاف ، فيخيه اللجاج المركب في طعن الولاة على ارتكابه ، مكلِّ والٍ لجُوج ، وإن علم ما يتعمقه لجاحه من الضرر ، وأن احتياجه هو الحسن .

(١٨٢)

الأصل :

الطَّمَعُ رِقًا مُؤَبَّدٌ .

الْبِنْجُ :

هذا المعنى مطروقٌ جدًا ، وقد سبق لنا فيه قولٌ شاذٌ .

وقال الشاعر :

نَسَبَ وَغَيْرُ حُرٍّ وَلَا تَكُ طَامِعًا لَمَّا قَطَعَ الْأَعْنَاقَ إِلَّا الْمَطَامِيعُ

وفي المثل : أطمع من أشعب ؛ رأى سَلَالًا يصنع سَلَةً ، فقال له : أوْسِمَهَا ؛ قال :
ما لك ودأك ؛ قال : لعلَّ صاحبها يُهْدِي لي معها شيئًا .

ومرَّ بِمَكْتَبٍ وَعِلَامٌ يَقْرَأُ عَلَى الْأَسْتَادِ : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ ، فقال : قم بين يَدَيَّ
حَفِظَكَ اللَّهُ وَحَمِطَ أَبَاكَ ، فقال : إنما كنت أقرأ وردي ، فقال : أسكرت أن تُفْلَحَ
أو يُفْلَحَ أبوك !

وقيل : لم يكن أطمع من أشعب إلا كلبه ، رأى سورة القَمَرِ في البئر فطمعَ رَغِيْبًا ،
فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَيْرِ يَطْلُبُهُ ، فَمَاتَ .

(١٨٣)

الأصل :

ثَمَرَةُ التَّعْرِيطِ الدَّمَامَةُ ، وَثَمَرَةُ الْحَرَمِ السَّلَامَةُ .

البُزْجُ :

قد سبق من الكلام في الحرم والتعريط ما فيه كفاية . وكان يقال : الحرم ملكة يوحسها كثرة التجارب ، وأصله قوة العمل ، فإن العاقل حاتم أبدا ، والأحمق لا يحاف ، وإن خاف كان قليل الخوف ، ومن حاب أمرا نوقاه ، فهذا هو الحرم .

وكان أبو الأسود الدؤلي من عملاء الرحل وذوى الحرم والرأى ، وحكى أبو الساس المراد قال : قال رباد لأبي الأسود - وقد أسن - : لولا ضحكك لاستملاكك على بعض أعمالنا ، فقال : اللصراع يريدنى الأمير ، قال رباد : إن لا تعمل مثوبة ، ولا أراك إلا تصعب عنه ، فقال أبو الأسود :

رَعَمَ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبْرَةِ أَسَى شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْبَلَى

صَدَّقَ الْأَمِيرُ لَقْدَ كَبُرْتُ وَإِنَّمَا بَالُ الْمَكَارِمِ مِنْ يَدْبَةٍ عَلَى الْعَصَا

يَا بَا الْعَبْرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مَتَّهَمٍ فَرَحْتُ بِالْحَرَمِ مَتَى وَالذَّهْدَ

وكن يقال : من الحرم والتوقى ترك الإطراط فى التوقى .

لما نزل بمعاوية الموت وقدم عليه يزيد أسه فرآه مسكت لا يتكلم ، بكى وأندى :

لَوْ قَاتَ شَيْءٌ يُرَى لَفَاتَ أَوْ حَيَّانٌ لَا عَاخِرَ وَلَا وَكَلٌ

أَلْحَوْلُ الْقَلْبِ الْأَرِيبُ وَلَا تَدْفَعُ يَوْمَ النِّيَّةِ الْحِيلُ

(١٨٤)

الأصل :

مَنْ لَمْ يُنَجِّهِ الصَّبْرُ ، أَهْلَكَهُ الْخُرْعُ .

الشرح :

قد تقدم لنا قول شافى فى الصبر والجوع .

وكان يقال : ما أحسن الصبر لولا أن ، التفقة عليه من العمر ! أخذه شاعر فقال :

وإني لأدري أن في الصبر راحةً ولكن إساقى على الصبر من عمرى

وقال ابن أبى العلاء يستعمل بعض الرؤساء :

هين ميل لى صبراً فلا ستر لى عدا بيد الأيتام نقتله صبراً

وإن قيل لى عدراً هو الله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذراً

فإن قلت : أى فائدة فى قوله عليه السلام : « مَنْ لَمْ يَنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْخُرْعُ » ؟ وهل

هذا إلا كمول مَنْ قال : « من لم يجد ما يأكل صرّ^(١) الجوع ؟ » .

قلت : لو كانت الحمة واحدة ، لكان الكلام عبثاً ، إلا أن الحمة مختلفة ، لأن معنى كلامه

عليه السلام من لم يحلصه الصبر من هموم الدنيا وعمومها هلك من الله تعالى فى الآخرة

بما يستعمله من الصبر بالخرع ؛ وذلك لأنه إذا لم يصبر فلا شك أنه يجرع ، وكل خارج آثم

والإثم مهلك ، فلما اختلفت الحمة وكانت نارة للدنيا ونارة للآخرة لم يكن الكلام عبثاً بل

كان مفيداً .

(١) ود « أهلكه » .

(١٨٥)

الأصل :

وَأَعِجَّيَا أَنْ تَكُونَ أُخْلَافَةً بِالصَّحَابَةِ وَأَقْرَبَ آبَوَ .

قال الرضى رحمه الله تعالى وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو :
فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ يَهْدَا وَالشَّيْرُونَ غُيِّبُ ! (١)
وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَتَبِيرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

الشرح :

حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر ، أمّا النثر فإلى عمر توجيهه لأنّ أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها ، شدتها ورخاؤها ، فامدد أنت يدك ، فقال على عليه السلام : إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن كلّها ، فملا سلّم الأمر إلى من قد شرّك في ذلك ، وزاد عليه « بالقرابة » ! وأما النظم فوجه إلى أبي بكر ؛ لأنّ أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة . فقال : نحن عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيضته التي تفقأت عنه ، فلما بويع احتج على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقد ، فقال على عليه السلام : أمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه ، فتبرك أقرب نسباً منك إليه ، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كلن قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف ثبت !

واعلم أن الكلام في هذا تتضمنه كتب أصحابنا في الإمامة ، ولهم عن هذا القول أجوبة ليس هذا موضع ذكرها .

تم الجزء الثامن عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
وبليه الجزء التاسع عشر

فهرس الكتب*

- ٦٥ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية . . . ٢١- ٧
- ٦٦ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى عبد الله بن العباس ٢٨
- ٦٧ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة ٣٠
- ٦٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته ٣٩-٣٤
- ٦٩ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الحارث الهمداني ٤٢، ٤١
- ٧٠ - من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف وهو عامله على المدينة ٥٢
- ٧١ - من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الحارود ٥٤
- ٧٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٦٠
- ٧٣ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦٢
- ٧٤ - من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن ٦٦
- ٧٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أول ما بويع له بالخلافة ٦٨
- ٧٦ - من وصية له عليه السلام عند استخلافه إياه على البصرة . . . ٧٦
- ٧٧ - من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج على الخوارج . . . ٧١

٧٨ - من كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب

٧٤

كتبه إليه

٧٧

٧٩ - من كتاب له عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد



مركز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

• فهرس الموضوعات •

| | |
|----------|--|
| ٢١- ٧ | ذكر بقية الخبر عن فتح مكة |
| ٤٣٤ ٤٢ | الحارث الأعور ونسبه |
| ٥١- ٤٣ | نبذ من الأقوال الحكيمة |
| ٥٧- ٥٥ | ذكر المنذر وأبيه الجارود |
| | حكمه عليه السلام ومواعظه ، ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله وكلامه |
| ٤١٦- ٨٢ | التصير في سائر أغراضه |
| ١٢٦-١٢٣ | نبذ مما قيل في الشيب والخضاب |
| ١٣٠-١٢٨ | نبذ مما قيل في المروءة |
| ١٤٨-١٤٣ | نبذ وحكايات مما وقع بين يدي الملوك من تقييد كبرياءهم وسوى |
| ١٥٤-١٥٢ | في مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي |
| ١٦٧-١٥٩ | أقوال وحكايات حول الحق والخفيين |
| ١٧١ | خياب بن الأرت |
| ٢٠٨-٢٠٦ | محمد بن جعفر والنصور |
| ٢٧٠، ٢٦٩ | محنة ابن المقفع |
| ٣٠٩-٢٨٥ | فصل في نسب بني مخزوم وطرف من أخبارهم |
| ٤٠٢-٣٩٧ | نوادير الكثيرين من الأكل |
| ٤٠٩-٤٠٧ | سعة الصدر وما ورد في ذلك من حكايات |